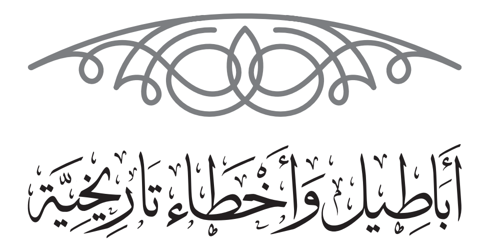


نظراتٌ نقْديّة في كتاب «أثر الحروب الصَّليبية على العلاقات السُّنّية الشيعية» لـمحمد بن المختار الشنقيطي

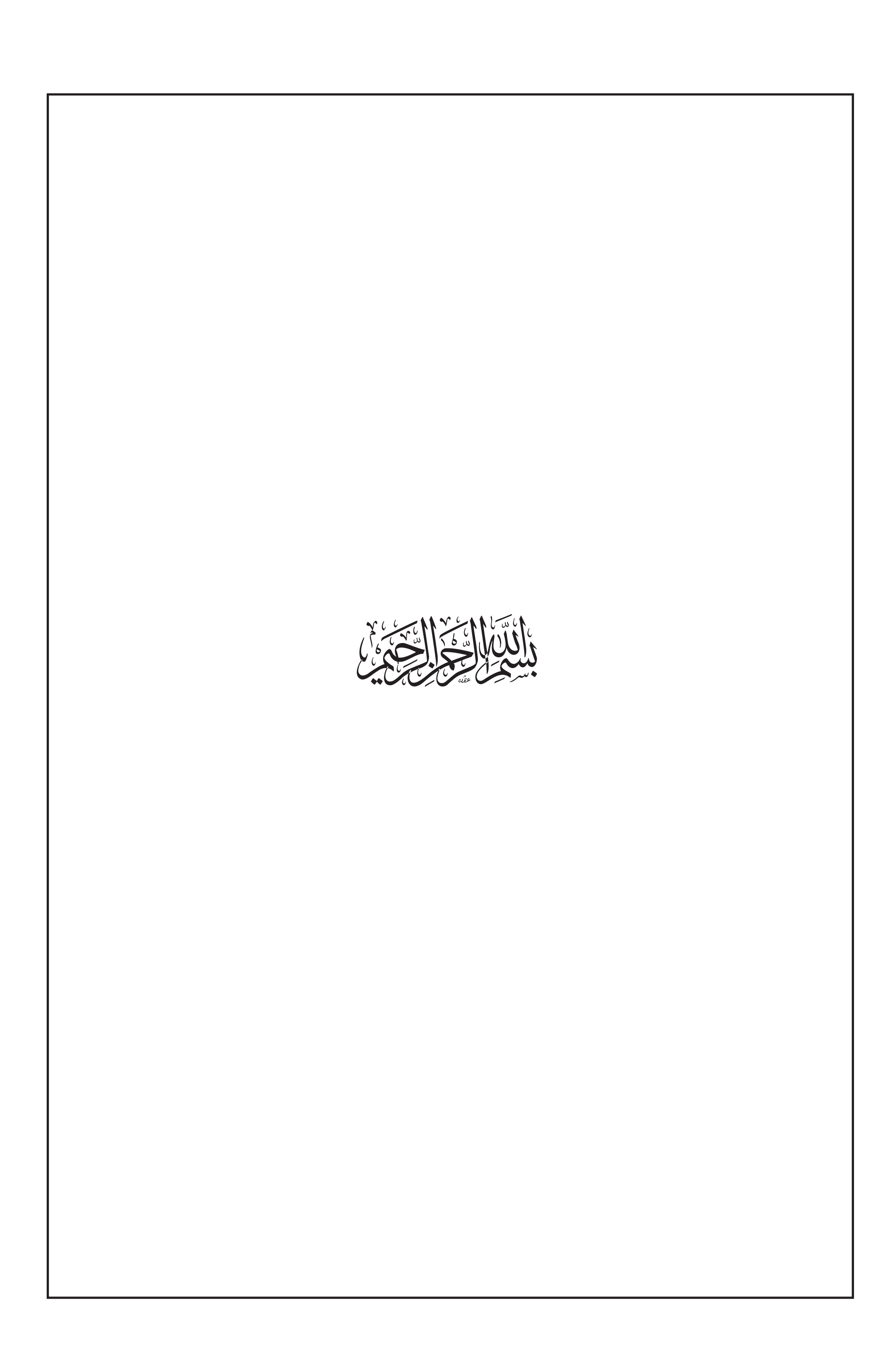
بقلم

أ.د. علي بن محمد عودة الغامدي

نسخة إلكترونية مُهدَاة من المؤلِّف



نظراتٌ نقْديّة في كتاب « أثر الحروب الصّليبية على العلاقات السُّنّية الشيعية» لمحمد بن المختار الشنقيطي


بسم الله الرحمن الرحيم



أَبَاطِيلُ وَأَخْطَاءُ تَارِيخِيَّة

نظراتٌ نقْديّة في كتاب

«أثَرُ الحُروب الصَّلِيبية عَلَىٰ العلاقات السُّنِّية الشِّيعيَّة»

لمحمَّد بن المختار الشنقيطي

بقلم

أ.د. علي بن محمد عودة الغامدي

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

مقدِّمة

الحمدُ للَّه رب العالمين، ولا عدوان علىٰ إلا علىٰ الظالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين وعلىٰ آله وأصحابه الغُرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين. **وبعد:**

فهذه نظراتٌ نقدية لبعض ما جاء في كتاب: (**أثر الحروب الصليبية علىٰ العلاقات السُّنِّية الشيعية**) لمحمد بن المختار الشنقيطي، من تحريفات وأخطاء فادحة. والشنقيطي هذا هو الذي يظهر دائما علىٰ الفضائيات كمؤرِّخ للأديان والأخلاق السياسية.

وكتابنا هذا هو سلسلة حلقات كتبتها في قناتي بالتليجرام (قناة حركة التاريخ) ردًّا علىٰ كتاب الشنقيطي الذي هو في الأصل هو رسالته للدكتوراة من جامعة تكساس. وقد تَرْجَمه بنفسه للعربية ، كما تُرجِم للتركية.

۞ وقد عَمد في هذا الكتاب ، إلىٰ الكذب والتزوير وقلب الحقائق التاريخية لتحقيق أهداف لا تخفىٰ علىٰ أحد ، ووصف الخيانات المريرة للخونة من الشيعة بالشوائب، بهدف أن يجعل الشيعة – سواء الإمامية أو الإسماعيلية – مجاهدين للصليبيين في خندق واحد مع أهل السنة. وإلىٰ تمجيد ماضي الرافضة الأمامية واختلاق بطولات كاذبة لهم في جهاد الصليبيين.

۞ كما أن في الكتاب ترويج للعقيدة الإمامية وبخاصة نظرية الخميني في هذا الباب حيث ذكرها مروجا لها – مع ذكر اسم الخميني نفسه – عدة مرات ، مع الإساءة للصحابة رضي الله عنهم جميعا والطعن في بيعة السقيفة ، تحت مسمىٰ الأزمة الدستورية . والهدف من كل ذلك تحقيق شرعية تاريخية لنظام الخميني.

وقد اعتمد في كتابه علىٰ شيعة لبنانين لا مكان لهم في أوساط المؤرِّخين العرب المتميزين.

۞ كما أنه يسير علىٰ خُطىٰ المستشرقين المُغرضين وتَبَنِّي مقالاتهم وأُطروحاتهم في دراسة عصر الحروب الصَّليبية، مع جهلٍ وإغفالٍ تام للسُّنَن الإلهيَّة التي يمكن تفسير التاريخ الإسلامي في ضوءها.

۞وفي كتابه نقد مرير وتشويه لرموز وقادة أهل السُّنَّة الذين تعاملوا مع الشيعة بمقياس عقيدة أهل السنة والجماعة، مثل محمود الغزنوي وعماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم.

وفيه تحامُل كبير علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية بسبب نقده للرافضة.

هذا وقد جعلت نقدي هذا وقفا للَّه تعالىٰ ليستفيد منه كل باحثٍ عن الحق، بشرط أنْ يُصَوّر علىٰ هذه الطبعة كما هي بدون أي تعديل .

سائلًا الله تعالىٰ أن ينفع به من قَرأَهُ أو نَشَرَهُ، وأنْ يُخْزي الباطل وجنده ..

وللَّه الأمرُ من قبل ومن بعد.

أ.د. علي بن محمد عودة الغامدي

مكة المكرمة :

في يوم الجمعة ٥ من ذي القعدة ١٤٤١هـ

الموافق ٢٦ يونيو ٢٠٢٠م




نَظَراتٌ في:

مَدْخل الكِتاب

ترميم الذَّاكِرة التاريخيَّة

الحَاجة إلىٰ بناءِ ماضٍ جديد




في هذا المَدْخل للكتاب يتضح للقارئ اللبيب ما أَرَادَهُ محمد بن المختار الشنقيطي من تزوير هذا الموضوع وتحريف حقائقه، بل وقَلْبِها رأْسًا علىٰ عقب في سبيل تبييض تاريخ الرافضة سيما الإمامية زمن الحروب الصليبية وتصويرهم مجاهدين للصليبيين في خندق واحد مع أهل السُّنَّة.

فقد جعل عنوان مقدمته ومدخل دراسته بهذه الصيغة :

(ترميم الذاكرة التاريخية .. الحاجة إلىٰ بناء ماض جديد).

◉ **وقال ص ١٤ ، ما نَصّه :**

(كانت الدكتورة غريتشِن آدمز أستاذة المنهج التاريخي بجامعة تكساس – وهي ممن جمع العمق المعرفي والروح الإنسانية – كثيرًا ما تردد أمامنا : «من أجل بناء مستقبل جديد نحتاج إلىٰ بناء ماض جديد». وتلك رسالة هذا الكتاب علىٰ وجه التحديد) .

وهذا منهج ماسوني يهدف إلىٰ تزوير تواريخ أُمَم الأرض عامَّة وتاريخ المسلمين بخاصة حتىٰ يمكن إخضاعهم للهيمنة الماسونية .

كما أَنَّ وَصْف الكاتب لأستاذته بتلك الصفات الآنفة تُشير إلىٰ ماسونيتها حيث يتظاهر أقطاب الماسونية بهذه الصفات لاجتذاب الأتباع.

وفي المدخل الكثير من الطوام مثل قوله: بـ **(أسلمة الترك .. وتتريك الإسلام).**

ولا يتسع في هذا النقد المجال لذكر كل التحريفات ودحضها؛ لأن هذا سيجعل النقد يفوق كثيرا حجم الكتاب نفسه.

لكن يجب أن أُشير إلىٰ أن هذا الموضوع قد قُتِل بحثا في بحوث ورسائل وكتب لا حصر لها بدءًا برائد دراسة الحروب الصليبية في العالم العربي أُستاذنا الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور رحمه الله وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه وغيرهم، ولم يعد هناك شيء

جديد يمكن أن يضيفه أي باحث آخر سوىٰ التزوير والتحريف الذي قام به الشنقيطي.

وقبل عرض أهم التحريفات والأكاذيب وتغيير الحقائق التاريخية في كتاب الشنقيطي يجب أن أُشير إلىٰ أنه حاول في كتابه تصوير الشيعة وكأنهم يشكلون نصف أمة الإسلام والسُّنَّة النصف الأخر، ولذلك جاهدوا الفرنج جنبا إلىٰ جنب مع أهل السُّنَّة حسب زعمه الكذوب .

والحقيقة الثابتة والمعروفة لدىٰ علماء المسلمين قديمًا وحديثًا أنَّ كل الفرق والنِّحل التي خرجت عن عقيدة أهل السُّنَّة مثل الشيعة بطوائفها المختلفة والخوارج وغيرهم كانوا بمجموعهم أقليَّات ضئيلة لا تضاهي مجتمعة بأي حال السواد الأعظم من أهل السُّنَّة.

وإذا كان الشيعة الإسماعلية مثل العبيديين والقرامطة وغيرهم من طوائف الشيعة، مثل البويهيين قد سيطروا علىٰ مناطق واسعة من ديار الإسلام في القرن الرابع الهجري؛ فإن غالبية سكان العالم الإسلامي من حدود الصين شرقًا حتىٰ المغرب والأندلس غربا ظلوا علىٰ عقيدة السُّنَّة.

ولكي أُقدِّم لكم برهانا حاسما علىٰ هذه الحقيقة (حقيقة تصوير الشنقيطي للشيعة وكأنهم نصف الأمة وزعمه الكذوب أنهم اتحدوا مع أهل السُّنَّة في جهاد الصليبيين) = أنقل لكم ما نقله عن المستشرق اليهودي الفرنسي «كلود كاهن» وتعليقه علىٰ قوله

◉ **قال الشنقيطي ص ٢٢ - ٢٣، ما نَصّه :**

> **(أما المؤرِّخون المعاصرون فربما كان «كلود كاهن» من بينهم هو الذي أدرك أثر الحروب الصليبية في توحيد المشرق الإسلامي الممزق، فكتب يقول: (لقد كان من آثار الحروب الصليبية تقارب بين المجموعات المسلمة التي كانت - إلىٰ عهد قريب - تسود في**

علاقاتها الريبة وعدم الثقة. ومن هذه الجماعات التي كانت تنظر بريبة إلىٰ بعضها البعض، العرب من سكان الحضر والسهوب، والترك المنضوون تحت لواء العساكر الرسمية الخاضعة للحكم السلجوقي، والتركمان الذين كان ينقصهم الانضباط لكنهم طامحون إلىٰ الغزو، والكرد ذوو الروح العسكرية الذين انضموا إلىٰ العساكر التركية التي كانوا يقاتلونها إلىٰ عهد قريب).

وإذا تأمَّلنا وأمعنا النظر في قول «كلود كاهن» هذا نجد أن كل المجموعات التي وصفها نصًّا بالمسلمة هم أهل السُّنَّة.

وقد استاء الشنقيطي من قول «كلود كاهن» الواضح والصريح الذي ليس فيه ذكر للشيعة مطلقًا، ولذلك علَّق تعليقًا يفضحه علىٰ رؤوس الأشهاد وهو لا يدري.

فأراد أن يضيف إلىٰ عبارة كلود كاهن اسم الشيعة فقط لكنه خشي الانتقاد فأضاف السُّنَّة مع الشيعة فأصبحت فضيحته مضاعفة.

◉ فقال معلقًا ما نَصّه :

(وكان علىٰ «كلود كاهن» - لكي يكون دقيقا في استقرائه - أن يضم السُّنَّة والشيعة إلىٰ هذه الجماعات التي وَحَّدها اقتحام الفرنج للشرق الإسلامي).

فهل هناك تزوير وتدليس في رسالة دكتوراه مثل هذا التدليس والتزوير المتصف بالغباء؟!




نَظَراتٌ في:

الفصل الأوّل

دماءٌ على ضِفاف المتوسط

القافلة التركيَّة في مواجهة الهَجْمة الفرنجيَّة




نظرة في عنوان الفصل الأول

الناظر في عنوان هذا الفصل من الناحية المنهجية، يجد أنه حَصَر الصراع الذي دار بين المسلمين والغرب في عنصرين فقط هما الترك والفرنجة!

وهذا أوَّلا قبل كل شيء ينقض أكاذيبه وتحريفاته التي زعم فيها أن الشيعة قاتلوا الصليبيين جنبا إلىٰ جنب مع السُّنَّة.

وثانيا : يشهد الواقع التاريخي ومن المصادر الأصلية أن الأكراد – وهم سُنَّة – كانوا يشكلون عددًا مساويًا للأتراك في جيوش عماد الدِّين وابنه نور الدين وصلاح الدِّين، وحتىٰ أواخر الدولة الأيوبية. بل ونجد القادة الأكراد هم الذين حققوا التحولات الكبرىٰ لصالح الإسلام، وعلىٰ رأسهم أسد الدِّين شيركوه وأخوه نجم الدِّين أيوب – والد صلاح الدِّين – فقد كانا من كبار قادة عماد الدِّين وهما اللذان مكَّنَا نور الدِّين ووطَّدَا حكمه في حلب بعد اغتيال والده سنة ٥٤١ هجرية.

وهذان الأَخَوان الكرديان هما الأدَاة التي حققت لنور الدِّين إقامة الجبهة الإسلامية المتحدة من نهر دجلة شرقا إلىٰ ليبيا غربا ومن جبال طوروس شمالا إلىٰ خليج عدن جنوبا!!

فنجم الدِّين أيوب هو الذي تسلل مع رجاله إلىٰ دمشق وفتح أبوابها سنة ٥٤٩ هجرية لنور الدِّين، فدخلها وضمَّها إلىٰ مملكته. وأَسَدُ الدِّين شيركوه هو الذي قاد الحملات الثلاث التي أرسلها نور الدِّين إلىٰ مصر في سنوات ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٦٤ هجرية وانتهت بالاستيلاء علىٰ مصر وضمِّها إلىٰ الجبهة الإسلامية المتحدة.

وقد خلف صلاح الدِّين عمه شيركوه في حكم مصر وأرسل قائده بهاء الدِّين قراقوش فضمَّ ليبيا إلىٰ الجبهة الإسلامية المتحدة، كما أرسل صلاح الدِّين أخاه الكردي توران شاه إلىٰ الحجاز واليمن وضمهما إلىٰ الجبهة المتحدة.

هذا بالإضافة إلىٰ العرب الذين شاركوا في جهاد الصليبيين وقد ذكرهم «كلود كاهن» كما في العبارة التي اقتبسها الشنقيطي وأوردناها سابقا.

وأقرؤوا بحث رائد دراسة الحروب الصليبية في العالم العربي أستاذنا الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور (البنية البشرية لجيوش صلاح الدِّين)، عِلمًا بأن الشنقيطي لم يَطَّلع ولم يعتمد علىٰ كتب وبحوث سعيد عاشور في تاريخ الحروب الصليبية والتي تصل إلىٰ نحو ٥٠ عنوانًا، واعتمد بدلا منها علىٰ ما كتبه أتْباع حسن نصر اللَّه في لبنان!

أمَّا الفرنجة فلم يكونوا العنصر الجرماني الوحيد الذي شارك في الحروب الصليبية فقد شاركت عناصر جرمانية أخرىٰ في هذه الحروب بفعالية مثل النورمان والسكسون والألمان والإنجلز واللمبارديين والدانيين (وهم سكان شمال أُورُبا) مثل السويد والنرويج. ليس هذا فحسب بل شاركت عناصر سلافية - غير جرمانية- في الحروب الصليبية مثل الهنغار.



⦿ أخطاء فادحة وتحريفات شنيعة والهدف منها:

في هذا الفصل الأول نجد أخطاء فادحة وتحريفات شنيعة، لأنه يريد تحقيق هدفين هما:

١ - إبراز دور التُّرك بوصفهم من حمل راية الجهاد فقط، وتقليل دور العناصر الأخرىٰ من المسلمين سواء الكُرْد أو العرب السُّنَّة.

٢ - التمهيد لاختلاق دور جهادي للشيعة الإمامية في المقام الأول.

حيث يلاحظ القارئ من حديثه الطويل والودود عنها وإيراد مقولات كبار علمائها في نظرية الإمامة شدَّة تعاطفه مع هذه الطائفة في الوقت الذي يرمي فيه رموز أهل السُّنَّة من حكام وعلماء بالتعصب بسبب آرائهم في الشيعة، مثلما ما كتبه عن

محمود الغزنوي ونور الدِّين وابن كثير وابن تيمية وغيرهم ثم للشيعة الإسماعيلية في المقام الثاني.

ومما زاد الاضطراب في هذا الفصل أن الشنقيطي لم يَطَّلع علىٰ المصادر الأساسية للموضوع، فحين تحدَّث عن ظهور السلاجقة ذكر بعض ما جاء في رسالة ابن فضلان وزعم أن البلغار دخلوا في الإسلام بصورة سطحية للغاية وتوهم أن البلغار عنصر تركي، وغاب عنه أنهم عنصر سلافي من جنس الروس اعتنقوا النصرانية في القرن الثالث الهجري علىٰ يد مبشرين بيزنطيين(روم) وأصبحوا ضمن عناصر المرتزقة في الجيش البيزنطي في المواجهات مع السلاجقة الأوائل ومع سلاجقة الروم، ثم أصبح البلغار رأس الرمح الغربي في مواجهة العثمانيين. والمؤكد أن غياب كل هذه الحقائق عن الشنقيطي سببها جَهْله بالتاريخ!!

◉ **ومن أمثلة الخَلْط والاضطراب النص التالي، قال ص ٤٧ :**

(لقد كان من أعظم المنجزات الثقافية للدولة السامانية (٢٠٤ - ٣٨٩هجرية / ٨١٩ - ٩٩٩م - وهي دولة فارسية سنية - إدخال القبائل التركية القاطنة في آسيا الصغرىٰ في الإسلام، بمن فيها السلاجقة والبلغار).

وهذا خطأ فادح فآسيا الصغرىٰ وقلبها الأناضول كانت تُسمىٰ بلاد الروم - وهي تشمل تركيا الحالية بدون الجزء الأوربي منها - وليس فيها طوال عصر الدولة السامانية سلاجقة ولا بلغار!!

ولا نجد للشنقيطي مصدرًا أصليًّا لهذه المعلومة سوىٰ كاتبة تتصف دراساتها بالسطحية، وغاب عنه المصدر الأساسي الذي يوضح اعتناق الترك للإسلام وليس للسامانيين دور في هذا التحول الفريد!!

وهذا المصدر هو : «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» لمسكويه، حيث قال في حوادث سنة ٣٤٩ هجرية في ج ٢ ص ١٨١ ما نَصّه :

(وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه) .

و«**خركاه**» كلمة تركية معناها خيمة، والخيمة كان يعيش فيها عدد كبير من الترك البدو الرعاة، وقد تحوي الخيمة الواحدة عددًا كبيرًا مثل الجد وأبنائه وأطفالهم ونسائهم .أي أن عدَّة ملايين من التُّرك دخلوا في الإسلام في تلك السَّنة الحاسمة .

وهذا الخبر المقتضب يحوي وراءه جهودًا جبارة ومخلصة قام بها عدد من الدعاة، لم يحفظ التاريخ أسمائهم؛ لأنه لا يمكن أن تدخل أمة بمثل هذا العدد من فراغ. ولعل عدم حفظ التاريخ لأسماء أولئك الدعاة المجهولين وجهودهم زيادة في موازين حسناتهم يوم يلقون ربهم.

وإذا كان قد غاب كتاب مسكويه عن الشنقيطي فإن ابن الأثير نقل عنه هذا الخبر في الكامل ج ٨ ص ٥٣٢، وقد أشار الشنقيطي إلىٰ ابن الأثير في مصادره![١].

وموطن هؤلاء التُّرك الذين اعتنقوا الإسلام هو منطقة تركستان في بلاد ما وراء النهر (وليس آسيا الصغرىٰ كما توهم الشنقيطي) . وأشهر تلك القبائل التي اعتنقت الإسلام هم الغز، ومنهم سلجوق بن دقاق الذي تُنسب إليه دولة السلاجقة.

ومن الملاحظ شغف الشنقيطي بمقولات المستشرقين حيث أورد الكثير من أقوالهم، ليس هذا فحسب بل نجده يُقلد اطروحتهم.

◉ **وهنا نضرب مثالًا علىٰ هذا التقليد البائس، إذ يقول في ص ٤٤، ما نَصّه :**

(فالمقاومة الإسلامية للحملات الصليبية يمكن إدراجها ضمن سياق تاريخي اجتماعي ثقافي هو ظاهرة تتريك الإسلام، وأسلمة التُّرك) .

---

(١) كما نقل الذهبي الخبر نفسه في كتابه«دول الإسلام» ، ج ١ ص ٢١٥ .

◉ **ثم يأتي في ص ٤٦ ويفسِّر مقولته هذه بقوله:**

(أما العلاقة بين ما وصفناه هنا بـ «أسلمة الترك وتتريك الإسلام» فهي شبيهة بنظرية جيمس روسل حول «تمسيح الجرمانيين وجرمنة المسيحية» أي اعتناق الشعوب الجرمانية للديانة المسيحية وما أدىٰ إليه ذلك من إمساكهم بمصائر العالم المسيحي ردحًا من الزمان).

انظروا إلىٰ هذا الشغف بمقولات المستشرقين وتقليدهم مع الجهل المطبق بالسُّنن التاريخية الإلهية التي يمكن دراسة التاريخ الإسلامي في ضوئها لمن كان له قلب أو القىٰ السمع وهو شهيد.

◉ **ومن الأخطاء الفادحة المضللة للقراء في الفصل الأول، ما كتبه الشنقيطي عن أثر ظهور السلاجقة علىٰ علاقات المسلمين بالروم .**

حيث قال في ص ٦٢، ما نَصّه :

(وكـان من نتائج ذلك أن أحيت القافلة التركية الصراع بين المسلمين والروم البيزنطيين. وكان ذلك الصراع نائما منذ قرون، باستثناء مناوشات هنا وهناك نجد صداها في سيرة سيف الدولة وفي شعر المتنبي وأبي فراس، وهي مناوشات لم تغير الحدود الفاصلة بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية تغييرا جوهريا، منذ نهاية الفتوح الإسلامية الأولىٰ) !

وهذا القول غير صحيح جملة وتفصيلًا فقط تغيرت الحدود بين المسلمين والروم تغيراً شاملاً لصالح الروم خلال القرن الرابع الهجري، الذي سمّاه الشنقيطي القرن الشيعي – كما سنرىٰ لاحقـًا – وهذا القول يدل علىٰ جهل الشنقيطي المُطْبق

بالتاريخ، أو تجاهله لما حدَث في القرن الرابع الهجري عشية ظهور السلاجقة بغية تغييب الكوارث التي حلَّت بالمسلمين علىٰ أيدي الروم زمن قوىٰ الرَّفض الثلاث التي سيطرت علىٰ قلب عالم الإسلام، وهي: الدولة الفاطمية، والقرامطة، والدولة البويهية.

۞ **ففي سنة ٣٥١ هجرية** قاد إمبراطور الروم «نقفور فوكاس» أسطولًا ضخمًا وانتزع جزيرة كريت من المسلمين التي كان قد فتحها الربضيون من أهل الأندلس سنة ٢١٢ هجرية وأقاموا فيها إمارة إسلامية مجاهدة دوخت الروم طوال ١٤٠ عامًا.

۞ **وبعدها بسنة** انتزع «نقفور فوكاس» جزيرة قبرص من المسلمين ثم توجه إلىٰ الثغور الإسلامية (الثغور الشامية الواقعة جنوب جبال طوروس) واحتلها كلها خلال سنوات ٣٥٢ – ٣٥٤ هجرية بمدنها المشهورة طرسوس – ترسيس الحالية في تركيا – وأدنة والمصيصة وعين زربة وغيرها . وكان القائد الرومي حنا كركواس قد انتزع من المسلمين «الرُّهَا » (أورفة الحالية)قبل ذلك بسنوات. ثم انتزع الروم زمن «نقفور فوكاس» كل الثغور الإسلامية الأرمنية والجزرية.

۞ **وفي سنة ٣٥٨ هجرية** تقدم «نقفور فوكاس» إلىٰ داخل الشام واحتل مدينة أنطاكية المشهورة أي في نفس السَّنة التي احتل فيها الفاطميون مصر وكأنهم علىٰ موعد وتنسيق محكم مع الروم للإطباق علىٰ قلب بلاد المسلمين!!

۞ **وفي السَّنة التالية ٣٥٩ هجرية** حاصر «نقفور فوكاس» حلب وأخضعها وأجبر قرغويه غلام سيف الدولة علىٰ توقيع معاهدة حماية مذلة أصبحت بمقتضاها حلب الشهباء محمية رومية ونصوص هذه المعاهدة المذلة موجودة بوضوح في كتاب ابن العديم (زبدة الحلب في تاريخ حلب) الذي زعم الشنقيطي أنه اعتمد عليه وأورده في قائمة مصادره. وبعد هلاك «نقفور فوكاس» تولىٰ حكم الروم الإمبراطور «يوحنا تزيميسكس» (الذي تسميه المصادر الإسلامية حنا بن الشمشقيق) .

فغزا الشام وتوغل فيها، واحتل شيزر ومعظم وادي العاصي واحتل صُور وبيروت وبعلبك وجبلة، وذكرت المصادر أنه سيطر علىٰ قرىٰ وبلدات كثيرة من بينها ٨٠ بلدة بها منابر تقام فيها صلاة الجمعة . وحاصر دمشق حتىٰ أجبرها علىٰ دفع الجزية، وكان يريد احتلال القدس ولكنه سمع بهجوم البلغار علىٰ حدود دولته عبر نهر الدانوب فعاد لحماية بلاده.

وتفوق مساحة البلدان التي احتلها الروم من المسلمين زمن «نقفور فوكاس» و«يوحنا تزيميسكس» مساحة فلسطين المحتلة بعشرات المرات! وللأستاذ الدكتور عمر كمال توفيق كتاب مفصَّل ومطبوع عن هذا العدوان سمَّاه «مقدمات العدوان الصليبي»، ولكن الشنقيطي لم يقدِّم دراسة علمية جادَّة حتىٰ يستفيد من كل الدارسين المتميزين وإنما هدفه تبييض تاريخ الروافض وتصويرهم مجاهدين مع أهل السُّنَّة ضد الصليبيين!!

◉ **ومن الأخطاء أيضا في هذا الفصل: قوله في ص ٤٩**

(والسلاجقة ٤٤٧ – ٥١١ الذين تمددت إمبراطوريتهم من الأناضول إلىٰ أفغانستان) .

وهو الخلط نفسه الذي ذكره سابقًا حين زعم أن آسيا الصغرىٰ (وليس تركستان) هو الموطن الأصلي للتُّرْك.

وهناك خطأ في ص ٧٠ حيث ذكر الشنقيطي أن عماد الدِّين أسر عام ٥٣٢ هجرية مَلِك بيت المقدس «فولك أوف انجو». وهذا غير صحيح فقد أَسَر عماد الدِّين ريموند الثاني أمير طرابلس وليس «فولك» !!

◉ ومن الأخطاء في الفصل الأول، قوله في ص ٧١ :

(ومرة أخرىٰ اغتال الإسماعيليون النزاريون المعروفون باسم الحشاشين عماد الدِّين زنكي عام ٥٤١ هجرية فأصابوا المقاومة الإسلامية في مقتل).

وهذا غير صحيح!! فلا صلة للإسماعيليين بمقتل زنكي، فالذي قَتَلَهُ خادم من غلمانه واسمه يرنقش، ويُقال: إنه من أصل فرنجي.

ومن عَجَب أن المصادر والمراجع التي ذكرها الشنقيطي ليس فيها الأخطاء والاضطراب الذي نلحظه في معظم صفحات كتابه. وسوف أُورد هنا كمثال نص من كتابه في ستة أسطر ونصف عن نور الدِّين ثم أُبين ما فيه من أخطاء وخلط واضطراب :

◉ قال في ص٧١ – ٧٢ ما نَصّه :

(ولعل أعظم مآثر نور الدِّين أنه أنقذ مدينة دمشق من السقوط في أيدي الحملة الصليبية الثانية. وهو الذي هزم جيوش الفرنجة في معركة عينتاب عام ٥٤٤ / ١١٤٩م وهي المعركة التي قُتل فيها أمير أنطاكية ريموند دي بواتيي. كما نجح نور الدِّين بعد ذلك في أَسْر أميرين آخرين من أمراء أنطاكية الذين خلفوا ريموند دي بواتيي في إمارتها وهما علىٰ التوالي: جوسلين الثاني الذي أَسَـرَهُ عام ٥٤٤ هجرية/ ١١٥٠م، ومات في أسره عام ٥٥٤ هجرية/ ١١٥٩م، ثم ريموند دي شاتيون الذي مكث في أَسْره ستة عشر عامًا).

وإليكم ما في هذا النص من أخطاء وخلط واضطراب :

أولا : ليس نور الدِّين الذي أنقذ دمشق من السقوط في أيدي الحملة الصليبية الثانية، لأنه لم يشتبك عسكريا البتة مع تلك الحملة.

فالملك الألماني «كونراد الثالث» تعرَّض لهزيمة ساحقة في غرب آسيا الصغرىٰ علىٰ يد سلطان سلاجقة الروم مسعود وفقد كونراد ٩٠٪ من جيشه وأصيب بجروح وأخيرًا وصل بفلوله إلىٰ عكا.

أما «لويس السابع» ملك فرنسا فقد وَصَل إلىٰ أنطاكية وحاول «ريموند بواتييه» أمير أنطاكية و«جوسلين» الثاني أمير «الرُّهَا» السابق – حيث انتزعها منه عماد الدِّين زنكي سنة ٥٣٩ هجرية – حاول كل منهما استغلال الحملة لمصلحته. فطلب «بواتييه» بمهاجمة نور الدِّين في حلب؛ لأنه يشكل تهديدا لأنطاكية. أما «جوسلين الثاني» فطلب أن تتجه الحملة لاسترداد «الرُّهَا» ؛ لأنها ما جاءت إلا ردًّا علىٰ سقوطها!

ولكن لويس السابع رفض طلبهما ولحق «بوكنراد» في عكا حيث عقد الاثنان مجلسًا حربيًّا مع قادة مملكة بيت المقدس الصليبية وقرروا احتلال دمشق التي كان يحكمها معين الدِّين أنر، وكان حليفًا لمملكة بيت المقدس الصليبية.

وفوجئ أنر بقدوم الحملة نحو دمشق فحصّنها وأرسل يستنجد بسيف الدِّين بن زنكي أمير الموصل – وهو الشقيق الأكبر لنور الدِّين وأقوىٰ منه عسكريًّا وماليًّا – فجاء سيف الدِّين بجيشه إلىٰ حلب واتفق الأَخَوان سيف الدِّين ونور الدِّين علىٰ إرسال رسالة إلىٰ «أنر» يطلبان منه فتح أبواب دمشق لهما، فإن هزما الفرنج انسحبا منها وعادا إلىٰ بلادهما وإن انتصر الفرنج تحصَّنا بأسوار دمشق.

وكان «أنر» يدرك أنه لو دخل الزنكيون إلىٰ دمشق فلن يتركوها أبدا لذلك لم يجب علىٰ رسالتهما وصمد في دمشق، وحث المسلمين في دمشق علىٰ الجهاد وجعل مكافأة لكل من يأتي برأس فرنجي قدرها مئة دينار . وشنَّ الدمشقيون حرب عصابات شرسة ضد الصليبيين مستغلين بساتين غوطة دمشق في غرب دمشق، فاضطر الصليبيون للانتقال إلىٰ الجهة الشرقية حيث الصحراء فعانوا من نقص المياه.

واستخدم «أنر» احتشاد الزنكيين في حلب للمناورة مع الصليبيين وهددهم اذا لم ينسحبوا بتسليم دمشق لملك الشرق - يقصد سيف الدِّين - وقال للفرنج : «وأنتم تعلمون أنه لو مَلَك دمشق لما بقي لكم معه في بلاد الشام مقام». كما اختلف الصليبيون علىٰ من يمتلك دمشق قبل الحصول عليها، واتصل «أنر» بزعماء مملكة بيت المقدس وعرض عليهم تسليمهم قلعة بانياس علىٰ هضبة الجولان مقابل انسحابهم، فَقَبِلوا العرض، وانسحبت الحملة وعاد «لويس السابع» و«كونراد الثالث» إلىٰ أوروبا .

فالذي أنقذ دمشق هو «معين الدِّين أنر »- رغم خياناته السابقة بمحالفة مملكة بيت المقدس وزيارتها لحماية مملكته الدمشقية التي كان عماد الدِّين يسعىٰ للاستيلاء عليها ضمن مشروعه بناء جبهة اسلامية متحدة.

ثانيا : معركة عينتاب التي ذكر الشنقيطي أن نور الدِّين هزم فيها جيوش الفرنجة لم تكن البتة مع جيوش الحملة الثانية، وإنما مع عسكر إمارة «أنطاكية» بقيادة «ريموند بواتيه» .

وما لم يذكره الشنقيطي هنا لقرائه عن هذه المعركة الحاسمة (لأنه إما جاهل بتاريخ الحروب الصليبية أو لا يريد ظهور المزيد من الصفحات السود عن تاريخ الرافضة) هو أن «ريموند بواتييه» تحالف مع زعيم الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام علي بن وفا ووحَّد الإسماعيليون بقيادة هذا الباطني - علي بن وفا الكردي - قواتهم مع قوات «ريموند بواتييه» والتقىٰ بهم نور الدِّين في المعركة التي ذكرها الشنقيطي، وذلك سنة ٥٤٣ هجرية، وأباد قواتهما في المعركة وقتل «ريموند بواتييه» وعلي بن وفا، وأرسل رأس «ريموند بواتييه» وذراع علي بن وفا اليُمْنَىٰ في صندوق من الفضة إلىٰ بغداد هدية وبشارة للخليفة العباسي، كما قال المؤرخ الصليبي - المعاصر لحوادث هذه الفترة - وليم الصوري (وكان أسقُفًا لمدينة صور المحتلة من جانب الصليبيين).

فلماذا تجاهل الشنقيطي أو تكتَّم علىٰ هذه الحقيقة التاريخية عن هذه المعركة، علمًا أن وليم الصوري ضمن قائمة مصادره؟[١].

والأعجب أن الشنقيطي يشن علىٰ نور الدِّين هجوما شرسًا ويزعم[٢] أنه (بدأ حملة تصفية شاملة ضد الشيعة الإمامية والنزارية علىٰ حد سواء...) ويتهمه بالتَّشدد ضدهم في حين يتجاهل هنا اتحاد الدَّم الرافضي الصليبي ضد الدَّم السُّنِّي !!

ثالثا : ذكر الشنقيطي أن نور الدِّين أَسَر أميرين من أُمراء أنطاكية وهما علىٰ التوالي: جوسلين الثاني... ثم ريموند دي شاتيون .

وهذا خطأ فـ «جوسلين» هذا لم يتول أنطاكية البتة، وإنما هو أمير «الرهَا» التي حرَّرها منه عماد الدين. ثم استغل جوسلين موت عماد الدِّين سنة ٥٤١ وانقض علىٰ «الرهَا» واستولىٰ عليها ما عدا القلعة فهب نور الدِّين مسرعا واستردها منه، وهرب جوسلين إلىٰ إحدىٰ قلاعه، وكان له بعض القلاع في غربي الفرات فكلَّف نور الدِّين جواسيسه بمراقبته فرصدوه في رحلة صيد وأسروه ومات في أسره بحلب.

أمَّا الأمير الثاني فليس «ريموند دي شاتيون»، وإنما «رينو دي شاتيون» (أو ريجنالد) وهو الذي تسميه المصادر الإسلامية (أرناط) صاحب القصة المعروفة مع صلاح الدين.

◉ وفي ص ٧٢ قال الشنقيطي ما نَصّه :

(وأخيرًا نجد أن سلاطين المماليك الأتراك في مصر هم من حرَّروا الساحل الشامي من فلول الفرنجة، ومن هؤلاء ركن الدِّين بيبرس

---

(١) كما في صفحة ٢٨٨ من كتابه في أول تلك الصفحة.

(٢) كما في ص ١٦٦.

(٦٢٦ – ٦٧٦ هجرية/ ١٢٢٨ – ١٢٧٧م) سلطان مصر والشام الذي هزم جيش ملك فرنسا لويس التاسع في معركة المنصورة المشهورة بمصر عام ٦٤٧هجرية/ ١٢٥٠م) .

والصحيح أنَّ بيبرس لم يكن أثناء معركة المنصورة سلطانًا لمصر والشام، فقد كانت الدولة الأيوبية لاتزال قائمة، وكان قائد معركة المنصورة هو فخر الدِّين بن الشيخ الذي استشهد فيها وكان بيبرس جنديًّا في جيش الايوبيين خلال تلك المعركة، ولم يصبح بيبرس سلطانا علىٰ مصر والشام إلا سنة ٦٥٨ هجرية أي بعد أكثر من عشر سنوات من تاريخ معركة المنصورة.

◉ **ولم يكتف الشنقيطي بالخطأ الذي وقع فيه عن بيبرس عندما جعله سلطانًا علىٰ مصر والشام سنة ٦٤٧ هجرية زمن «معركة المنصورة» والدولة الأيوبية لا تزال قائمة، بل في الصفحة نفسها يقع الشنقيطي في خطأ آخر شنيع – يدل علىٰ جهله بالتاريخ – وعن بيبرس نفسه، فيقول ص ٧٢ عن منجزاته :**

(علىٰ أن الإنجاز العسكري الأعظم لبيبرس لم يكن ضد الفرنج، بل هو نصره المظفر علىٰ الجيوش المغولية في معركة عين جالوت عام ٦٥٨ هجرية/ ١٢٦٠م وهو نصر أنقذ العالم الإسلامي من خطر مميت لم يواجه مثله من قبل)!

وهذا الخطأ – القاتل – لا يمكن أن يقع فيه طلاب الابتدائية والإعدادية من المحيط إلىٰ الخليج؛ لأنهم يعرفون جميعا أن السلطان المظفر سيف الدِّين قطز هو الذي قاد المعركة بنفسه وأبلىٰ فيها بلاء حسنًا، بل هو الذي أعدَّ لها وقتل رُسل هولاكو وأمر بتعليق رؤوسهم علىٰ باب زويلة، وحشد كل موارد مصر لخوض المعركة، بينما كان بيبرس في نزاع وحرب شديدة مع قطز، وكان هاربًا منه في بلاد الشام مع المئات

من زملائه المماليك، وأخيرًا راسله واصطلح معه عندما أدرك أن الخطر المغولي سوف يعصف بهم جميعًا، فعاد إلىٰ مصر وانضم مع زملائه إلىٰ قطز وأصبحوا جُزءًا من جيشه الزاحف إلىٰ الشام.

ولم أجد ذكرًا لقطز في كتاب الشنقيطي!!

وفي الصفحة التالية ٧٣ نجد عبارة مليئة بالأخطاء.

وإليكم نصّها قبل عرض الأخطاء التاريخية فيها. قال :

(وحتىٰ الخوارزميون الأتراك - الذين وصلوا إلىٰ الشام وهاربين من العاصفة المغولية - كان لهم إسهامهم في المقاومة الإسلامية للحملات الصليبية. فبعدما دمَّر المغول الدولة الخوارزمية في بلاد فارس وعاثوا فسادا في أرجائها هربت فلولهم إلىٰ الشام، فكان لهم فضل استرجاع القدس من أيدي الصليبيين، الاسترجاع الثاني عام ٦٤٢ هجرية/ ١٢٤٤م، بعدما سلمها لهم الملك المتخاذل الكامل بن العادل الأيوبي. وفي العام ذاته شارك الخوارزميون مع القائد المملوكي بيبرس في معركة غزة التي قُتل فيها قائد فرسان الهيكل «الاسبطار» ومساعده).

وبيان هذه الأخطاء:

١ - استرداد الخوارزميون للقدس ليس الاسترداد الثاني مثلما قال الشنقيطي بل هو الاسترداد الثالث؛ ذلك أن الكامل سلَّم القدس للملك الألماني «فردريك الثاني» سنة ٦٢٦ هجرية، واستردها الاسترداد الثاني الناصر داود بن المعظم عيسىٰ بن العادل سنة ٦٣٧ هجرية، وخلال الحرب الأهلية بين الأيوبيين تَحالف بعض ملوك الشام الأيوبيين بقيادة أبي الخيش الصالح إسماعيل بن العادل ضد الصالح أيوب صاحب

مصر، وسلَّم أبو الخيش القدس للصليبيين سنة ٦٤١ هجرية واستردها الخوارزميون في السَّنة التالية ٦٤٢ هجرية وهو الاسترداد الثالث.

٢ - ظن الشنقيطي أنَّ بيبرس الذي شَارك مع الخوارزمية في معركة غزة هو القائد المملوكي المشهور الذي أصبح سلطانًا، والذي جعله الشنقيطي صاحب نصر عين جالوت!!

والحقيقة أنه شخصية أخرىٰ اسمه بيبرس الصالحي؛ لأنه مملوك للصالح أيوب وقد مَال إلىٰ الخوارزمية بعد انقلابهم ضد الصالح أيوب، فاستدرجه الصالح أيوب واعتقله بقلعة الجبل سنة ٦٤٤ هجرية فكان آخر العهد به.

٣ - فرسان الهيكل الذين فسَّرهم الشنقيطي بين قوسين بـ (الاسبطار) خطأ ففرسان الهيكل هم الداوية وليس الاسبتارية! وكل هذه الحوادث مفصلة في كتابي (بلاد الشام قبيل الغزو المغولي) في الفصلين الثالث والرابع مع مصادرها الأساسية في الحواشي.

وهذه الأخطاء الشنيعة في هذه الفقرة تبرهن علىٰ جهل الشنقيطي المطبق بتاريخ الدولة الأيوبية، حيث أصدر - كما سنرىٰ - أحكامـًا زائفة عليها بدون معرفة تاريخها حين زعم أنه كان هناك تحالف بين الشيعة الإمامية والإسماعيلية - مع الدولة الأيوبية واستمر ذلك التحالف طوال تاريخها.






نَظَراتٌ في:

الفصل الثاني

عَالَمٌ مُنْحَلُّ العُرَىٰ

الخريطة الطائفية عشيَّة الحروب الصليبيَّة




تمهيد

قبل نقد هذا الفصل يجب أن أذكر أن هذا الموضوع كان موضوعي لرسالة الماجستير ولكن بعنوان : (بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ٤٦٣ - ٤٩١ هـ/ ١٠٧٠- ١٠٩٨م)[١] .

وقد درسته بعمق ودقة في نحو ٤٠٠ صفحة، فتحدَّثت فيه عن كل ما يتعلق ببلاد الشام مثل : حملات الفاطميين للسيطرة علىٰ الشام، والمقاومة الشرسة التي أظهرها سكان الشام لهم، سواء أهل المدن أو القبائل العربية الشامية، والقرامطة وغاراتهم علىٰ الشام، والعلاقات العباسية والبويهية مع الفاطميين وظهور السلاجقة والقضاء علىٰ البويهيين وعلىٰ البساسيري عميل الفاطميين...والإمارات العربية في بلاد الشام، ودور الأقليات الدينية والعرقية في انقسام وتمزق بلاد الشام...إلخ .

والحق أن هذا الفصل من كتاب الشنقيطي يفوق في إساءاته للتاريخ الإسلامي ولجيل الصحابة رضوان الله عليهم جميعا أي كتاب كتبه مستشرق مغرض!!

⦿ السبب الحقيقي في التمزق الذي أصاب (مجتمعات الشرق المسلمة) عشية الحروب الصليبية:

حاول الشنقيطي في ص ٨١ - ٨٣ تفسير الانشطار والتمزق الذي أصاب (مجتمعات الشرق المسلمة) عشية الحروب الصليبية فلم يوفق في التفسير البتة رغم استشهاده بنصوص من ابن الأثير وابن القلانسي.

أما السبب الحقيقي الذي غاب عنه: فهو أن السلاجقة أعادوا لعالم الإسلام روحه ووحدته وقوته وبلغت الدولة السلجوقية في عهد السلطان ملك شاة أقصىٰ

---

(١) رسالتي هذه مطبوعة، ويمكن قراءتها وتحميلها من موقعي علىٰ الرابط الآتي:

https://alghamdiprof.com/k/shamS/shamS.pdf

اتساعها وامتدت حدودها من الصين شرقًا إلىٰ ساحل المتوسط غربًا بل واقتربت من مضيق البسفور في غرب آسيا الصغرىٰ.

ولو جاءت الحملة الصليبية زمن ملك شاة لكان مصيرها الدمار التام . وكان السلطان ملك شاة قد عهد لابنه «بركياروق» بولاية العهد، ولكن السلطان تزوج فتاة جميلة هي تركان خاتون فأنجبت له ابنه محمود، وأقنعت ملك شاة بنقل ولاية العهد من «بركياروق» إلىٰ ابنها الطفل محمود واستجاب السلطان لزوجته المدللة فحقق مطلبها. وحَدَث ما لم يكن في الحسبان فقد توفي السلطان ملك شاة سنة ٤٨٥ هجرية وهو لايزال في التاسعة والثلاثين من عمره. فاعلن «بركياروق» نفسه سلطانًا علىٰ الدولة السلجوقية بينما أعلنت «تركان خاتون» ابنها الطفل محمود سلطانًا أيضًا، وانضم إليها عدد من القادة، وحدثت الحرب الأهلية بين السلاجقة، واشترك في الحرب «تتش» شقيق «ملكشاة» وملك الشام، مطالبًا بعرش السلطنة لنفسه وقُتل «تتش» في تلك الحرب الأهلية سنة ٤٨٨ هجرية، وانقسمت مملكته في الشام بين ابنيه : دقاق في دمشق، ورضوان في حلب، ووقعت الحرب بينهما واستعرت، وبينما كان رضوان ومعه بعض القادة يحاصرون دقاق في دمشق، وإذ بهم يسمعون بوصول الحملة الصليبية إلىٰ أنطاكية.

هذا هو سبب التشرذم والانقسام الذي حَدَث للدولة السلجوقية، وهي لاتزال في سن الشباب. ويمكن لنا أن نشبه الدولة السلجوقية بصخرة عظيمة تحطمت فجأة وتحولت إلىٰ شظايا. ثم يتخذ الشنقيطي من هذه الانقسامات مدخلًا ليعود إلىٰ عصر صدر الإسلام وينظر له من خلال نظارة خمينية، فيطعن في خير القرون.

وهل للقرون الأولىٰ علاقة بعشية الحروب الصليبية؟! .

إنه الهوىٰ الطائفي والحقد علىٰ خير جيل في أمة الإسلام.

◉ **يقول الشنقيطي ص٨٣ ، ما نَصّه :**

(إن لهذه الشقاقات السياسية والمذهبية جذورها التاريخية الضاربة في القدم، فرغم أن الإسلام حمل رسالة كونية وألَـحَّ علىٰ أُخوة الإيمان منذ البداية فإن السياق الاجتماعي والثقافي في الجزيرة العربية - حيث ظهر الإسلام أول ما ظهر - لم يكن سياقا توحيديًّا لا بالمعنىٰ الاعتقادي ولا بالمعنىٰ الاجتماعي، فالعصبيات القبلية السائدة في الجزيرة العربية آنذاك كانت تتأبَّىٰ علىٰ أي تعريف كوني للأخوة الإيمانية أو الرابطة الإنسانية).

ولكن القرآن الكريم دحض سلفًا هذه الرؤية الزائفة المغرضة التي تهدف إلىٰ نفي تأثير الإسلام في نفوس خير القرون، فقرر الله سبحانه وتعالىٰ أن المؤمنين أصبحوا بنعمة الله إخوانًا، فقال : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

⊙ طعن الشنقيطي في الفتوحات الإسلامية:

◉ **ثم يطعن في الفتوح الإسلامية مستشهدًا بمحمد إقبال - القائل بوحدة الوجود والذي يتماهىٰ في فكره مع أفكار الحلاج - فيقول الشنقيطي، ص ٨٣ ـ ٨٤ :**

(ثم أضافت الفتوح الإسلامية السريعة تعقيدًا جديدًا إلىٰ تلك المشكلات البنيوية. وقد لاحظ الفيلسوف محمد إقبال أن مَا كَسَبه الإسلام خلال الفتوح الأولىٰ من الامتداد كان خسارة له في العمق فكتب

يقول: « إنني اعتبر من الخسارة الكبرىٰ أن تقدُّم الإسلام كإيمان فاتح أدَّىٰ إلىٰ تجميد نمو أجندة التنظيم الاقتصادي والديمقراطي للمجتمع التي أجدها مبثوثة في صفحات القرآن والسُّنَّة النبوية. ليس من ريب أن المسلمين نجحوا في بناء إمبراطورية عظيمة، لكنهم - وهم يفعلون ذلك - أعادوا الروح الوثنية إلىٰ قيمهم السياسية وأَضَاعوا بعض الإمكانات العظيمة الكامنة في دينهم ») .

وتأملوا كل آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ فلن تجدوا كلمتي (الوثنية السياسية) إلا عند الشنقيطي وأمثاله الذين يهدفون إلىٰ تزوير الدِّين.

⊙ تطاول الشنقيطي علىٰ الصحابة رضي الله عنهم، وجعله بيعة السقيفة هي البذرة الأولىٰ للفتنة الكبرىٰ:

وفَصْلُ الشنقيطي هذا كما زعم في عنوانه يتحدث عن الخريطة الطائفية عشية الحروب الصليبية، ولكننا نراه لا يلتزم بما حدَّده في عنوانه، فيرجع خمسة قرون تبعا للهوىٰ، والغرض السيّئ الذي يصُبُّ في مصلحة الخمينية؛ ليطعن في بيعة السقيفة حيث اعتبرها البذرة الاولىٰ للفتنة الكبرىٰ والمأزق الدستوري الذي لم تخرج منه أمة الإسلام إلىٰ اليوم!

فهل سيخرجها الشنقيطي من هذا المأزق ؟

ولم يكتف الشنقيطي بالرجوع خمسة قرون وهو يتحدث عن موضوع كان عشية الحروب الصليبية، بل نجده يقفز إلىٰ العصر الحالي ليعرض أراء آياته العظمىٰ مثل الخميني والخراساني والكوراني في الأئمة ومكانتهم الإلهية والكونية. كما سنرىٰ بعد قليل!!

وليس هذا الخروج والاستطراد فقط عن الموضوع، بل نجده يصمت صمتًا مريبًا عن الحديث عن غزوات الفاطميين للشام في بقية القرن الرابع والقرن الخامس الهجري وما اقترفوه من مجازر لا تدخل تحت حصر بحق أهل بلاد الشام، ويذهب إلىٰ مملكة محمود الغزنوي في أقصىٰ الشرق ليندد بسياسته تجاه الشيعة عِلْمًا أن محمود الغزنوي مات قبل الحملة الصليبية بنحو ٧٠ عامًا.

ولا يذكر الشنقيطي كلمة واحدة عن ذبح الجيش الفاطمي لسكان «صُور» سنة ٤٩٠ هجرية، والحملة الصليبية تعبر آسيا الصغرىٰ في طريقها إلىٰ الشام !!

◉ **قال الشنقيطي في ص ٨٤ – ٨٥ ما نَصّه:**

(ثم انضاف إلىٰ تلك التصدعات الكامنة ذلك الانشطار المبكر حول موضوع الشرعية السياسية، المعروف في التاريخ الإسلامي باسم الفتنة الكبرىٰ. لقد بدأ الشقاق السياسي داخل الجماعة المسلمة الأولىٰ في اليوم ذاته الذي توفي فيه النبي ﷺ، وهو الشقاق الذي سيتحول في القرون اللاحقة إلىٰ انشطار اعتقادي كما سنرىٰ. وكنا أشرنا في كتابنا عن الخلافات السياسية بين الصحابة إلىٰ أن أزمة الحضارة الإسلامية أزمة دستورية في جوهرها. وهي أزمة بدأت بذرتها ليلة السقيفة وتحولت إلىٰ فتنة عمياء في الجمل ثم شبت حرب هوجاء في صفين. وقد انتصرت في صفين القوة علىٰ الحق، والبغي علىٰ العدل والملك علىٰ الخلافة ولا يزال المسلمون عاجزين عن الخروج من هذا المأزق الدستوري إلىٰ اليوم).

لقد بغىٰ الشنقيطي وطغىٰ وكذب وزيّف هذا الهراء حيث جعل بيعة السقيفة هي البذرة الأولىٰ للفتنة الكبرىٰ حيث اقتفىٰ أولاً: خُطىٰ إمامه الخميني، فهذا القول الباغي للشنقيطي لا يعدو أن يكون شرحـًا وإعادة صياغة لما قاله الخميني في كتابه

كشف الأسرار حيث قال:

(وواضح بأن النبي لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقـًا لما أمر الله به، وبذل المساعي في هذا المجال، لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك ولما ظهر ثمة خلافات في أصول الدين وفروعه)(١) .

وثانيـًا: اقتفىٰ الشنقيطي خطىٰ غلاة المستشرقين والروافض الذين طعنوا في الصحابة!!

في رسالته للماجستير التي قدّمها الباحث عبدالعزيز بن سليمان المقبل في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وعنوانها (خلافة أبي بكر الصديق) والتي طبَّق فيها منهج المُحَدِّثين باعتماد الرِّوايات الصحيحة ونبذ الرِّوايات الضعيفة.

يقول ص ٤٢ ما نَصّه:

(ومن استعراض الروايات الصحيحة لاجتماع السقيفة ومبايعة أبي بكر خليفة يتبين أن الاجتماع لم يدم طويلًا، ولم تجر فيه مناقشات طويلة بين المهاجرين والأنصار، أو تنافس وصراع علىٰ تولي الخلافة أو حدّة في الكلام او تهديدات أو عراك بالأيدي بين المجتمعين . وهذا كله مما صورته بعض الروايات الضعيفة التي وَرَدَت عن اجتماع السقيفة والتي تناقلها المؤلِّفون المعاصرون. فشوَّهوا الصورة الوضَّاءة لذلك الاجتماع التاريخي الرفيع الذي قرَّر مصير الخلافة والدولة الإسلامية بحزم وترفُّع وإحساس كبير بالمسؤولية يستعلي علىٰ التفاهات والأهواء)(٢) .

(١) انظر أيضا: موقع المسلم علىٰ النت، تحت عنوان: «إهانة الخميني وإساءته للرسول وصحابته» .

(٢) انظر أيضا: أكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة ،ط العبيكان، ص ٥١ .

فبيعة السقيفة لا صِلَة لها البتَّة بالفتنة الكبرىٰ، فالفتنة الكبرىٰ التي شقَّت صفوف المسلمين سببها الأيدي الخفية اليهودية والمجوسية التي حرَّضت وقادَت ذوي النزعات الخوارجية علىٰ عثمان رضي الله عنه وأَدَّت إلىٰ قَتْله. وبعد ذلك يتحدث الشنقيطي عن ما أَسْمَاهُ التطور الذي حدث للتَّسَنُّن والتشيع ويعقد مقارنات زائفة وغير صحيحة بينهما.

وقبل أن نعرض بعض آرائه نلفت نظر القُرَّاء الكرام أن المقارنة الصحيحة لا تكون إلا بين شيئين متكافئين.

والمقارنة بين السُّنَّة والشيعة مقارنة غير متكافئة. فالسُّنَّة هم أمة الإسلام والشيعة هم الأقلية الضئيلة التي خرجت عن الأمة. وهذه حقيقة تعرفها الأمة. ولكن الشنقيطي عقد مقارنته الزائفة وغير المتكافئة وأَسَاء للأمة إساءآت بالغة.

◉ **ومن مُقُارناته: ما كتبه في ص ٨٥ ، حيث قال ما نَصّه:**

(إنَّ وضع الشِّقاق السُّنِّي الشيعي في سياقه التاريخي يستلزم الاعتراف أولا: بأن التَّسَنُّن والتشيع لم يتبلورا في صيغة مدرستين اعتقاديتين متوازيتين إلا في العصر العباسي فقد كان من أهم الظواهر الثقافية التي ظهرت في العصر العباسي الأول أن تحول التشيع من رؤية سياسية إلىٰ بنية اعتقادية وتحول التَّسَنُّن من فضاء مفتوح من الأفكار والقيم إلىٰ نظام اعتقادي مغلق محدد المعالم والحدود..) .

والحق أن هذا القول ينطبق علىٰ التشيع فقط وليس علىٰ التَّسَنُّن.

فعقيدة أهل السُّنَّة وهي (العقيدة الإسلامية) واضحة ومكتملة المعالم في القرآن والسُّنَّة. وكل الذين صنَّفوا في العقائد عبر العصور لم يأتوا بشيء جديد من عندهم وإنما اعتمدوا علىٰ قال الله تعالىٰ .. ، وقال رسوله ﷺ ...

أما الشيعة فاعتمدوا علىٰ أكاذيب الفُرْس الذين أتوا بعقائد مقتبسة من الأديان السابقة للإسلام بما فيها عقيدة الأئمة الأساسية التي لا يوجد نص صريح في القرآن يؤيدها.

◉ ثم يقتبس الشنقيطي نصًّا من مستشرق عن الشيعة ثم يتعسَّف ويطبقه بصلافة علىٰ السُّنَّة ، فيقول ص ٨٥ ما نَصّه:

> **(لقد أحسن هودغسون التوصيف إذ بيَّن أن الشيعة لم تكن يوم ذاك طائفة ولا كان هناك انشطار للإسلام بين تشيع وتَسَنُّن فالشيعة والعثمانية كانا مجرد موقفين من قضية الإمامة لا انشطارا شاملا في صف المؤمنين. وما ذكره هودغسون عن التشيع يَصْدُق علىٰ التَّسَنُّن بنفس الدرجة، فهو لم يكن حينذاك عقيدة محددة المعالم . لكن ما كان في القرنين الهجريين الأول والثاني وجهة نظر سياسية ضمن جدل واسع حول الشرعية السياسية في الجماعة المسلمة تحول في القرنين الهجريين الثالث والرابع نظاما اعتقاديا، ورؤية غيبية، وذاكرة تاريخية).**

ولا أظن مسلمًا قرأ القرآن وفَهِمَهُ فهمًا صحيحًا يقبل هذا التوصيف المُجْحِف للتسنن من جانب الشنقيطي!!

وفي الفقرة الأخيرة من ص ٨٦ يكرر الشنقيطي تطاوله المَقِيت علىٰ الصحابة رضوان الله عليهم وزَعْمه الكذوب أن الأزمة الدستورية استمرت كامنة في قلوبهم مثل علي بن أبي طالب وسعد بن عبادة رضي الله عنهما، فيقول ما نَصّه:

> **(لقد استطاع الصحابة رضي الله عنهم التغلب مؤقتًا علىٰ الأزمة الدستورية التي فرَّقت كلمتهم قبل أن يُودعوا جثمان النبي ﷺ الثرىٰ، وذلـك من خلال التفاهم علىٰ ترشيح أبي بكر الصديق لمنصب الخلافة ليلة السقيفة ثم ببيعته العامة في المسجد خلال اليوم التالي. بيد**

أن الأزمة استمرت في قلوب بعض قادة المجتمع، وأشهرهم علي بن أبي طالب الذي رأىٰ نفسه أَوْلىٰ بالخلافة من الصدّيق، وسعد بن عبادة الذي رأىٰ أن الأنصار أَوْلىٰ بهذا المنصب من المهاجرين. وقد وُلد التشيع في نهاية المطاف من بذرة الامتعاض الذي ظهر ليلة السقيفة، وظل إلىٰ اليوم متشبثـًا بحق علي وذريته في القيادة).

ويمكن لنا دحض هذه المفتريات في النقاط التالية :

١- زَعْم الشنقيطي بوجود أزمةٍ دستورية فرَّقت كلمة الصحابة قبل دفن النبي ﷺ فيه إتهام مُبطّن وباطل للنبي ﷺ بأنَّه خلَّف للصحابة هذه الأزمة الدستورية التي ابتدعها الشنقيطي، وهي التهمة نفسها التي اتهم خميني بها النبي ﷺ صراحة كما رأينا آنفـًا، مع العلم أنَّ مصطلح (أزمة دستورية) مصطلح غربي حديث لا يمتُّ للإسلام ومصطلحاته بِصِلَة. وبحمد اللَّه تعالىٰ ما توفي النبي ﷺ إلَّا وقد أكمل اللَّه لأمته دينها ووَضَعَها علىٰ المحجَّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. ونزل قوله تعالىٰ ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

والنبي ﷺ كان يعلم أن أبا بكر سيخلفه، بدليل ما جاء في الصحيحين[١] : أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: الْمَوْتَ ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ». وأمْرُ النبي ﷺ أبا بكر بالصلاة بالمسلمين أثناء مرضه فيه إشارة صريحة بفضيلته علىٰ سائر الصحابة وأنه الخليفة من بعده.

٢- اعتراف الشنقيطي بالتفاهم بين الصحابة علىٰ ترشيح أبي بكر للخلافة ليلة السقيفة وبيعته العامة في المسجد خلال اليوم التالي، في هذا الاعتراف من الشنقيطي

(١) أخرجه البخاري في (٣٦٥٩) ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

نقض - وبدون وعي منه - لنظرية الأزمة الدستورية التي ابتدعها في هذا الكتاب وصنّف فيها كتابه الآخر (الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية) .

٣- زعمه أن الأزمة استمرت في قلوب بعض قادة المجتمع وأشهرهم عَلِيّ وسعد بن عبادة فرية وكذبة لا سَنَد لَهَا. ولم يذكر لنا الشنقيطي مصدره في هذه الفرية. فهل شقَّ عن قلب علي وسعد وعرف ما فيهما ؟!

وهناك روايات صحيحة تُبين أنَّ عليًّا رضي الله عنه بايع أبا بكر أثناء البيعة العامة وجاء علىٰ لسانه بسندٍ صحيحٍ دحض لفرية الشنقيطي الزائفة أنه قال: «مَا غَضِبْنَا إِلَّا لِأَنَّا قَدْ أُخِّرْنَا عَنِ الْمُشَاوَرَةِ ، وَإِنَّا نَرَىٰ أَبَا بَكْرٍ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ لَصَاحِبُ الْغَارِ ، وَثَانِي اثْنَيْنِ ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ بِشَرَفِهِ وَكِبَرِهِ ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَهُوَ حَيٌّ»[١].

فمن أين جاء الشنقيطي بزعمه الكذوب وفريته المقيتة أن علي بن أبي طالب رأىٰ نفسه أحق بالخلافة من الصديق؟

أما زعمه عن سعد بن عبادة فينقضه أنه بعد النقاش بين المهاجرين والأنصار اقتنع الأنصار بحجة أبي بكر. ولما ذكَّرهم عمر رضي الله عنه بأمر النبي لأبي بكر بالصلاة بالناس، قال لهم: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّ النَّاسَ، فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ[٢] .

---

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» (٤٤٤٨) وقال : « صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ » والبيهقي في «سننه الكبير» (١٦٦٨٤) ، وانظر: أكرم العمري؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٥٤ ومصادره في حاشية رقم ٢ التي فيها الحُكم بصحّة سنده، والذي ينسف افتراء الشنقيطي عليه .

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبىٰ» (٧٧٦) والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٥٥) وأحمد (١٣٥) ، (٣٨٤٢) ، (٣٩١٩) وانظر : أكرم العمري؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٥٠ - ٥١ .

أما في الصفحتين التاليتين ٨٧ – ٨٨ فيُورد الشنقيطي آراء أبي جعفر الطوسي، ثم يورد آراء الخميني في الولاية المطلقة حيث زعم أن (الأئمة لهم ولاية مُطلقة يمتلكون بمقتضاها حق التصرف في مصائر البلاد والعباد فهم نُوَّاب اللَّه في أرضه المختصون بفهم كلماته والقادة الشرعيون لعباده).

ثم ينقل الشنقيطي رأي آيته العظمىٰ الوحيد الخراساني حيث يقول :(إنَّ إمام العصر عليه السلام صار عبدًا وعندما صار عبدًا صار ربًّا فالعبودية جوهرة كنهها الربوبية) .

◉ **ويواصل الشنقيطي عرض أقوال الخراساني فيقول:**

(ويُخاطب الخراساني الإمام المنتظر بقوله: «جبرائيل شيء فهو ذليل لكم، وميكائيل كذلك. العرش شيء فهو ذليل أمام ساحتكم، إنه ذليل قبال إمام العصر عليه السلام. الكرسي واللوح والقلم هي أشياء، فهي خاضعة وذليلة لدىٰ الحجة ابن الحسن عليه السلام. هناك يذل كل شيء ويخضع».

ثم يضيف الشنقيطي القول : (ولا يزال علي الكوراني تلميذ الوحيد الخراساني، يصر علىٰ هذه الرؤية التأليهية للأئمة، وينتقد علماء الشيعة الذين رفضوها، من أمثال العلامة الفيلسوف محمد باقر الصدر، ويتهمهم باستبطان أفكار غربية وسنية)

ولن أناقش هذه الزندقة من أمثال الخميني والخراساني والكوراني التي أوردها الشنقيطي في كتابه. ولكني أتساءل ويجب ان تتساءلون معي : ما دخل هؤلاء في موضوع يتعلق بالحروب الصليبية، وفَصْلٌ زَعَم مؤلِّفه أنه يرسم فيه الخريطة الطائفية عشية الحروب الصليبية؟ وعِلمًا بأن المكان الذي جَرَت عليه الحروب الصليبية

هو بلاد الشام. وكان عليه رسم الخريطة هناك ليشرح كيف سيطر الفاطميون عليها ومقاومة أهل الشام الباسلة للفاطميين والمذابح المروعة التي ارتكبها الفاطميون فيها والتي لا يُضارعها الا مذابح بشار وأسياده المجوس في سوريا اليوم.

ولكن الشنقيطي لم يُشِر لشيء من ذلك!!

◉ ويواصل الشنقيطي أباطيله وأكاذيبه، فينتقل من العدوان علىٰ الصحابة رضوان الله عليهم إلىٰ العدوان علىٰ الإسلام وعقائده.

فيقول في ص ٨٨ - ٨٩ ما نَصّه :

(وبعد عدد من الحروب الطاحنة استطاعت السلطة الأموية أن تجمع شتات الأمة وتؤسس إمبراطورية قوية البناء فسيحة الأرجاء. وكان مما ساعد الأمويين علىٰ إنجاز هذه المهمة عدم وجود سنة وشيعة بالمعنىٰ الاعتقادي في ذلك الحين، وإنما كانت توجد شيعة سياسية تناصر علياً وخلفاءه من آل البيت النبوي، وعثمانية يساندون عثمان وخلفاءه من البيت الأموي، دون خلاف اعتقادي بين الخصمين. بل يمكن القول : إنه لم تكن توجد «عقيدة» إسلامية أصلا في ذلك الحين، وإنما كان يوجد يوم ذاك إيمان مفتوح، قائما علىٰ البساطة وحسن الظن، ساعيا إلىٰ الاكتساب، والاستيعاب. وسنبين فيما بعد الفرق بين الإيمان المفتوح والعقيدة المغلقة) .

ويمكن لنا دَحْض هذا الكذب الفاضح فيما يلي:

١- نفيه وجود سنة وشيعة بالمعنىٰ الاعتقادي باطل من أساسه.

فالسُّنَّة كانوا هم السَّواد الأعظم في الأمة؛ أما الشيعة وهم الأقلية فقد ظهروا بالمعنىٰ الاعتقادي حتىٰ في عهد علي رضي الله عنه، ومنهم أولئك الذين قالوا

بألوهيته وموقفه منهم، وهذا موضوع يطول شرحه ولن أدخل في تفاصيله؛ لأنه معروف لكل دَارسي التاريخ الإسلامي. ونجد الغلو الاعتقادي الشيعي أيضا في حركة التوابين بقيادة المختار الثقفي.

٢- أما زعم الشنقيطي الكذوب بأنه لم تكن (توجد عقيدة إسلامية أصلا **في ذلك الحين)** فهذا الزعم الباغي سرقه الشنقيطي - المهووس بأطروحات المستشرقين - من غلاة أولئك المستشرقين المعادين للإسلام الذين هالهم ضخامة هذا النظام العقدي والتشريعي السامي البديع الذي جاء به النبي محمد ﷺ ونظم كل أُمور البشر في الدنيا والآخرة. فزعم المستشرقون أن كل هذا النظام الشامل صنعه المسلمون خلال القرون الأولىٰ بل ومنهم من أنكر وجود القرآن زمن النبي عليه الصلاة والسلام. فجاء الشنقيطي بعد أن احتسىٰ تلك الآراء الاستشراقية ليتقيأها في كتابه هذا، ويروجها بين المسلمين!

٣- ونهاية عبارة الشنقيطي توضح قصده حين حدد أن الإسلام حينذاك مجرد **(إيمان مفتوح قائمًا علىٰ البساطة وحسن الظن ساعيا إلىٰ الاكتساب والاستيعاب)**

وهذه العبارة واضحة؛ لأنه يتحدث عن عقيدة الإسلام التي لم تكن موجودة أصلًا بزعمه الكذوب، وأنها لا تزال في مرحلة الاكتساب والاستيعاب من الأديان والعقائد الأخرىٰ. فهل يوجد مسلم يُقر هذا الهراء ؟

أليست عقائد الإسلام كلها مفصَّلة وواضحة في القرآن وضوح الشمس؟

⊙ اعتداء الشنقيطي علىٰ عقيدة الإسلام :

ويأتي الشنقيطي في ص ٩١ ليشرح ما وَعَد به من بيان الفرق بين الإيمان المفتوح والعقيدة المغلقة!!

وفي شَرْحِه لهذا الفَرْق يرتكب جُرْمًا بحق دين الإسلام لا يغتفر حين يشبهه بما حَدَث للنصرانية في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م الذي ترأسه الإمبراطور قسطنطين، والذي وضع عقيدة الثالوث التي لا تمتُّ بصلة لما جاء به عيسىٰ عليه السلام.

◉ **يقول الشنقيطي في ص ٩١ ، ما نَصّه :**

> **(ولم يكن للإسلام حتىٰ مطلع العصر العباسي عقيدة رسمية ذات صياغة فلسفية حجاجية فكان يكفي الإنسان ليكون مسلما أن يعلن شهادة أن «لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» دون أي تعقيدات كلامية أو لغوية او فلسفية. وما كانت لدولة الراشدين أو للدولة الأموية سياسة اعتقادية رسمية. بيد أن الأمر تغير مع الخلفاء العباسيين الذين ورَّطوا أنفسهم في الخوض في دقائق العقائد ولجاجاتها، كما تورط قبلهم أباطرة الرومان في القرن الرابع الميلادي، وكان مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م خلاصة ذلك التورط الروماني. ويمكن القول إجمالا إن العصر العباسي شهد تحول الإيمان المفتوح إلىٰ «عقيدة مغلقة» في السياق الإسلامي، وهو أمر يحدث في تاريخ كل الأديان).**

ويمكن دحض هذه الزندقة فيما يلي:

١ - ليس الأمر مثلما زعم الشنقيطي أنه قبل العصر العباسي يكفي الإنسان أن ليكون مسلما أن يعلن شهادة أن لا اله إلا اللَّه وأن محمدا رسول اللَّه.

فهذه أساس عقيدة الإسلام، ولكن العقيدة لها مقتضيات، ومن مقتضياتها أداء الزكاة، ولما امتنعت بعض قبائل العرب عن أداء الزكاة قَاتلهم الصديق ومعه كل الصحابة رغم إقرار تلك القبائل بالشهادتين. وفي هذا دحض ساحق لزعم الشنقيطي.

وفي العصر العباسي ظل الحال علىٰ ما كان عليه في صدر الإسلام، والدليل

علىٰ ذلك قيام الخليفة العباسي المهدي باستحداث منصب صاحب الزنادقة لمعاقبة وتتبع ومحاكمة كل من يُحاول الاكتساب والاستيعاب من عقائد الأديان الاخرىٰ وإدخالها في عقائد الإسلام.

◉ وإذا كان المأمون وأَخَوَاهُ المعتصم والواثق قد تأَثَّروا بالمعتزلة، وقالوا ببدعة خلق القرآن التي تَصَدَّىٰ لها الإمام أحمد بن حنبل وبيّن الحق للأمة؛ فإن الأمر عاد زمن المتوكل إلىٰ ما كان عليه في صدر الإسلام.

والعلماء وعلىٰ رأسهم أهل الحديث هم الذين ظلُّوا القدوة الصحيحة لعامة الناس في اعتقاد ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

أمَّا زَعْم الشنقيطي بأنَّه حَدَث للإسلام ما حَدَث للنصرانية وكل الأديان المحرَّفة من تحول الإيمان المفتوح إلىٰ عقيدة مغلقة؛ فهو تشبيهٌ باغٍ وتكذيب مفضوح؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، والذكر هو القرآن الذي يحوي كل عقائد الإسلام.

ثم يسهب الشنقيطي في الهراء الإنشائي المغرض. وقبل عرض ما يقوله لاحظوا معي وصفه الإسلام بـ (العقيدة المغلقة) لأني سأبين لكم الهدف من وراء ذلك.

قال في ص ٩١ – ٩٢ ما نَصّه:

> **(وربما يحسن بنا الآن أن نميز بين ما نقصده بالإيمان المفتوح وما نقصده بالعقيدة المغلقة. فالإيمان المفتوح اختيار شخصي دون اختبار من الآخرين، واتفاق علىٰ معنىٰ عام كالشهادتين مثلًا دون خوض في دقائق مدلوله. وقد عرف الصحابة والتابعون الإيمان المفتوح ولم يعرفوا العقيدة المغلقة، وانشغلوا بتحقيق مقتضيات الإيمان في عالم الشهادة عن الجدل في دقائقه الغيبية. أما العقيدة فهي تفسير ضيق**

للإيمان تحميه سلطة سياسية واجتماعية، وتسوير لذلك التفسير دون غيره من التفسيرات والفهوم التي تظهر في مجتمع المؤمنين - بسور من القمع والزجر، فالإيمان إجمال والعقيدة تفصيل، والإيمان بساطة والعقيدة تعقيد، والإيمان فطرة والعقيدة تكلف، والإيمان باب مفتوح والعقيدة سور منيع، والإيمان يخدم الإنسان والعقيدة تخدم الدولة. ولا يمكن فهم الشقاق السُّنِّي الشيعي في بُعده الاعتقادي إلا بفهم تحول الإيمان الإسلامي المفتوح الذي كان سائدًا في العهد النبوي والراشدي إلىٰ العقيدة المغلقة التي تَقَاتلت الطوائف علىٰ امتلاكها واحتكارها في العهود التالية).

فتأملوا هذا الهراء العجيب!

أمَّا الهدف من وصف الشنقيطي للإسلام بـ (العقيدة المغلقة) فهو تحقيق رغبة المستشرقين في إزالة الإسلام. فقد أقنع المستشرقون تلميذهم الشنقيطي - الذي تربَّىٰ علىٰ أعينهم كما رأينا في مقدمته - بأنَّ التقدَّم لا يمكن أن يتحقق للمسلمين إلا بالخَلاص من عقيدتهم المُغَلقة.

وإليكم الدليل من كُتب أَحَد المستشرقين وصاحب أكبر موسوعة في تاريخ الحروب الصليبية في الغرب :

قال رنسيمان في الجزء الثالث من كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» الذي استخدمه الشنقيطي في كتابه هذا - الذي ننقده - ما نَصّه : (اقتصر المسلمون علىٰ الاحتجاب وراء عقيدتهم، علىٰ أنه ليس بوسع كل عقيدة متزمتة أن تتقدَّم)[1] .

فجاء الشنقيطي لتقبيح هذه العقيدة في نظر المسلمين كي يمكن إزالتها من حياة

(١) ج ٣ ص ٧٨٨ من الترجمة العربية .

المسلمين وبتحطيم هذا السور - سور العقيدة الإسلامية - المُعقّد بزعمه الكذوب - يتقدم المسلمون حسب رؤية الشنقيطي الباغية!!

وبعد ذلك ص٩٢ يتحدث الشنقيطي عن الخلافة العباسية ويصف المأمون والمعتصم والواثق بأن لهم ميول شيعية. ويتحدث في الصفحة التالية عن الاعتزال ومحنة خلق القرآن.

⊙ منظار أعور وصورة وردية يرسمها الشنقيطي للتشيع وهو في ذروة مجده:

ثم ينتقل إلىٰ القرن الرابع ويتحدث بنشوة عن صعود التشيع في هذا القرن ويستدل بقول للمستشرق «ماسينيون ويستدرك عليه.

◉ ثم يعلق بمدح الدولة الفاطمية فيقول ص ٩٤ - ٩٥ ما نَصّه :

(وقد صاغ المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون مصطلح (القرن الإسماعيلي) قاصدا القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لأنه القرن الذي أسس في مطلعه الإسماعيليون أعظم الإمبراطوريات الشيعية في التاريخ الإسلامي، وفيه ألَّف القاضي النعمان (ت ٣٦٣ هجري/ ٩٧٤م) أعماله الاعتقادية والفقهية التي تُعتبر نصوصا تأسيسية للمذهب الإسماعيلي. ومن الوجوه التي عاشت في ذلك القرن والذي يليه الفيلسوف الطبيب ابن سينا ٣٧٠ - ٤٢٨ / ٩٨٠ - ١٠٣٧م. ولو كان ماسينيون توخىٰ الدقة لما دعاه القرن الإسماعيلي فقط، بل لدعاه القرن الشيعي بشكل أعمّ فقد غطّىٰ التشيع في ذلك القرن العالم الإسلامي سياسيا وفكريًّا، بشكل أرحب من الظاهرة الإسماعيلية.

فإضافة إلىٰ الدولة الفاطمية الإسماعيلية وُلدت في ذلك القرن دول شيعية إمامية عدة، منها السلطنة البويهية في بغداد والإمارة الحمدانية في حلب. هذا من الوجهة السياسية. أما الناحية الدينية والثقافية فيكفي أن ندرك أن عام ٣٥٨هجرية/ ٩٦٣م الذي شهد سيطرة الدولة الفاطمية علىٰ مصر هو العام الذي شهد أول ترسيم علني لشعائر عاشوراء، وتحوّلها جزءاً من منظومة العبادة الشيعية الراتبة، وذلك برعاية السلطة البويهية الإمامية في بغداد).

ولا شك أن هذه الصورة الوردية التي رسمها الشنقيطي للتشيع وبلوغه ذروة مجده سنة ٣٥٨هجرية تُبهج الخمينيين وذيولهم في العراق واتباعهم مثل حسن وحزبه في لبنان وياسر الحبيب ومريديه في الغرب.

ولكن يجب أن نخبر القراء الكرام أن الشنقيطي أعور نظر للتاريخ في هذه الحقبة بعين واحدة طائفية ولم ينظر له نظرة تاريخية شمولية فاحصة .

ففي هذه الحقبة التي يصل فيها الرفض قمة مجده التاريخي كانت جيوش الروم تجوس خلال ديار المسلمين وكأنها في نزهات حربية لا تجد من يرد لها نشابًا.

فقد احتل ملك الـروم «نقفور فوكاس» جزيرتي «كريت» و «قبرص» من المسلمين ثم زحف علىٰ الثغور الشامية ، واقتحم عاصمة الثغور «طرسوس» ودخل ومعه جيشه إلىٰ «جامع طرسوس الكبير»، وصعد علىٰ المنبر وخاطب قادته قائلًا: (يا معشر الروم أين أنا؟ قالوا : أنت علىٰ منبر طرسوس قال: لا بل أنا علىٰ منبر بيت المقدس فإن هذه كانت تمنعكم تلك) . أي أن ثغر «طرسوس» كان خط الدفاع الأول لمنع الروم من الوصول إلىٰ الشام وإلىٰ القدس.

ثم أمر «نقفور» بنصب بابين في «طرسوس»، أحدهما: جهة بلاد الروم وعليه

صليب والأخر: جهة بلاد المسلمين وعليه مصحف وخيّر أهل طرسوس بين التّنصُّر أو البقاء علىٰ دينهم. وقال: (من أراد الشرف والنعيم والسعادة فليذهب من تحت الصليب إلىٰ بلاد الروم. ومن أراد العار واللواط فليذهب من تحت المصحف) .

ومن اختار الذهاب من تحت المصحف كان جنود الروم يصادرون كل ما معه ويجردونه حتىٰ من ثيابه فوصل عدد كبير من أهل طرسوس إلىٰ الشام وهم عراة إبان قمة المجد الشيعي الذي شرحه الشنقيطي لقرائه!

ولم يكتف «نقفور فوكاس» بذلك بل قاد جيشه واحتل أكبر وأعظم مدن الشام وهي أنطاكية في نفس السَّنَة (٣٥٨ هجرية) التي سيطر فيها الفاطميون علىٰ مصر وقام البويهيون بترسيم شعائر عاشوراء في العراق.

ثم تقدم «نقفور فوكاس» سنة ٣٥٩ هجرية، وسيطر علىٰ حلب وأجبر بقايا الحمدانيين فيها علىٰ توقيع معاهدة حماية مذلة مع الروم أصبحت حلب بموجبها محمية رومية[١].

وأرسل «نقفور فوكاس» قصيدة بالعربية إلىٰ الخليفة العباسي الخاضع للبويهيين يفتخر فيها بفتوحاته علىٰ حساب المسلمين حيث انتزع منهم كريت وقبرص وكل الثغور الشامية والجزرية والأرمنية بفضل علو الرفض، وهدد الخليفة بأنه سوف يحتل كل البلاد التي فتحها المسلمون إبان مجدهم وأنه لن يكتفي بذلك بل سيذهب إلىٰ مكة لهدم الكعبة وإقامة عرش النصرانية علىٰ انقاضها[٢].

وبعد مقتل «نقفور» علىٰ يد زوجته اللعوب «ثيفانو» وعشيقها «يوحنا

---

(١) ويمكنكم قراءة نصوص تلك المعاهدة المخزية في كتاب ابن العديم: «زبدة الحلب في تاريخ حلب».

(٢) والقصيدة والرد عليها من جانب القفال وابن حزم وهي منشورة علىٰ النت علىٰ نطاق واسع وموجودة في «البداية والنهاية» لابن كثير. انظر: البداية والنهاية حوادث السنوات ٣٥١ - ٣٥٩ هجرية.

تزيميسكس»، تولىٰ العشيق «يوحنا» عرش الروم وزحف بقواته إلىٰ الشام علىٰ مرأىٰ ومسمع من الفاطميين والبويهيين واحتل شيزر وحمص وحماة وصيدا وصُور وبيروت وبعلبك وجبلة، وثمانين بلدة أخرىٰ تقام في كل منها صلاة الجمعة، ثم توجه «يوحنا تزيمسكس» إلىٰ دمشق فحاصرها حصارًا شديدًا» واضطر أهل دمشق إلىٰ دفع إتاوة كبيرة لتزيمسكس مقابل انسحابه عنهم. وأرسل «يوحنا تزيمسكس» رسالة من الشام إلىٰ ملك أرمينيا النصراني «أشوط» يبشره بفتوحاته في الشام، وأنه في طريقه للاستيلاء علىٰ القدس، لكن وصلته الأنباء أن البلغار غزو بلاده عند نهر الدانوب، فاضطر لوقف حملاته في الشام وعاد لمواجهة البلغار[١].

◉ ويواصل الشنقيطي حديثه عن البويهيين واستمرار صعود التشيع حتىٰ عهد الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢ هـ/ ٩٩١ - ١٠٣١م).

فيقول الشنقيطي ما نَصّه:

(وبدأت الانعطافة السياسية والفكرية ضد التشيع لصالح التسنن عمومًا والمذهب الحنبلي خصوصا علىٰ يد الخليفة القادر، في العقود الأخيرة من حكم البويهيين...وقد شجع القادر علىٰ هذا التوجه - فيما يبدو - ضعف السلطة البويهيية في بغداد بعد رحيل روادها الكبار، وصعود القوة الغزنوية التركية المناهضة للشيعة في بلاد فارس، وبلاد ما وراء النهر، والجزء الشمالي من الهند. ويعتبر الخليفة القادر أول خليفة مسلم يصدر عقيدة رسمية مفصلة للدولة، دافعا الثقافة الإسلامية دفعة قوية للانتقال من حقبة الإيمان المفتوح إلىٰ حقبة العقيدة المغلقة. وقد جاءت تلك العقيدة الرسمية - التي سماها

---

(١) ومن أوسع المصادر التي شرحت هذه الغزوات الرومية: تاريخ يحي بن سعيد الأنطاكي.

المؤرخون المسلمون (البيان القادري) مُسبغة الشرعية علىٰ التفسير الحنبلي للعقائد الإسلامية، ونازعة الشرعية عن غيره من التفسيرات والفهوم بنبرة احتكارية إقصائية فجة).

وهكذا يطبق الشنقيطي مفهومه المنحرف عن العقيدة الإسلامية وكأنها لم تستقر إلا علىٰ يد الخليفة العباسي القادر بالله كعقيدة مغلقة .

وقد رأينا فيما سبق تشبيهه الإسلام بما حَدَث للنصرانية من صياغة لعقيدتها في مجمع نيقية . وزعم أنه لم يكن قبل القادر إلا حقبة الايمان المفتوح.

فلماذا لم يقبل الصحابة الإيمان المفتوح من القبائل التي امتنعت عن دفع الزكاة مع إقرارها بالشهادتين؟

وأيضا الخوارج الذين خرجوا علىٰ علي رضي الله بسبب فَهْمِهم الخاطئ لبعض عقائد القرآن ومحاورة الصحابة لهم وعلىٰ رأسهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الذي استأذن علي رضي الله عنه في حوارهم، فأذن له، فذهب إليهم وحاورهم قبل معركة النهروان ورجع منهم ألفان مع بعض زعمائهم بعد أن تبين لهم الحق.

والمُصَنَّفات التي تناولت العقيدة الإسلامية قبل عهد الخليفة العباسي القادر بالله – التي يسميها الشنقيطي حقبة الإيمان المفتوح – من الصعب حصرها:

فكل علماء التابعين مثل الحسن البصري ومكحول الشامي وتلاميذ ابن عباس شرحوا مسائل العقيدة .

ونشأ مذهب المعتزلة علىٰ يد واصل بن عطاء (المتوفىٰ سنة ١٣١هجرية)

وصنَّف واصل في مسائل العقيدة ما خالف به الصحابة وإجماع خير القرون، فردَّ عليه الكثير من التابعين، ومنهم من نَاظَرَهُ في المسائل العقدية التي أثارها.

والإمام أبو حنيفة رحمه اللَّه (ت ١٥٠ هجرية) صنّف كتاب «الفقه الأكبر»،

وحدد فيه عقيدة أهل السُّنَّة تحديدا منهجيا، وَرَدَّ فيه علىٰ المعتزلة والقدرية والجهمية والشيعة. واشتمل الكتاب علىٰ خمسة أبواب : الأول في القدر، والثاني والثالث في المشيئة، والرابع عمَّن يُكفِّر بالذنب، والخامس في الإيمان. كما تحدث فيه عن الأسماء والصفات والفطرة وعصمة الأنبياء ومكانة الصحابة – التي لم يحترمها الشنقيطي كما رأينا سابقا . وبهذا يكون الإمام أبو حنيفة أول من فصّل علم التوحيد.

كما أنَّ الإمام مالكًا وضع فيه رسالة. ولا ننسىٰ أن إنشاء الخليفة المهدي لمنصب (صاحب الزنادقة) كان هدفه محاربة كل من يريد أن يبدِّل أو يُغيِّر أو يُشَوِّه عقائد الإسلام أو يَدُس فيها...إلخ.

وهناك كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هجرية) وتبعه كثيرون.

وكل مَن كَتَب في عقيدة الإسلام من أهل السُّنَّة لم يأت بشيء مبتدع وإنما كان عرضا وشرحا لتلك العقائد بالأدلة الواضحة من القرآن والسُّنَّة .

وهكذا يتجاهل – أو يجهل – الشنقيطي تلك المؤلفات العظيمة السابقة في العقيدة ويزعم أن الخليفة القادر أول من أصدر عقيدة رسمية!

ويزعم الشنقيطي ص ٩٩ أن الخليفة العباسي القادر بالله بعث سنة٣٨٧ هجرية – أي قبل مجيء الحملة الصليبية الأولىٰ بأكثر من قرن – إلىٰ محمود الغزنوي يحضه علىٰ التضييق علىٰ الشيعة في مناطق سلطته...

◉ **ثم يأتي الشنقيطي في ص ١٠٠ ويقول ما نَصّه :**

(ولم يضيّع محمود الغزنوي الفرصة السانحة، فانتزع الري –قرب طهران اليوم – وبدأ حرب اضطهاد قاسية ضد الشيعة، وكل من كانوا مبتدعه في رأيه، سنة كانوا او شيعة، فسجن منهم وقتل وصلب ونفىٰ من الأرض، وأمر خطباء المنابر بلعنهم في مملكته علىٰ المنابر. وأصبحت

للحنابلة صولة في مشرق العالم الإسلامي الذي يحكمه السلطان محمود الغزنوي مثل صولتهم في بغداد في ظل الخليفة القادر).

وهذه القصة التي صاغها الشنقيطي بعبارة قاسية ضد محمود الغزنوي وضد الحنابلة جرت قبل ١٠٣ سنوات من مجيء الصليبيين، وفي أقصىٰ شرق عالم الإسلام بعيدًا عن الشام الذي كان هدف الحملة الصليبية الأولىٰ، وعنوان فصله :

(الخريطة الطائفية عشية الحروب الصليبية).

ولنا أن نتساءل هنا :

لماذا لم يذكر الشنقيطي حرفا واحـدًا عن المذبحة المروعة التي اقترفها الفاطميون[1] في مدينة «صُور» سنة ٤٩٠ هجرية، والحملة الصليبية الأولىٰ تشق طريقها عبر آسيا الصغرىٰ في طريقها إلىٰ بلاد الشام؟

ففي سنة ٤٩٠ عصىٰ وَالِي «صور» ويُدعىٰ «الكتيلة» فأرسل الفاطميون حملة بحرية حاصرت صور حتىٰ اقتحمتها ونهبت أموالها وقتلت معظم سكانها السُّنَّة. وكان الفاطميون قبل أربع سنوات ٤٨٦ هجرية قد نهبوا «صُور» وفرضوا علىٰ أهلها دفع مبلغ كبير من المال.

⦿ اضطرابه واستطراده المخلّ في موضوعات لا صلة لها بالبحث:

المتأمل في هذا الفصل يلاحظ شدة الخلط والاضطراب عند الشنقيطي وعدم التزامه بالتسلسل التاريخي.

---

(١) وقصة هذه المظالم الفاطمية موجودة في «تاريخ ابن القلانسي»، وابن الأثير، والمقريزي : «اتعاظ الحنفا» ، وابن ميسر: «أخبار مصر»، والعظيمي، وابن تغري بردي، وعزالدين بن شداد في كتابه «الأعلاق الخطيرة»، وسبط بن الجوزي: «مرآة الزمان». وبعض هذه المصادر ضمن مراجع الشنقيطي. فلماذا لم يتحدث عن نهب الفاطميين لصور وقتل أهلها؟

فتارة يعود قرونًا إلىٰ الخلف ثم يقفز فجأة إلىٰ عصر الحروب الصليبية والاستطراد المخل في موضوعات لا صلة لها بموضوع البحث.

ويسهب الشنقيطي في فصله هذا عن الحديث عن الخلافات بين الأشاعرة والحنابلة في العراق بينما يهمل الحديث عن الخريطة الطائفية في بلاد الشام عشية الحروب الصليبية، ولا يشير إلىٰ كيف استولىٰ الفاطميون علىٰ الشام؛ لأنها تتضمن مذابح مروعة ارتكبوها بحق سكان الشام، ولا يقدم عن هذا الموضوع إلا هذه الفقرة .

◉ **قال في ص ١١٢ ما نَصّه :**

> **(غزا الفاطميون مصر عام ٣٥٨هجرية/ ٩٦٣م واتخذوها قاعدة لغزواتهم المشرقية فأرسلوا جيوشهم بانتظام لانتزاع الشام من الدولة العباسية ونجحوا في السيطرة علىٰ دمشق والقدس ومُدُنا شامية أخرىٰ اكثر من مرة. ولكن نفوذهم في بلاد الشام غالبا ما كان ينحسر أمام القوة السلجوقية الجديدة في جنوب الشام، والقوة البيزنطية القديمة في شمال الشام. ثم إن شيعة الشام كانوا إمامية في غالبيتهم العظمىٰ، ولم تطب نفوسهم تماما بالهيمنة الفاطمية).**

ولم يقدم الشنقيطي مصدرا لهذه الفقرة المضطربة.

والجواب عن هذا :

أولا: السلاجقة لم يصلوا إلىٰ جنوب الشام إلا بعد أكثر من مئة سنة من بداية غزو الفاطميين للشام سنة ٣٦٠ هجرية.

ثانيا: العقبة الأولىٰ التي واجهت الفاطميين في الشام هي القرامطة، والتي لم يشر إليها الشنقيطي البتة بينما أسهب في الحديث عن الخلافات الفكرية بين الحنابلة والأشاعرة في بغداد!

فالقرامطة كانت تربطهم بالفاطميين - قبل احتلالهم مصر - علاقات طيبة؛ لأنهم يدينون بالعقيدة الإسماعيلية، واعترفوا بالخليفة الفاطمي كخليفة شرعي يدينون له بالطاعة، إلا أن تضارب المصالح بين الطرفين أدىٰ إلىٰ تغيير تلك العلاقة، فقد كان القرامطة يحصلون من الإخشيديين علىٰ إتاوة سنوية قدرها ثلاثمائة الف دينار - مقابل وقف اعتداءاتهم علىٰ مملكة الإخشيديين، وانقطعت تلك الإتاوة بعد دخول الجيش الفاطمي دمشق سنة ٣٦٠ هجرية.

وسار الحسن بن أحمد القرمطي من الأحساء إلىٰ الشام سنة ٣٦٠هجرية/ ٩٧١م بعد أن تلقىٰ المساعدة من الملك البويهي بختيار، والتقىٰ الحسن القرمطي بجعفر بن فلاح قائد جيش الفاطميين في بلاد الشام وقتله مع كثير من جنوده المغاربة، ودخل القرمطي إلىٰ دمشق، ثم سار إلىٰ الرملة واستولىٰ عليها، وأقام الخطبة للعباسيين وحذف خطبة الفاطميين.

ثم سار القرمطي بجموعه إلىٰ مصر، وهدد مدينة القاهرة، إلا أن القائد الفاطمي جوهر الصقلي تمَكَّن من صده عنها، وهزمه هزيمة شديدة سنة ٣٦١هجرية٩٧٢م وانسحب بعدها الحسن القرمطي إلىٰ الأحساء.

وقد أرسل الخليفة الفاطمي المعز سنة ٣٦٢هجرية خطابًا طويلًا للحسن القرمطي فيه الكثير من ضروب الوعظ والتهديد والوعيد. فردَّ القرمطي علىٰ خطاب المعز بغزو الشام بعد أن انضم إليه ابن جراح الطائي بقومه، وقصد مصر واقترب من القاهرة، لكن الفاطميين تمَكَّنوا من استمالة ابن جراح بالمال فانسحب عند أول اشتباك، فحَلَّت الهزيمة بقوات القرمطي، وعاد مهزومًا إلىٰ الأحساء سنة ٣٦٣ هجرية.

وحاول المعز توطيد الحكم الفاطمي في الشام فقلَّد ظالم بن موهوب العقيلي ولاية دمشق، وأرسل إليه جيشا لمعاونته بقيادة أبي محمود بن جعفر، ولكن جنود الفاطميين مارسوا أعمال الفساد وانتهاك الحرمات وقطع الطريق ونهب الأموال،

فثار عليهم أحداث دمشق (أي شبابها وكانوا منظمين كهيئة معروفة ومعظمهم من الفقراء والعامة ولهم مقدم يسمىٰ رئيس البلد وكانوا بضعة آلاف).

وعزل المعز أبا محمود بن جعفر وعيّن ريان الخادم واليًا علىٰ دمشق ولكنه عجز عن استعادة الأمن والنظام إلىٰ المدينة. وفي هذا الوقت سار إلىٰ دمشق أحد قادة بغداد الأتراك وهو «أفتكين» التركي بعد هزيمته أمام الديلم فرحب به أهل دمشق وطلبوا مساعدته ضد الفاطميين فانضم إليهم وأقام الخطبة للخليفة الطائع العباسي بدلا من المعز الفاطمي.

وجهَّز الخليفة الفاطمي العزيز جيشًا كبيرًا بقيادة جوهر الصقلي لانتزاع دمشق من «أفتكين» التركي، فوقف أهل دمشق مع «أفتكين» وأشاروا عليه بالاستنجاد بالحسن القرمطي، فأرسل «أفتكين» إلىٰ القرمطي يطلب مساعدته، فسار القرمطي إلىٰ الشام، ولما اقترب من دمشق انسحب عنها جوهر وسار إلىٰ عسقلان، فلَحِق به القرمطي وأفتكين، وحَاصَرَاهُ بعسقلان، فاضطر جوهر إلىٰ طلب الصلح من «أفتكين»، فوافق وأقنع حليفه القرمطي بقبوله.

ونصَّ الصلح علىٰ: أَنْ يدفع جوهر مبلغًا من المال وأن يخرج بجنوده من تحت سيف افتكين ورمح القرمطي بعد أن يعلقا علىٰ باب عسقلان.

وهكذا عاد جوهر الصقلي إلىٰ مصر بعد أن تعرض للاهانة والمَذَلَّة، وأوضح لخليفته العزيز حقيقة الوضع في بلاد الشام وما أصاب سلطان الفاطميين بها من ضعف وانهيار.

وسار الخليفة العزيز بنفسه إلىٰ الشام للقضاء علىٰ تحالف القرمطي مع «أفتكين» التركي، وحاول العزيز استمالة «أفتكين» فلم ينجح .

وأخيرًا وقعت المعركة بين الفريقين قرب الرملة، فحَلَّت الهزيمة بـ«أفتكين» ووقع في أَسْر الفاطميين وهرب القرمطي إلىٰ الأحساء.

ورغم هزيمة القرامطة إلا أن نجاحهم في هزيمة الفاطميين عدَّة مرات أسقط هيبة الفاطميين وشجع أهل الشام علىٰ رفض الحكم الفاطمي ومقاومته بدليل أن دمشق لم تسقط بيد الفاطميين – بعد هزيمة القرمطي – وظلَّت مستقلة تحت زعامة رئيس الأحداث بها ويُسمىٰ قسّام التراب.

وهنا نتساءل:

لماذا لم يُشِر الشنقيطي أبداً إلىٰ شيء من هذه الحوادث المرتبطة بتاريخ الشام وخريطته الطائفية عشية الحروب الصليبية، في حين رجع خمسة قرون ليقدّم إساءاته واتهاماته بالجملة لأصحاب السقيفة والفتوح الإسلامية بقادتها وجيوشها!

⊙ تجاهل الشنقيطي للمذابح والتطهير العرقي الديني لسكان الشام في العهد الفاطمي الذي استمر ودام زهاء مئة عام:

وإذا كان الشنقيطي قد جَهِل هذه الكتلة الضخمة من الحروب بين القرامطة والفاطميين؛ فإنه تجاهل المذابح والمظالم التي اقترفها الفاطميون في بلاد الشام منذ سنة ٣٦٠ وحتىٰ سنة ٤٩٠ هجرية حين وَصَلت الحملة الصليبية الأولىٰ إلىٰ شمال الشام.

◉ وقبل الحديث في هذا الموضوع نشير إلىٰ أنه تحدث بإسهاب عن قتل عوام السُّنَّة للشيعة في شمال أفريقيا بسبب ما كانوا يسمعونه منهم من سب لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال في ص ١١٤ – ١١٥ ما نَصّه :

(وحينما فقد الفاطميون سلطتهم في شمال أفريقيا دفع الشيعة

هناك ثمنا باهظًا، بإغضاء وتحريض السلطة السياسية السُّنِّية. ففي عام ٤٠٨هجرية/ ١٠١٧م قتَل عوام السُّنَّة عددًا وافرًا من الشيعة في مدينة القيروان، وفي مدينة المهدية (العاصمة السابقة للدولة الفاطمية) حرّقوهم أحياء، وأجاعوهم حتىٰ الموت، ونهبوا مساكنهم ومتاجرهم).

ثم أورد ما ذكره ابن كثير وابن الأثير عن هذه الحوادث. وهنا تظهر لنا انتقائية الشنقيطي لإبراز ما يسمونه مظلومية الشيعة وإثارة التعاطف معهم!!

فلماذا لم يتحدث الشنقيطي عن المذابح الرسمية التي ارتكبتها الدولة الفاطمية بحق أهل السُّنَّة في شمال أفريقية وبخاصة ضد مسلمي صقلية؟

فقد وَلَّىٰ المعز الفاطمي خليل بن إسحاق علىٰ صقلية سنة ٣٢٦ وظل وَاليًا عليها حتىٰ سنة ٣٢٩ هجرية، وخلال ولايته هَدم أسوار المدن وأحرق مدن وبلدات كاملة علىٰ مَنْ فيها من المسلمين، وافتخر بعد نهاية ولايته في مجلس خليفته المعز فقال : (قتلت خلال ولايتي علىٰ صقلية ألف ألف انسان).

فردَّ عليه أحد عقلاء تلك الدولة بقوله :«يكفيك نفس واحدة يا أبا العباس» انظروا التفاصيل في ملحق هذا النقد.

فلماذا لم يذكر الشنقيطي شيئا عن هذه الجرائم والمذابح التي قتلت مليون مسلم باعتراف الوالي الفاطمي نفسه والتي ترتَّب عليها ضعف صقلية الإسلامية وخُلوها من معظم سكانها المسلمين، الأمر الذي سهّل سقوطها بسهولة في أيدي النورمان الصليبيين؟!

أمَّا ما فَعَله الفاطميون في الشام فيكاد يكون تطهيرا عرقيًا لأهل السُّنَّة، ولم يذكر عنه الشنقيطي شيئًا.

ولكن قبل عرض أمثلة من هذه الجرائم نذكر نصًّا أورده ابن القلانسي ينسف الأكاذيب التي زعمها الشنقيطي في نهاية فصله بأن غالبية سكان الشام عشية الحروب الصليبية كانوا شيعة مُردّدا أقوال كُتّاب الضاحية الجنوبية في بيروت مثل محمد حمادة، وجعفر المهاجر.

فقد أخبرنا مؤرخ دمشق ابن القلانسي - المتوفىٰ سنة ٥٥٥ هجرية - بأن أهل الشام وعلىٰ رأسهم أهل دمشق سنة يرفضون حكم الفاطميين الذين يسمونهم (المغاربة) لأنهم جاءوا من المغرب. ويُكِنُّون لهم أشد الكراهية لأسباب ثلاثة أَوَضَحَها بقوله: (وكان أهل دمشق يأبون المغاربة لمخالفتهم في الاعتقاد، ولأنهم أمويون، ولِقُبح سيرة الناظرين الذين كانوا عليهم)[١].

وهذا النص الذي قاله ابن القلانسي يوضح أن الموقف العدائي لأهالي دمشق، ومعهم سكان الشام إزاء الفاطميين، يعود إلىٰ الخلاف العقدي.

فأهل الشام كما هو معروف علىٰ عقيدة أهل السُّنَّة، بينما الفاطميون إسماعيليو العقيدة، وقد حكم بكفرهم كبار العلماء الذين عاصروهم، مثل النابلسي وابن حزم، وكل علماء السُّنَّة الذين جاءوا بعدهم.

وكان الفاطميون يريدون نَشْر عقائدهم في كل المناطق التي يسيطرون عليها. كما أن سكان الشام كانوا في ذلك الوقت يذكرون العصر الأموي عندما كانت الشام مركز العالم الإسلامي، وكان أهل الشام جنود الخلافة ورجالها المخلصين.

كما أن سياسة الولاة الفاطميين اتصفت بالقسوة في معاملة أهل الشام الأمر الذي حفز أهل الشام علىٰ الثورة ضد الفاطميين.

ومن الأمثلة علىٰ سُوء سياسة الولاة الفاطميين تجاه سكان الشام - التي لم يذكر

---

(١) ذيل تاريخ دمشق؛ ص ١٦ .

منها الشنقيطي شيئا وذهب يتقيأ حقده علىٰ خير القرون – أن القائد الفاطمي جعفر بن فلاح لما استولىٰ علىٰ دمشق أرسل إليه أهلها وفدا يطلب منه إصلاح شؤون مدينتهم فقبض علىٰ أعضاء الوفد جنود جعفر المغاربة وأهانوهم وسلبوا ثيابهم وأخرجوهم من عنده عراة(١).

وقام جنود جعفر بن فلاح بالعبث بالنظام العام والاعتداء علىٰ سكان دمشق وانتهاك حرماتهم فاضطر أهل دمشق لمقاتلتهم فرد الوالي الفاطمي جعفر بالقبض علىٰ زعماء دمشق وضرب أعناقهم(٢).

وقد زاد ذلك في كراهية سكان الشام للفاطميين وجعلهم يتحيَّنُون الفُرَص للتخلص من سيطرتهم. وقد انضم سكان الشام إلىٰ القرامطة و«افتكين التركي» في حروبهم ضد الفاطميين، إذ يذكر ابن القلانسي أنه عندما سار القرمطي و«افتكين التركي» لمطاردة جوهر الصقلي (اجتمع اليهما من رجال الشام وعربها تقدير خمسين ألف فارس وراجل).

وكان الحكم الفاطمي في الشام يتَّصِف بحكم العصابات تجاه عامة الناس وليس بمنطق الدولة المسؤولة.

والدليل علىٰ هذا ما قاله ابن القلانسي: (إن الرعية تكره (المغاربة) في الفساد وقطع الطريق علىٰ الصدار والوراد)(٣).

وفي سنة ٣٦٣ هجرية وَصَل جيش فاطمي بقيادة أبي محمود بن ابراهيم بن

---

(١) انظر : المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١ ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(٢) انظر : ابن الاثير : الكامل، ج ٨ ص ٥٩١ – ٥٩٢ .

(٣) ذيل تاريخ دمشق ص٤ وما بعدها.

جعفر بهدف حماية دمشق من هجمات القرامطة لكن جنوده نهبوا أسواق دمشق، وزاد عبثهم وفسادهم فثار عليهم أحداث دمشق وقادوا حركة المقاومة ضدهم وأشعل جنود الفاطميين النار في أكثر أحياء دمشق.

وأخيرًا: تَمَكَّن الأَحَداث بقيادة الماورد - رئيس شطار الأحداث - من وضع المتاريس داخل أحياء دمشق لمنع الجيش الفاطمي من دخولها، وظلت الحرب مشتعلة بين الجانبين أكثر من شهر إلىٰ أن تم الصلح بينهما عندما تولىٰ دمشق جيش بن محمد بن الصمصامة من قبل خاله القائد ابي محمد بن جعفر...

⦿ مذبحة الأَحْدَاث المروعة :

وهي مذبحة مروعه ارتكبها الفاطميون بحق شباب دمشق الذين يسمون (الأحداث) .

فبسبب السياسة القاسية للوالي الفاطمي وجنوده تجاه سكان دمشق نهض الاحداث سنة ٣٨٧ هجرية وطردوا الوالي الفاطمي سليمان بن فلاح وجنوده من دمشق، فعينت الدولة الفاطمية في السَّنَة التالية جيش بن محمد بن الصمصامة واليا علىٰ دمشق، فجاء بجيشه وعسكر خارج دمشق، وأَخَذ يقيم علاقة الود والصداقة مع زعماء الأحداث ويُقدِّم لهم الهدايا والأموال حتىٰ وثقوا به فعمل لهم مأدبة كبيرة ودعاهم لها، ورُتِّب الأمر بحيث كل واحد منهم ينتهي من الطعام يؤخذ إلىٰ المكان المُعد لغسل الأيدي وهناك تُضرب عنقه. وبالفعل تم قتل الآف من شباب دمشق[1].

(١) انظر: ابن القلانسي ص ٥٣ - ٥٤. ولست هنا بصدد عرض كل مذابح وجرائم الفاطميين في بلاد الشام عشية الحروب الصليبية. انظر التفاصيل في كتابي: «بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي» : الفصل الأول ص ٤٣-٨٦؛ الفصل الرابع ص٣١٤-٣١٨. والكتاب موجود علىٰ موقعي يمكن قراءته وتحميله

وهذه المذبحة الفاطمية لشباب دمشق تفوق في حجمها وعدد من قُتِلَ فيها مذبحة محمد علي للمماليك سنة ١٢٢٦ هجرية ولكنها لم تنل الشهرة التي نالتها مذبحة المماليك.

فلماذا لم يُشِر الشنقيطي البتة لهذه المذبحة التي تشكل تطهيرًا عرقيًّا طائفيًّا لأهل السُّنَّة في بلاد الشام، وهو يتحدث عن الخريطة الطائفية في الشام عشية الحروب وذهب بعيدًا يتحدث عن ما أسماه (الأزمة الدستورية) التي بدأت يوم السقيفة بزعمه الكذوب .

ثم أطال الأكاذيب فيما أَسْمَاهُ بالإيمان المفتوح والعقيدة المغلقة.

⊙ إمارة قبيلة طيء السُّنِّيَّة في جنوب الشام ومقاومتها للحكم الفاطمي:

ولم يُشِر الشنقيطي ولا بكلمة واحدة - وهو يرسم بزعمه الخريطة الطائفية في بلاد الشام عشية الحروب الصليبية - لإمارة قبيلة طيئ في جنوب الشام؛ لأنها كانت قبيلة سنية وقاومت الحكم الفاطمي وقاتلت جيوش الفاطميين زمنا طويلا.

۞ فقد أَسَّس المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي إمارة طائية في جنوب الشام سنة ٣٦٠ هجرية واتخذ من الرملة عاصمة له.

وجَرَت بين آل جراح الطائيين والفاطميين وقائع يطول شرحها.

ولعل أخطر حركة قام بها الطائيون ضد النفوذ الفاطمي في الشام هي ما حَدَث سنة ٤٠٠ هجرية حين قتل الخليفة الفاطمي الحاكم والد وزيره أبو القاسم بن الحسين بن علي بن المغربي، كما قتل عم الوزير وأخويه، ففر الوزير إلىٰ الشام ولجأ إلىٰ حسان بن المفرج بن الجراح الطائي وأصبح مستشارا له.

وحرّض الوزير ابن المغربي حسان الطائي وأولاده علىٰ خلع طاعة الحاكم، ومراسلة أمير مكة أبي الفتوح بن جعفر العلوي ومبايعته خليفة للمسلمين (فإنه لا مغمز في نسبه) مثل الفاطميين[١].

وسار ابن المغربي إلىٰ مكة وأقنع أبا الفتوح بقبول الخلافة ووعده بتأييد قبائل الشام . وسار أبو الفتوح مع ابن المغربي إلىٰ الشام، وأخذ الوزير البيعة لأبي الفتوح من بني الجراح، وضرب السكة باسمه، وانضمت قبائل الشام إلىٰ أبي الفتوح الذي نزل بدار الإمارة بالرملة، وسيطر علىٰ أكثر بلاد الشام.

ولكن خليفة الفاطميين الحاكم لجأ إلىٰ سلاح المال لتفريق جموع أبي الفتوح، فَرَاسَل حسان بن المفرج يفاوضه علىٰ التخلي عن أبي الفتوح، وترددت الرسل حتىٰ تقرر أنه يدفع إليه خمسين ألف دينار عينًا ولكل واحد من إخوته كذلك، سوىٰ هدايا وثياب وحظايا تُهدىٰ إليه وإلىٰ إخوته، وسيّر ذلك جميعه فمالوا عن أبي الفتوح[٢]. وسعىٰ بنو الجراح لعقد حلف مع قبيلتي كلاب بزعامة صالح بن مرداس، وقبيلة كلب بزعامة سنان بن عليان .

۞ وفي سنة ٤١٤ هجرية اجتمع حسان بن جراح مع صالح بن مرداس وسنان بن عليان وتعاهدوا علىٰ توحيد قواهم ضد الفاطميين، ونصَّ الحلف علىٰ أن تكون فلسطين وما برسمها لحسان بن الجراح حتىٰ باب مصر، ولأخيه محمود بن جراح طبرية وما يتصل بها من الساحل، ولسنان بن عليان دمشق وسوادها، وحلب وما يتبعها لصالح بن مرداس.

ووَقَعَت بين الجانبين حروب طويلة كان لها آثار سيئة علىٰ أحوال الشام حتىٰ

---

(١) كما يقول مؤلف كتاب ذيل تجارب الأمم ج ٣، ص ٢٣٦ .

(٢) كما يقول : ابن ظافر الأزدي في كتابه «أخبار الدول المنقطعة» ، ص ٥٠ .

سنة ٤١٩ هجرية حين مات زعيم قبيلة كلب سنان بن عليان وخلفه في زعامة القبيلة ابن أخيه رافع بن أبي الليل بن عليان فدخل بقبيلته في طاعة الظاهر الفاطمي.

وفي سنة ٤١٩ هجرية أرسل الفاطميون حملة عسكرية كبيرة إلىٰ الشام بقيادة «انوشتكين الدزبري»، وانضمت اليها قبيلة كلب بقيادة رافع بن أبي الليل وبعض بطون قبيلة فزارة وسار الجميع وتمَكَّنوا من هزيمة قوات طيئ وكلاب مجتمعة في معركة الأقحوانة سنة٤٢٠ هجرية. وقُتل صالح بن مرداس وابنه. وقد أدت تلك المعركة إلىٰ انحسار نفوذ القبائل العربية، وأعاد الفاطميون سيطرتهم علىٰ جنوب ووسط الشام. كما جرت بين الفاطميين وقبيلة كلاب حروب للسيطرة علىٰ حلب ترتب عليها نتائج شبيهة بما حدث في جنوب الشام.

⊙ تدهور أحوال دمشق خلال الحكم الفاطمي:

أما دمشق فقد تدهورت أحوالها خلال الحكم الفاطمي.

فعلىٰ سبيل المثال وقع نزاع بين جنود الحامية الفاطمية وسكان دمشق سنة ٤٦٠ هجرية، ونشب القتال بين الجانبين، وقام جنود الحامية الفاطمي بعمليات النهب، وأشعلوا النار في بعض أحياء دمشق، وامتد الحريق إلىٰ الجامع الأموي، ودمره تدميرا شاملا بحيث لم يبق منه إلا جدرانه الأربعة. وظلت دمشق تعاني مما أصابها حتىٰ تغلب عليها القائد الفاطمي معلىٰ بن حيدرة بن منزو الكتامي سنة ٤٦١ هجرية.

وانتهج فيها سياسة بالغة القسوة فعامل أهل دمشق معاملة سيئة، وصادر أموالهم واستولىٰ علىٰ غلات الفلاحين وفرض عليهم المكوس الباهظة مما أجبر الكثير من مزارعي دمشق علىٰ الفرار وترك حقولهم لما عانُوه من بطشه وقهره[١].

---

(١) انظر: ابن القلانسي ص ٩٥ – ٩٦ .

وقد وصف لنا المؤرِّخ المعاصر لتلك الحقبة غرس النعمة محمد بن هلال الصابي الحالة التي أصبحت فيها دمشق آخر الحكم الفاطمي فقال :

(ولم يبق من أهلها سوىٰ ثلاثة آلاف إنسان بعد خمسمائة ألف أفناهم الفقر والغلاء والجلاء. وكان بها مائتان وأربعون خبازا فصار بها خبازان، والأسواق خالية، والدار التي كانت تساوي ثلاثة آلاف دينار يُنادىٰ عليها عشرة دنانير فلا يشتريها أحد... وأُكِلت الكلاب والسنانير وكان الناس يقفون في الأزقة الضيقة فيأخذون المجتازين فيذبحونهم ويشوونهم ويأكلونهم...) .

وَوَصْفُ غرس النعمة هذا نقله سبط بن الجوزي في كتابه مرآة الزمان ج ١٣ ورقه ٤٠ أ-ب وهذا الجزء لايزال مخطوطا.

فهل رأيتم كيف أصبحت حال دمشق في العهد الفاطمي بعد تطهير عرقي ديني دام زهاء مئة عام . وهذه الحالة لم يذكر الشنقيطي عنها شيئا؛ لأنه يريد فقط بناء شرعية تاريخية للفكر الصفوي عن طريق الكذب والتزوير وطمس الحقائق.

حتىٰ ولو سلمنا جدلًا بكذب الشنقيطي أن غالبية سكان الشام كانوا شيعة عشية الحروب الصليبية فإن ذلك نتيجة هذا التطهير البشع الذي اقترفه الفاطميون في مدن الشام مثل دمشق وصور غيرها، ولم يشر الشنقيطي إلىٰ أي من هذه الجرائم ولا بكلمة واحدة!




الفصل الثالث

اكتشاف وحدة المَصَائر

السُّنَّة والشيعة في مواجهة الفرنجة




تمهيد

وتلك المواجهة بين المسلمين والصليبيين دامت قرنين من الزمان علىٰ أراضي بلاد الشام كما هو معروف للجميع . وقدّم أهل السُّنَّة من التضحيات البشرية والمادية – في سبيل استرداد البلاد وطرد الصليبيين منها – ما لا يمكن حصره أو تقديره.

ولم يُقدم الشيعة شيئا يُذكر لقضية الجهاد والاسترداد، ولم يستردوا من الصليبيين ذرة رمل واحدة!! ولكن الشنقيطي يخترع دورا كبيرا في الجهاد – في فترة التوسع الصليبي في بلاد الشام علىٰ حساب المسلمين – لأمير طرابلس الشيعي ابن عمار ولأحد وجهاء حلب ويُدعىٰ ابن الخشاب.

وقبل الحديث عن هذا الموضوع يجب أن أذكر أن الشنقيطي أقحم في بداية هذا الفصل فكر الخميني وفلسفته التي سمعنا بها أثناء ظهوره وسيطرته علىٰ إيران[1] حيث أعلن أنه يسير في ثورته وسوف يصدرها إلىٰ عالم الإسلام علىٰ منهج الحسين – الثوري – وليس علىٰ منهج أخيه الحسن – المهادن!! والتي سار عليها من بعده خليفته خامنئي ونجم عنها دمار بلدان إسلامية، وعلىٰ رأسها العراق وسوريا ولبنان واليمن.

وسأعرض هنا حرفيا ما قاله الشنقيطي ليتبين لكل ذي لب في عالم الإسلام أن الشنقيطي لا صلة له البتة بتاريخ الحروب الصليبية وأنه يحتطب لصالح الفكر الخميني الصفوي!!

◉ **يقول الشنقيطي ص ١٣٨ – ١٤٠ ما نَصّه :**

(لقد عبّر التشيع عن نفسه تعبيرًا سياسيًّا منذ البداية بلغتين : لغة المهادنة والانتظار، ولغة الرفض والثورة. وأصبح الرمز السياسي للتوجه الأول هو الحسن بن علي رضي الله عنهما، الذي رجَّح وحدة

(١) كُنتُ حينذاك في مرحلة الماجستير.

الأمة علىٰ شرعية السلطة، وتنازل لمؤسس الدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان عن القيادة، حقنا لدماء الأمة، وحرصا علىٰ وحدتها . وكان هذا المنزع بداية تأسيسية لمدرسة فكرية وسياسية تبناها أغلب الشيعة الإمامية قبل العصر الحديث، وعبّروا عنها بفكرة التقية.

أما التوجه الثاني: فأصبح رمزه شقيق الحسن، الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهو منزع ثوري رافض لشرعية المُلك، أو التصالح مع الظلم السياسي . فبينما ساد لدىٰ الحسن ـ وفي الفقه السياسي الكلاسيكي من بعده ـ الخوف من الفتنة والتخويف منها، فإن الحسين بن علي كان يرىٰ الاستبداد والظلم السياسي هو الفتنة ذاتها. وقد عبّر الحسين عن ذلك في رسالة إلىٰ معاوية بن أبي سفيان قال فيها: «وما أظن لي عند الله عذرا في ترك جهادك، ولا أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة». وقد ثار الحسين ضد يزيد بن معاوية فقتله جيش يزيد مع العديد من أفراد أسرته النبوية وأنصاره في فاجعة كربلاء، فتحول الحسين في الفكر الشيعي إلىٰ رمز الثورة علىٰ الظلم السياسي منذ ذلك التاريخ إلىٰ الزمن الحاضر، وتحولت فاجعة قتله وأهل بيته في الذاكرة الشيعية إلىٰ أهم حدث تأسيسي في تاريخ الإسلام تقريبا.

وهذا النهج الثوري الرافض للأمر الواقع هو الذي انتهجته الشيعة الإسماعيلية في العصر الوسيط، رغم أنهم أحلّوا نظاما ملكيًّا محل آخر ولم يقدموا بديلًا أخلاقيا للدول التي ثاروا عليها، كما كان يسعىٰ إلىٰ ذلك الحسين بن علي وغيره من ثوار القرن الأول الهجري / السابع الميلادي. وإنما قصدنا أن الإسماعيليين لم يكونوا سلبيين سياسيًّا، أما الشيعة الإمامية فكانوا سلبيين سياسيًّا بشكل كامل – باستثناء الحقبة

البويهية - ولم يتبلور لديهم مشروع سياسي بديل للواقع السياسي السُّنِّي إلا مع ظهور الدولة الصفوية عام (٩٠٧ هجري/ ١٥٠١م).

فالمنهج الحسني المهادن هو الذي غلب علىٰ التشريع الإمامي في أغلب مراحل تاريخه، كما لاحظ دنيس ماكيون : «لقد تعايشت الحركية السياسية والمهادنة السياسية بتوتر داخل التشيع» لكن «ما غلب علىٰ التشيع الإمامي الاثني عشري هو المهادنة التي قبلت بحكم الأمويين والعباسيين، وليس المنحىٰ الحسيني المحض» علىٰ أن هذه المهادنة لم تسع قط إلىٰ إضفاء الشرعية علىٰ السلطة، وإنما كانت نوعا من التعايش معها بضغط الضرورة ودافع المحافظة علىٰ الذات، مع انتظار رجوع الإمام الغائب الذي يُتوقع منه أن يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورًا. وهكذا سادت المهادنة السياسية في التشيع الإمامي، وظلت خاصية من خصائصه طيلة تاريخه باستثناءات قليلة. أهمها قيام الدولة الصفوية عام ٩٠٧ هجري/ ١٥٠١م علىٰ يد أسرة شيعية إمامية من أصول تركية آذربيجانية، والإسهام الكبير لفقهاء إيران فيما عُرف بالثورة الدستورية خلال عامي ١٣٢٣ - ١٣٢٥هجري / ١٩٠٥ - ١٩٠٧م، وأخيرًا الثورة الإيرانية عام ١٣٩٩ هجرية/ ١٩٧٩م بقيادة آية الله الخميني. وقد وفّر الخميني للحركية السياسية الإمامية التسويغ الفكري والفقهي الذي كانت تحتاجه، وذلك بإحيائه نظرية ولاية الفقيه بعد أن طمرها غبار القرون).

ومن هذا النص الذي كتبه الشنقيطي في كتابه يتبين لنا ولاؤه للخمينية الصفوية وترويجه لفكرها في موضوع رسالة دكتوراه تتحدث عن موضوع ينْصَبُّ علىٰ فترة الحروب الصليبية ومسرحها بلاد الشام.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ ما علاقة هذا الفقه السياسي الخميني بقضية مشروع عدوان صليبي سابق علىٰ المسلمين كان يهدد وجودهم برمته؟

وفي هذا الفصل الثالث الذي عنوانه بـ (السُّنَّة والشيعة الإمامية في مواجهة الفرنجة) نجد التزوير وقلب الحقائق خصوصا في حديثه عن إمارة بني عمار الشيعية في طرابلس. وتحويله الخيانات الواضحة وضوح الشمس إلىٰ مجرد شوائب فقط.

وقبل الشروع في عرض ما كتبه الشنقيطي يجب أن نشير أن الحملة الصليبية الأولىٰ حاصرت أنطاكية زهاء ثمانية أشهر، وحاول المسلمون إنقاذ أنطاكية فجاءت النجدات من كربوجا أمير الموصل الذي جاء بنفسه، ومن دمشق وحمص، ومن العرب والأكراد في منطقة الجزيرة (بين فروع دجلة والفرات) ولكنها لم تستطع إنقاذ أنطاكية لعدم وجود قيادة موحدة لكل تلك النجدات. أما بنو عمار الشيعة في طرابلس، الواقعة جنوب أنطاكية، فلم يقدموا لأنطاكية أية مساعدة البتة، رغم قربهم الجغرافي منها.

وقد زحف الصليبيون جنوبًا حتىٰ وصلوا إلىٰ عرقة شمال طرابلس التي كانت تابعة لبني عمار، فأرسل فخر الملك بن عمار أمير طرابلس إلىٰ «ريموند الصنجيلي» يعرض عليه عقد اتفاقية تبعية وولاء للصليبيين، وتعهد بدفع جزية لهم، كما بادر برفع الأعلام الصليبية علىٰ أسوار طرابلس وسائر المناطق التابعة لها إشارة إلىٰ ولائه المطلق للصليبيين.

وأرسل «ريموند» وفدًا إلىٰ طرابلس للاتفاق علىٰ مقدار الجزية التي سيدفعها ابن عمار للصليبيين، فلما رأىٰ الوفد ثروة طرابلس وغناها طمعوا في زيادة الجزية، وأشاروا علىٰ ريموند بمهاجمة عرقة لتشديد الضغط علىٰ ابن عمار حتىٰ يزيد في الجزية. كما اتجه فريق من الصليبيين إلىٰ انطرسوس التابعة لبني عمار واستولوا عليها أيضا سنة ٤٩٢ هجرية/ ١٠٩٩م.

◉ ومع هذه الخيانة من أمير طرابلس الشيعي يصف الشنقيطي الأمر بكلمة شوائب. فيقول في ص ١٤١ ما نَصّه :

(لقد تجسدت الوحدة السنية الإمامية في طرابلس أثناء حصارها، لكنها لم تخل من شوائب في البداية) .

ثم يعرض خيانة ابن عمار في الصفحة نفسها بعد أن اعتبرها شوائب.

◉ فيقول الشنقيطي:

(فحينما دخلت جيوش الصليبيين أراضي إمارة طرابلس زاحفة إلىٰ القدس اتبع أميرها ابن عمار خُطىٰ الأمراء الصغار في الساحل الشامي الذين امتلأت قلوبهم ذعراً، وغلبت عليهم الأنانية السياسية، فأرسل سفراء إلىٰ الصليبيين يعرض عليهم توفير الزاد والأدلّاء مقابل احترامهم لسلطته وسلامة أرضه. وقد ذكر المؤرخ الفرنجي وليم الصوري أن من بين الأدلّاء الذين قادوا الجيوش الصليبية إلىٰ القدس « أفراد من أسرة أمير طرابلس »).

فهل هذه أيها القراء الكرام شوائب أم خيانة يندىٰ لها الجبين؟

ويجب أن انبه القراء هنا أنه لم يعد لدىٰ الصليبيين جيوش، كما يصفها الشنقيطي بصيغة الجمع. فقد قلَّ عددهم بصورة كبيرة جدًّا بعد الوباء والموت الذي أهلك وأفنىٰ معظمهم في أنطاكية بمن فيهم المندوب البابوي «ادهمار دي مونتيه»، الذي كان الأب الروحي للحملة الصليبية الأولىٰ ورمز وحدتها . ولم يعد يضم الجيش الصليبي سوىٰ ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة المسلحين فقط[١] .

ويعرض الشنقيطي في ص ١٤٤ – ١٤٦ خيانة أكثر فداحة مما رأيناه آنفًا.

---

(١) انظر: سعيد عاشور ؛ الحركة الصليبية ؛ طبعة ١٩٨٢م ج ١ ص ٢٣٠ .

ولولا تلك الخيانة لأصبح في مقدور المسلمين القضاء علىٰ المشروع الصليبي برمته. ولكن الشنقيطي لم يدرك أبعاد هذه الخيانة الكارثية من ابن عمار الشيعي.

ذلك أنه بعد احتلال الصليبيين للقدس واختيار جودفري حاكما عليها وهزيمة الوزير الفاطمي الافضل عاد معظم الصليبيين إلىٰ أُورُبا بعد ان رأوا انهم أوفوا بقسمهم الصليبي ولم يبق مع كبار القادة إلا بضع مئات من المحاربين، وأصبحوا يعانون من نقص القوة البشرية.

ووقع «بوهمند» أمير أنطاكية وعدد من قادته في أسر الأمير المسلم «كمشتكين» بن دانشمند، واعتقلهم في قلعة نقصار علىٰ ساحل البحر الأسود. ومات جودفري بعد سنة من الاحتلال الصليبي للقدس، فأرسل أتباعه رسالة إلىٰ أخيه بلدوين أمير الرها، يطلبون منه الإسراع في المجيء إلىٰ بيت المقدس ليرث أخاه جودفري، فولىٰ بلدوين علىٰ «الرُّهَا » ابن عمه بلدوين لي بورج. وسار في بقية رجاله نحو بيت المقدس ومرّ في طريقه بطرابلس وكان رجاله قد بلغوا درجة خطيرة من التعب والإعياء لكن ابن عمار استضافهم في طرابلس وأنقذهم، وقدّم لهم الخبز والنبيذ والعسل البري وقصب السكر[١].

وكان دقاق السلجوقي ملك دمشق وجناح الدولة حسين صاحب حمص قد كمنا بقواتها في ممر ضيق بين الجبال والبحر قرب نهر الكلب لاعتراض بلدوين ورجاله والقضاء عليهم. ولكن ابن عمار علم بهذا الكمين فأخبر به بالدوين.

◉ وقد نقل الشنقيطي في ص ١٤٥ وصفًا لذلك الممر نقلا عن فولشر الشارتري الذي كان مع بالدوين فقال :

(غير بعيد من بيروت في حدود الخمسة أميال تقريبًا، يوجد ممر

---

(١) انظر: كتاب الشنقيطي ص ١٤٤ ؛ وانظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية ؛ ج١ ؛ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

شديد الضيق، علىٰ الطريق العام المحاذي لساحل البحر، ولم يكن بمقدورنا ولا بمقدور غيرنا تفادي المرور عبر هذا الممر الضيق، لو أن عدواً ذا زاد وعتاد قرر ان يسد طريقنا عبره. ولو أن جيشاً من مئة ألف شخص حاول عبور ذلك الممر فلن يستطيع عبوره إذا صمم مائة مقاتل، أو حتىٰ ستون مقاتلا علىٰ منعه من العبور. ولذلك فإن أعداءنا سدوا الطريق علينا هناك من كل الجوانب وإبادتنا).

ثم ينقل الشنقيطي وصف وليم الصوري للممر... ثم يبرر الشنقيطي هذه الخيانة المقيتة لابن عمار بسوء علاقته مع دقاق صاحب دمشق والرعب من الفرنج، رغم أنهم كانوا حينذاك في غاية الضعف من ناحية القلة في عدد القوة البشرية. والخيانة لقضية كبرىٰ لا تُبرّر بهذا الشكل. بل إنّ التبرير غير مقبول البتة.

◉ **وفي الصفحة التالية ١٤٦ يقول الشنقيطي :**

(غير أن تواطؤ ابن عمار وأنانيته السياسية لم تجلب الأمان والسلام لإمارة طرابلس التي كان يقودها. فقد استأنف القائد الفرنجي ريمون حصاره لطرابلس من جديد عام ٤٩٥هجرية/ ١١٠٢م. لكن ابن عمار برهن علىٰ مهارة فائقة في سياسة البقاء، وصلابة عجيبة في الدفاع عن مدينته فلم تقاوم مدينة إسلامية حصار الفرنجة أطول مما قاومته طرابلس بقيادة ابن عمار...) .

فالشنقيطي بدأ عبارته بكلمة تواطؤ ظانا أنها تخفف واقع الخيانات المتكررة لابن عمار وموالاته للصليبيين التي ذهبت أدراج الرياح ولم تشفع له عندهم فقرروا انتزاع طرابلس منه. ولا يستحق المدح والثناء لمقاومته؛ لأنه كان يدافع عن كيانه ووجوده فأسرته أسست لها إمارة في طرابلس منذ سنة ٤٦٢ هجرية. وحين يدافع عن بيته وداره فإنه يفعل الفعل الطبيعي لسائر المخلوقات، فالحشرات والزواحف تدافع عن بيوتها ووجودها.

◉ **ويعلّق الشنقيطي :**

(الأمراء الآخرون أدركوا – من خلال صمود طرابلس – أن الوقوف في وجه القوة الفرنجية ليس مستحيلا)

وهذا استنتاج يتصف بالهراء فقد أسر «كمشتكين» بن دانشمند بوهيمند أمير أنطاكية ومن معه من الأمراء سنة ٤٩٣هجرية وأباد عقب أسره بوهمند ثلاث حملات صليبية كبرىٰ في آسيا الصغرىٰ وابن عمار لا يزال في حمأة خياناته لصالح العدو الصليبي الأبدي اللدود.

والمفارقة أن الشنقيطي في صفحة ١٤٧ يذكر استنجاد ابن عمار بدقاق صاحب دمشق وأمير حمص بعد أن خانهما بالأمس لصالح الصليبيين.

ثم يذكر الشنقيطي في ص ١٤٧ حصار ريموند لطرابلس ومعاونته من جانب أهل السواد الجبل (وأكثرهم نصارىٰ) ثم يذكر انتزاعه «انطرسوس» التابعة لابن عمار. والشنقيطي لا يعلم من هم أولئك النصارىٰ الذين أعانوا ريمون، وهنا نخبره أنهم الموارنة!

وغاب عن الشنقيطي أن صمود طرابلس الطويل مردّه حصانتها الطبيعية حيث كانت في ذلك الحين علىٰ هيئة لسان من البر داخل في البحر وأسوار قوية ولا يمكن الاستيلاء عليها إلا بقوة بحرية كبيرة لا يملكها «ريموند» في ذلك الحين. ورغم ذلك فقد نجح ريموند في قضم إمارة طرابلس بالتدريج فجردها من كل ممتلكاتها من الشمال والجنوب والشرق وبذلك وضع «ريموند» الإطار العام لإمارة طرابلس الصليبية، الأمر الذي سهَّل علىٰ ابن عمه وليم جوردان وابنه برتراند الاستيلاء عليها بعد موته بسهولة[١] .

---

(١) كما يقول سعيد عاشور ج١ ص ٣٦٦ – ٣٦٧.

ويزعم الشنقيطي في ص ١٥٢ أن ابن عمار قتل «ريموند».

وهذا غير صحيح فقد بنىٰ ريموند قلعة علىٰ تلة تشرف علىٰ طرابلس بحيث يراقب كل ما يجري داخل طرابلس. وحَدَث أن أشعلت قوات ابن عمار النار في بعض القرىٰ المحيطة بطرابلس فامتدت النيران إلىٰ القلعة فسقط سقف علىٰ ريموند فأُصِيب بجروح وحروق لكنه عاش بعد الحادثة ستة أشهر ومات[1].

◉ **وفي ختام حديث الشنقيطي عن ابن عمار يذكر رحلته إلىٰ بغداد ليطلب المساعدة من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي فيضفي علىٰ ابن عمار مسحة من البطولة والبَسَالة الزائفة فيقول في ص ١٥٢ ما نَصّه :**

> **(وحينما وصل ابن عمار بغداد التقاه كل من السلطان السلجوقي والخليفة العباسي بحفاوة بالغة. ويبدو أن الرجلين قد فهما الأهمية السياسية والرمزية التي اكتسبها ابن عمار في قلوب عامة المسلمين جراء صلابته في جهاد الفرنج، ونجاحه في مقتل أحد قادتهم العظام، ريمون دي سانجيل ...) .**

وهذا مدح غاية في الكذب والهراء، فتلك المرحلة - والمسلمون في أشد حالات التمزق - كانت مرحلة التوسع الصليبي وتَسَاقُط المُدُن والمعاقل الإسلامية في بلاد الشام بأيدي الصليبيين. ولم تبدأ الرمزية والصلابة للرجال إلا بظهور عماد الدِّين زنكي وابنه نور الدِّين وصلاح الدِّين والظاهر بيبرس وقلاوون وابنه خليل الذين سحقوا الصليبيين واقتلعوا الوجود الصليبي في بلاد الشام من جذوره.

وبعد أن حوّل الشنقيطي ابن عمار الخائن الذي أنقذ بخيانته الوجود الصليبي بأكمله

(١) كما قال رنسيمان في تاريخ الحروب الصليبية ج٢ ص ١٠٠ . وقد جاوز الثمانين من عمره!

في بلاد الشام من الدمار في فجر وجوده إلىٰ بطل ورمز فريد بالكذب والتزوير، بدأ في ص ١٥٦ الحديث عن أحد وجهاء حلب ويُدعىٰ أبو الفضل بن الخشاب (المتوفىٰ سنة ٥١٩ هجرية/ ١١٢٥م) فسلب الشنقيطي البطولة والفضل من أمير ماردين «إيلغازي» بن ارتق بطل معركة ساحة الدم «البلاط» وحوَّلها لصالح ابن الخشاب.

◉ وكان الشنقيطي قد مَهَّد في مقدمة الكتاب لهذا التزوير الفاضح والكذب المقيت، فقال في مقدمته ص ١٧ ما نَصّه:

> **(وقد بيّنّا في الفصل الثالث المعنون: «اكتشاف وحدة المصائر: السُّنَّة والشيعة الإمامية في مواجهة الفرنجة» أن أهل السُّنَّة والشيعة الإمامية واجهوا الصليبيين صفـًا واحدا في المجمل، علىٰ عكس ما يُذاع في الجدل الطائفي اليوم. وقدّمنا نماذج من ذلك، منها مقاومة طرابلس حصار الصليبيين لها عدة سنين بقيادة الأمير الإمامي فخر الملك بن عمار ودعم القادة السُّنَّة في دمشق وحمص، وتعبئة القاضي الإمامي أبي الفضل بن الخشاب جيشـًا سنّيـًا تركيـًا من ماردين إلىٰ معركة سرمدا أو «حقل الدم» الحاسمة ضد القوات الصليبية، ثم استدعاؤه الأمير السُّنِّي آق سنقر لاستلام حلب من أَيدي الأُمراء العاجزين).**

وفي ص ١٥٧ - ١٥٨ يتحدَّث الشنقيطي عن التهديد الصليبي لحلب التي أصبحت مطوقة من جانب الصليبيين وعلىٰ وشك السقوط في قبضتهم وذهب الكثير من أهل حلب إلىٰ بغداد يستنجدون بالخليفة العباسي والسلطان السلجوقي وكان ضمن هؤلاء المستنجدين بالخليفة والسلطان «رجل من الأشراف الهاشميين من أهل حلب...» والمصادر لم تذكر البتة اسم هذا الشريف ولا عقيدته.

لكن الشنقيطي يستنتج في ص ١٥٩ من عبارة «رجل من الأشراف» أنه شيعي بدون أي سند أو دليل تاريخي. وهذا هو الهوىٰ ولا شيء غيره!

◉ **يقول الشنقيطي في استنتاجه ما نَصّه :**

(لم يحدد المؤرخون العرب بوضوح هوية أعضاء الوفد الحلبي الذي جاء إلىٰ بغداد مستنجدًا، لكن ابن القلانسي ذكر أن رجلاً من الأشراف – أي أنه منتسب إلىٰ آل البيت النبوي – كان يقود الوفد. وهذا مؤشر قوي علىٰ أنه من أسرة بني زهرة، وهي عائلة من نبلاء الشيعة في حلب احتكرت التمثيل السياسي لآل البيت لدىٰ حكام حلب علىٰ مدىٰ قرون) .

ولا أظن الأشراف يقبلون هذا الاستنتاج من الشنقيطي بدون نص من مصدر تاريخي.

وقبل الحديث عن ما جرىٰ في معركة ساحة الدم نعطيكم لمحة عن بطل هذه المعركة «إيلغازي» بن أرتق. فهو ابن القائد أرتق بن أكسب من التركمان، وكان من كبار قادة السلطان «ملكشاة» وأَسْهَم في فتح الأناضول وهو جد الأراتقة الذين حكموا في حصن كيفا وماردين وخرتبرت ومناطق أُخرىٰ في أعالي الجزيرة.

وكان ابنه «إيلغازي» مع أَخِيه سقمان بن أرتق يحكمان القدس حين وصلت الحملة الصليبية إلىٰ أنطاكية في بلاد الشام.

واستغل الوزير الفاطمي الأفضل انشغال القوىٰ السلجوقية الممزقة بحصار الصليبيين لأنطاكية ومحاولة إنقاذها فجاء من مصر بجيش كثيف وحاصر الأراتقة في القدس ونصب عليها أربعين منجنيقاً ودَكَّ أجزاء من سورها بالمنجنيقات . ولم يكن بمقدور سقمان وأخيه «إيلغازي» الصمود في القدس فسلماها للأفضل في شعبان سنة ٤٩١ هجرية، أي بعد سيطرة الصليبيين علىٰ أنطاكية مباشرة . ونزح الأَخَوان نحو الجزيرة وسيطر سقمان علىٰ ماردين.

ولما أراد الزعماء الصليبيون التوسع في منطقة الجزيرة تحالف سقمان مع أمير الموصل التركي جكرمش والتقوا بالصليبيين في معركة حرَّان سنة ٤٩٧ هجرية وأَنْزَلوا

بهم هزيمة ساحقة وأَسَرُوا بلدوين لي بورج أمير «الرُّهَا » الصليبي وجوسلين أمير تل باشر وفرّ بوهمند أمير أنطاكية وابن اخته تانكرد من ميدان المعركة إلىٰ أنطاكية.

وإذا كان «إيلغازي» أنقذ حلب سنة ٥١٣ هجرية فلأنه عاصر الحروب الصليبية من بدايتها وأدرك خطر الصليبيين وكان يطمح أن يضم حلب إلىٰ ماردين التي ورثها بعد موت أخيه سقمان، كما أنه أدرك أن سيطرة الصليبيين علىٰ حلب سيجعلهم يفْصِلون بين ثلاثة بلدان من بلاد المسلمين فَصْلاً تاماً هي فصل آسيا الصغرىٰ عن العراق وعن الشام.

وقد طوَّق الصليبيون حلب. وأدرك أهل حلب بمن فيهم ابن الخشاب أن استيلاء الصليبيين علىٰ مدينتهم تعني لهم - علىٰ الأقل - القتل الذريع والنهب المريع والسبي والهتك للنساء والأطفال وبيعهم في أسواق الرقيق، وقد اقترف الصليبيون في المعرة والقدس وقيسارية في فلسطين وغيرها أكثر من هذا الافتراض . كما أدرك أهل حلب أنه لا جدوىٰ من الاستنجاد ببغداد في ضوء تجربتهم السابقة معها. فاستنجدوا بـ«إيلغازي» أمير ماردين.

وقد تحدث الأستاذ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور بالتفصيل عن إيلغازي ومعركة ساحة الذم في الجزء الأول من كتابه «الحركة الصليبية»[١].

وليس فيها البتة حتىٰ ذكر اسم ابن الخشاب.

وتحدثت المصادر العربية عن حشد إيلغازي للجيش الذي هزم به الصليبيين في ساحة الدم ولم تذكر أي دور لابن الخشاب في حشد ذلك الجيش الذي زعم الشنقيطي – زوراً – أن ابن الخشاب هو الذي قام بتعبئة ذلك الجيش[٢] .

فقد ذكرت المصادر العربية أن إيلغازي حشد من منطقة ماردين وحدها عشرين

(١) الحركة الصليبية جـ١ من ص ٥١٥ حتىٰ ص ٥٢٢ .

(٢) انظر: مدخل كتاب الشنقيطي ص١٧.

ألف فارس من التركمان[١] . وقد انضم إلىٰ إيلغازي من العرب قبيلة كلاب بزعامة شيخها أسامة بن المبارك الكلابي وهي قبيلة مشهورة بكثرة عددها. كما انضم إليه الأكراد بزعامة طغان أرسلان أمير بدليس وأزون[٢].

وحتىٰ لا يقول قائل – سيما من الرافضة – إن هذه المصادر سنية، وقد أغفلت عمداً دور ابن الخشاب في تعبئة الجيش، نسوق إليكم ما قاله ستيفن رنسيمان في موسوعته «تاريخ الحروب الصليبية» الذي استقصىٰ المصادر العربية واللاتينية القديمة (الصليبية) والرومية والأرمنية والسريانية والجورجية التي تحدثت عن الحروب الصليبية.

قال رنسيمان ج ٢، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ ما نَصّه:

(علىٰ أن مدينة حلب المنكودة الحظ أضحت بالغة العجز عن منع اعتداء الفرنج، منذ انتصار روجر أمير أنطاكية في تل دانث، إذ وضعت نفسها علىٰ كره منها تحت حماية «إيلغازي» الأرتقي غير أن استيلاء روجر علىٰ البزاعة سنة (١١١٩م = ٥١٣ هجرية) أدىٰ إلىٰ تطويق حلب من ثلاث جهات، فإن ضياع البزاعة كان خسارة ليس بوسع «إيلغازي» أن يتحملها...) .

وسأنقل لكم هنا شرح رنسيمان لكيفية حشد «إيلغازي» جيشه الأمر الذي ينسف بالكلية قول الشنقيطي الآنف الذكر أن ابن الخشاب هو الذي قام بتعبئة ذلك الجيش التركي السُّنِّي من ماردين.

---

(١) ابن الأثير : الكامل، جـ١ ص٥٥٣–٥٥٥ ؛ ابن القلانسي ص٢٠٠؛ ابن العديم: زبدة الحلب، جـ٢، ص١٨٧–١٩٠؛ تحقيق سامي الدهان.

(٢) ابن الأثير : الكامل حـ١٠ ص٥٥٣ ؛ ابن العديم جـ٢ ص١٩٠ ؛ ابن كثير البداية والنهاية جـ١٢، ص١٨٤؛ الذهبي : دول الإسلام، جـ٤ ص٤٠ .

قال رنسيمان ج ٢ ص ٢٣٦ ما نَصّه :

(وفي أثناء ربيع ١١١٩م، طاف «إيلغازي» بأملاكه، يحشد عساكره من التركمان، ويتجهز لاستقبال ما يقدم عليه من الكتائب المؤلَّفة من الكُرْد النازلين بالشمال، ومن القبائل العربية الضاربة ببادية الشام. ورأىٰ «إيلغازي» من الناحية الشكلية أن يطلب المساعدة من السلطان محمود، غير أنه لم يتلقّ ردًّا عل طلبه. غير أن حليفه طغتكين وافق علىٰ أن يقدم عليه من دمشق، ووعد بنو منقذ أُمراء شيزر بأن يحملوا روجر أمير أنطاكية علىٰ الانصراف إلىٰ جهة أخرىٰ، بأن يزمعوا علىٰ مهاجمة الأطراف الجنوبية لممتلكاته. وفي نهاية شهر مايو زحف جيش الأراتقة الذي بلغ عدده ،فيما يقال، أربعين ألفا من الجند الأشداء.

وحدثت المعركة قبل أن يتلقىٰ روجر المساعدات من جانب ملك بيت المقدس وأمير طرابلس. فقد طوق «إيلغازي» بجيشه جيش أنطاكية الذي لا يزيد عن خمسة آلاف بقيادة روجر وأباده بأكمله وقتل روجر. وغنم المسلمون كل ما كان مع جيش روجر ودخل «إيلغازي» حلب وتسلمها واحتفل فيها بانتصاره).

ولن يستطيع الشنقيطي تزوير وتحريف حقائق هذه الواقعة؛ لأنها موثقة مسجلة في المصادر العربية والصليبية القديمة وفي دراسات ورسائل حديثة يصعب سردها أو حصرها.

ولكن ما كتبه الشنقيطي عنها مُـزورًا للحقائق تبين تعصبه للشيعة الإمامية ومحاولته اختراع أدوار بطولية لبعض شخوصها، في ميدان الجهاد زمن الحروب الصليبية بهدف إيجاد شرعية تاريخية لنظام خميني.

هذه الفترة (فترة تهديد حلب ونجدتها من جانب «إيلغازي» و «آق سنقر البرسقي») التي تحدث عنها الشنقيطي فترة تدهور وتمزق وانحسار للمسلمين، وتوسع مستمر للصليبيين في بلاد الشام، وميزان القوىٰ كان يميل بصورة كبيرة لصالح الصليبيين، والدليل علىٰ هذا، الجيش الذي جاء به «إيلغازي»، ليس جيشه الخاص بل جمعه من الكرد والعرب ومن التركمان الذين كانوا لا يخضعون إلا لمقدميهم (فلكل جماعة أو عشيرة تركمانية مُقدّم يأتمرون بأمره) وهذه حقيقة يعرفها كل دارس لتاريخ ظهور السلاجقة.

والدليل أيضا أنه بعد إبادة جيش روجر أمير أنطاكية وقتله أصبحت هذه الإمارة بلا جيش ولا أمير، ولو كان الجيش منظماً وتابعاً لـ «إيلغازي» لاستطاع فتح أنطاكية، لكن تلك الجماعات التي جاءت مع «إيلغازي» اكتفت بما حصلت عليه من غنائم في نصر سريع في ساحة الدم «سرمدا» ، وعادت إلىٰ بلادها. والدليل الأخير أنه لم يبق مع «إيلغازي» إلا قوته الخاصة ولذلك هُزِمَ أمام الصليبيين في معركة هاب في السَّنَة نفسها التي حدثت فيها معركة ساحة الدم، وبعدها بأسابيع رغم أن أمير دمشق طغتكين انضم بقواته إلىٰ «إيلغازي» في هذه المعركة[١] .

ولم يتم تحقيق توازن القوىٰ بين المسلمين والصليبيين إلا بعد ظهور عماد الدِّين زنكي بسنوات وبذله جهودًا مُضنية في سبيل توسيع مملكته بضم سنجار وحران ونصيبين وحلب وحمص وحماة وبعلبك وغيرها من البلاد، وبناء جيش منظم يتبعه مباشرة يستطيع الوقوف طويلا أمام المدن الحصينة - مثل «الرُّهَا» - حتىٰ يفتحها.

وهذه حقائق يجهلها الشنقيطي؛ لأنه لا يريد معرفتها، فهو يسعىٰ لتحريف وتزوير حوادث صغيرة تافهة لا قيمة لها البتة في عملية الجهاد والاسترداد ضد الصليبيين بهدف إيجاد شرعية جهادية للشيعة الإمامية حتىٰ تتكئ عليها الخمينية الحالية في هجمتها المدمرة علىٰ العالم الإسلامي!

---

(١) انظر: رنسيمان ج٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

والآن: سأعرض عليكم تعليقات الشنقيطي - الإنشائية الفارغة من أي مضمون تاريخي - علىٰ هذه الفترة (فترة استنجاد أهل حلب بـ «إيلغازي» ثم ب«آق سنقر البرسقي») ثم أعرض تعليق الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور رحمه الله علىٰ الفترة نفسها الذي ينسف تعليق الشنقيطي من أساسه.

◉ **قال الشنقيطي في صفحة ١٦٢ ما نَصّه :**

(وتدل هذه الأحداث علىٰ تلاحم سُنّي إمامي صلب ضد الصليبيين وضد الحشاشين، تجاوز خطوط الطائفية خدمة للمصير المشترك، فوجود القائد الشيعي ابن الخشاب وابن بديع في خندق واحد «ابن بديع كان قائداً لشرطة حلب» يدل علىٰ مستوىٰ عميق من الانسجام بين السُّنَّة والإمامية في حلب فرضه تحدِّي الصائل الفرنجي، والنخر الباطني الذي كان يمثله الحشاشون آنذاك).

◉ **ثم يقول الشنقيطي ص ١٦٤ ما نَصّه :**

(ولولا روح الوحدة والتعاضد بين السُّنَّة والشيعة الإمامية لما كان ذلك النصر المؤزر «معركة ساحة الدم ، أو سرمدا » الذي رفع معنويات المسلمين بعد عقدين من الهزيمة والانكسار أمام اندفاعة الفرنجة الأولىٰ).

إنه لا يعرف انتصارات «كمشتكين» بن دانشمند علىٰ ثلاث حملات صليبية كبرىٰ في الأناضول سنة ٤٩٤ هجرية/ ١١٠١م، ولا انتصار «سقمان بن أرتق» و«جكرمش» علىٰ الصليبيين في معركة حران وأَسْر اثنين من كبار قادتهم التي أشرنا إليها سابقًا.

أما تعليق الدكتور سعيد عاشور علىٰ هذه الفترة فهو قصير جدًّا لكنه ينسف أكاذيب الشنقيطي السابقة نسفـًا كليـًا، قال رحمه الله ما نَصّه:

(وهكذا لعب الصليبيون دورهم بمهارة في تفرقة صفوف المسلمين، وضرب العرب بالأتراك، والشيعة بالسُّنَّة، لإضعافهم جميعـًا)[١].

والآن أعرض لكم قمة من قمم الكذب والتزوير التاريخي التي لم أرها في كتاب تاريخي من قبل!!

◉ **يقول الشنقيطي ص ١٦٤ ما نَصّه :**

> **(ثم تكرر مسار مشابه لمسار سرمدا – سرمدا اسم المكان الذي وقعت فيه معركة ساحة الدم حسب بعض المصادر العربية ومصادر أخرىٰ تُسمي المكان البلاط - عام ٥١٨ هجرية/ ١١٢٥م حينما حاصر ملك بيت المقدس الفرنجي بالدوين مدينة حلب مدعومـًا بحلف عريض من الصليبيين والمرتزقة المسلمين. وهو أسوأ حصار شهدته حلب خلال الحقبة الصليبية كلها)**

ثم يعرض الشنقيطي نصـًا من ابن العديم يوضح أن أهل حلب أكلوا – بسبب الجوع – الكلاب والميتات.

لكن دعونا نتوقف هنا ونسأل المُزَوِّر الشنقيطي: من هم المرتزقة المسلمين؟ ولماذا لم يذكرهم بالاسم؟

وأنا سأجيبكم : إنهم ألوف مؤلَّفة من الشيعة الإمامية الذين جاءوا من العراق مع زعيمهم«دبيس» بن صدقة بن مزيد صاحب الحلّة في العراق، فقد استقبل ملك بيت المقدس الصليبي بلدوين سفارة من«دبيس» بن صدقة تعرض عليه التحالف مع«دبيس» وشيعته الإمامية لاحتلال حلب ويصبح«دبيس» نائبا للصليبيين بها.

واستغل بلدوين هذه الفرصة السانحة فوافق علىٰ عرض إمامية العراق، وانضم

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص٥٣٤ .

إليه أيضا سلطان شاة بن رضوان ملك حلب الذي انتزع الأراتقة حلب منه وسجنوه وتمكَّن مِن الفرار مِن سجنه، ولجأ إلىٰ بلدوين وبعد إبرام الاتفاق بين مبعوثي «دبيس بن صدقة» وبلدوين جاء «دبيس» بجموعه من الشيعة الإمامية واتحدت قواته مع قوات بلدوين وبقية قوات الإمارات الصليبية وزحفوا جميعا نحو حلب .

وهنا اخفىٰ الشنقيطي اسم أسلافه في المذهب الإمامي وسمَّاهم المرتزقة؛ لأنه لا يريد معرفة القارئ للمزيد من خيانات هؤلاء القوم كما لا يريد التشويش علىٰ الصورة البطولية التي يقوم برسمها بمبالغة عجيبة لابن الخشاب[١] .

◉ **ويقول الشنقيطي في ص ١٦٤ ما نَصّه :**

(وقد أعاد ابن الخشاب مآثره السياسية أثناء هذا الحصار المرير فبعث وفدا – من ضمنه جدّ المؤرخ ابن العديم يستنجد بأمير الموصل السُّنِّي التركي آق سنقر البرسقي يستحثه علىٰ انقاذ حلب قبل السقوط).

والحق أن المصادر أجمعت علىٰ أن أهل حلب هم الذين أرسلوا يستنجدون بالبرسقي وليس ابن الخشاب وحده ولكن الشنقيطي يُصِرُّ علىٰ ذكر ابن الخشاب ويجعلها مآثره له وحده متناسيا أن حلب حينذاك كانت تابعة للأمير تمرتاش بن «إيلغازي» بن أرتق. الذي ذهب إلىٰ ماردين وترك لنوابه في حلب وعسكره مهمة حماية المدينة. ومُتناسيًا أن ابن الخشاب من أهل حلب وفيها أسرته وسلالته، ومن الطبيعي أن يُشارك أهل حلب الخوف من مصير جارتهم المعرة التي أباد الصليبيون سكانها بل وطبخوا وشووا بعض الجثث وأكلوها.

وقد لبىٰ آق سنقر الدعوة فجاء بجيشه لإنقاذ حلب. ولما اقترب آق سنقر من

---

(١) انظر التفاصيل في : د. سعيد عاشور، ج ١ ص ٥٣٤ – ٥٣٥ ، وانظر أيضا: رنسيمان ج ٢ ص ٢٧٥ – ٢٧٦ .

حلب خاف بلدوين وحلفائه (فتفككت عُرىٰ حلف الفرنجة والمرتزقة المحاصر لحلب) كما قال الشنقيطي ص ١٦٥ ، ولم يذكر حشد الشيعة الإمامية بقيادة «دبيس» وإنما أعاد تسميتهم بالمرتزقة كما فعل في الصفحة السابقة.

فهل شهدتم مثل هذا التزوير وإخفاء الحقائق الفاضحة للشيعة الإمامية بقيادة «دبيس بن صدقة» واتحادهم عسكريًّا مع الصليبيين ضد مدينة حلب؟

والحق أنه توجد ترجمة مفصلة عن «آق سنقر البرسقي» في عشر صفحات كاملة في كتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم[١].

وهذه الترجمة المفصلة - التي لا يوجد مثلها في مصدر - آخر تُبين أن ابن الخشاب ليس هو صاحب الفضل في استدعاء البرسقي، وأنه مجرد عضو صغير في وفد كبير من أعيان ووجهاء حلب ذهبوا أولاً إلىٰ ماردين مستنجدين بأمير حلب تمرتاش بن «إيلغازي». ولما خذلهم ذهبوا إلىٰ الموصل لطلب النجدة من البرسقي.

وبعد أن زوَّر الشنقيطي كثيرًا من الحقائق كما رأينا، وجعل الفضل في حماية حلب وإنقاذها من السقوط سنة ٥١٨ هجرية إلىٰ ابن الخشاب، ذكر في ص ١٦٦ قصة اغتيال «آق سنقر البرسقي» في جامع الموصل سنة ٥٢٠ هجرية، وغاب عنه – أو تعمَّد إغفاله – أن «آق سنقر البرسقي» عاش بعد وفاة ابن الخشاب سنة ٥١٩ هجرية/ ١١٢٥م أكثر من سنة وعاد إلىٰ الشام لجهاد الصليبيين مرتين، واعترف بزعامته أَشْهَر أُمراء الشام المستقلين في ذلك الحين وهو طغتكين صاحب دمشق، وبعد وصوله في المرة الأولىٰ هاجم إمارة أنطاكية الصليبية، وانتزع منها مدينة كفرطاب فاستنجدت أنطاكية بملك بيت المقدس بلدوين الثاني فهب لنجدتها ومعه أمير طرابلس بونز بقواته وأمير «الرُّهَا » جوسلين دي كورتناي والتقوا بـ«آق سنقر البرسقي» عند عزاز

(١) ج ٤ ص ٥٢٨ – ٥٣٧ . من منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، بألمانيا، التي أشرف علىٰ نشرها فؤاد سزكين. سنة ١٤٠٩ للهجرة/ ١٩٨٩م.

وهزموه. ثم وقّع الطرفان علىٰ هدنة احتفظ بموجبها «آق سنقر البرسقي» بكفرطاب التي انتزعها من أنطاكية وعاد إلىٰ الموصل بعد أن ترك في حلب حامية لحمايتها.

واستغل بلدوين الثاني رجوع «آق سنقر البرسقي» إلىٰ الموصل وشدد الضغط علىٰ القوىٰ الإسلامية الممزقة في بلاد الشام بهدف التوسع علىٰ حسابهم أكثر وأكثر فهاجم طغتكين في دمشق وأنزل به الهزيمة، ثم حاصر الصليبيون حمص واحتلوا رفنية فاستنجدت تلك القوىٰ الهزيلة بـ«آق سنقر البرسقي» مرة أخرىٰ فنهض البرسقي بقواته للمرة الثانية - بعد موت ابن الخشاب - ومعه في هذه الأخيرة ابنه عزالدين مسعود، فأرسل ابنه مسعود بفرقة عسكرية لصد الصليبيين عن حمص، وسار هو ببقية عسكره نحو إمارة أنطاكية وهاجم الأثارب التابعة لها.

عندئذ أرسل بلدوين الثاني ملك بيت المقدس إلىٰ «آق سنقر البرسقي» يعرض عليه الهدنة وأن يعيد الصليبيون رفنية إليه، فوافق «آق سنقر البرسقي» علىٰ العرض وعاد بقواته إلىٰ الموصل فوصلها في يوم الجمعة التاسع من ذي القعدة سنة ٥٢٠ هجرية/ الموافق ٢٦ نوفمبر ١١٢٦م. وذهب إلىٰ جامع الموصل الكبير لأداء صلاة الجمعة فاغتالته عصابة من عشرة أشخاص من الباطنية بخناجرهم أثناء مسيره إلىٰ المنبر لسماع خطبة الجمعة[١].

وقد أَوْردَت هذه المعلومات التي أغفلها الشنقيطي؛ لأنه يريد القيام بأكبر عملية تزوير وكذب في الكتاب لينطلق منها إلىٰ أفدح تشويه، يقترفه، لسيرة المجاهد العظيم العادل نور الدِّين محمود بن عماد الدِّين زنكي بن قسيم الدولة أق سنقر الحاجب (المتوفىٰ سنة ٤٨٧ هجرية. أي أن جد نور الدِّين الحقيقي مات قبل اغتيال

---

(١) انظر تفاصيل أكثر عن هذه الحوادث : د. سعيد عاشور ؛ الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٣٦ - ٥٣٩. والمصادر التي اعتمدها عاشور هي: ابن الأثير؛ وزبدة الحلب لأبن العديم ؛ وابن القلانسي، بالإضافة إلىٰ المراجع الغربية.

«آق سنقر البرسقي» بثلاث وثلاثين سنة).

◉ **وإليكم ما كتبه الشنقيطي من كذب وتزوير فادح،** قال في ص ١٦٥ - ١٦٦ :

(وكان دخول آق سنقر - البرسقي - إلىٰ حلب فاتحة عصر جديد في المقاومة الإسلامية للحملات الصليبية. فقد أمَّن حلب من أي غزو فرنجي، ومهَّد لتوحيد حلب والموصل مستقبلا تحت قيادة نجله عماد الدِّين زنكي، وحفيده نور الدِّين محمود، لكن خناجر النزاريين غدرت بهذا الرجل النبيل وهو في أوج مجده الجهادي) .

وقبل أن أواصل النقد لهذا التزوير والكذب المفضوح دعوني أعطيكم لمحة مختصرة عن قسيم الدولة آق سنقر الحاجب والد عماد الدِّين زنكي، وجد نور الدِّين محمود: هو قسيم الدولة آق سنقر الحاجب بن عبدالله، وينتمي إلىٰ آل ترغان من قبيلة الساب يو التركمانية. وكان آق سنقر - كما يقول ابن العديم في بغية الطلب - مملوكا للسلطان «ملكشاة» ومن المقربين إليه، وقد نشأ معه ورَافَقه في طفولته وصباه. ولما تولىٰ «ملكشاة» عرش السلطنة سنة ٤٦٥ هجرية اعتمد علىٰ آق سنقر في كثير من الأُمور. وعندما جاء السلطان «ملكشاة» إلىٰ الشام سنة ٤٧٩ هجرية عهد بولاية حلب لصديقه آق سنقر الحاجب. ثم قتله تتش شقيق «ملكشاة» بعد معركة جرت بينهما سنة ٤٨٧ هجرية أثناء الحرب الأهلية السلجوقية التي اندلعت بعد موت «ملكشاة» سنة ٤٨٥ هجرية[١] .

وتبلغ تلك الترجمة إحدىٰ عشرة صفحة كاملة، وتتلوها مباشرة ترجمة «آق سنقر البرسقي» في عشر صفحات كاملة.

وحين مات آق سنقر الحاجب كان عُمْر ابنه زنكي إحدىٰ عشرة سنة فكفله كربوجا أمير الموصل. ولما بلغ سن الرشد أصبح عماد الدِّين زنكي جنديا محترفا

---

(١) انظر ترجمة آق سنقر الحاجب في : بغية الطلب ؛ المصدر السابق ج ٤ ص ٥١٦ - ٥٢٦ .

في جيش الموصل. وكان ضمن جيش جكرمش أمير الموصل الذي تحالف مع سقمان بن أرتق أمير ماردين وهزما الأمراء الصليبيين في معركة حرّان سنة ٤٩٧ هجرية كما كان ضمن جيش مودود الذي هزم ملك بيت المقدس بلدين الأول في معركة طبرية، التي تُسمىٰ أيضا معركة الصنبرة. وفي هذه المعركة أبدىٰ زنكي من ضروب البسالة والبطولة ما أثار إعجاب زملائه فلقبوه بلقب زنكي الشامي. وقد آثار انتباه سلاطين السلاجقة فولَّوه علىٰ ولاية البصرة ثم أسندوا إليه وظيفة الشحنة في بغداد وهي وظيفة تشبه وظيفة صاحب الشرطة.

ولما اغتيل «آق سنقر البرسقي» سنة ٥٢٠ ذهب وَفْد من أهل الموصل إلىٰ السلطان السلجوقي، وأشاروا عليه بتولية عماد الدِّين زنكي علىٰ الموصل فاستجاب لطلبهم وعينه علىٰ الموصل سنة ٥٢١ هجرية.

ثم هدد الصليبيون حلب مرة أُخرىٰ فاستنجد أهل حلب بزنكي سنة ٥٢٢ هجرية فسار إلىٰ حلب، وتسَلَّمَها وطرد الصليبيين من محيطها. وهذا الاستنجاد وتلبيته هو الذي غير مجرىٰ الحروب الصليبية كما هو معروف[١].

وهذا الانقاذ العملي لحلب من جانب عماد الدين وهو الذي كسح الصليبيين بعيداً عنها فلم يعودوا يهدونها بعد أن ظلت تتعرض للتهديد الجدي قبل ذلك وكان انقاذها دائمـاً مؤقتـاً.

◉ **وبعد ذلك يبدأ الشنقيطي في تشويه صورة العادل نور الدِّين فيقول في ص ١٦٦ ما نَصّه :**

(وحينما سيطر نور الدِّين علىٰ حلب عام ٥٤٣ هجرية / ١١٤٦م

---

(١) كل التفاصيل عن زنكي وأبنائه وأسرته كلها تجدونها بالتفصيل في التاريخ المفصل الذي جعله المؤرخ ابن الأثير خاصًّا بتاريخ هذه الأسرة وعنوانه «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» ، والذي لم يعتمده الشنقيطي البتة .

- لاحظوا التاريخ خطأ فنور الدِّين سيطر علىٰ حلب بعد وفاة والده سنة ٥٤١ هجرية وليس سنة ٥٤٣ - وهو حفيد الأمير المغدور آق سنقر - بدأ حملة تصفية شاملة ضد الشيعة الإمامية والنزارية علىٰ حدٍّ سواء، وبدعم فقهاء سُنَّة في حلب، ألزم الشيعة في مساجدهم بتغيير الآذان في مساجدهم إلىٰ الصيغة المعتمدة لدىٰ أَهْل السُّنَّة، كما نفىٰ عددًا من أعيان الشيعة الحلبيين بمن فيهم والد المؤرخ الحلبي يحيىٰ بن أبي طيّ. قال أبو شامة: «فإن نور الدِّين - رحمه الله تعالىٰ - كان قد أذلّ الشيعة بحلب وأبطل شعارهم وقوّىٰ أهل السُّنَّة وكان والد ابن ابي طيّ من رؤوس الشيعة فنفاه من حلب») .

فأين التصفية الشاملة التي قام بها نور الدِّين أيها المتطفل علىٰ علم التاريخ حين تصفه بهذه العبارة الحقودة الباغية؟ لماذا لم تذكر القتلىٰ الذين قتلهم نور الدِّين من الشيعة والمذابح التي أجراها فيهم؟ فلا توجد تصفية البتة!!

فالتصفية الشاملة هي التي تشبه ما قام به واقترفه الفاطميون في شمال أفريقية والولايات الإسلامية في أوروبا وبلاد الشام. وما اقترفه الرافضي تيمورلنك بحق المسلمين وزعم أنها ثَـأْرًا لمقتل الحسين ﵁، وما فعله الصفويون في إيران وكردستان والعراق، وما فعله الخمينيون في العراق ضد أهل السُّنَّة في ديالىٰ وفي مدن الأنبار وفي الموصل وغيرها. وتُشبه ما فعلوه في سوريا في الزبداني القصير وحمص وحماة وحلب والمعرة ومدن الغوطة وغيرها.

وفوق هذا وذاك جعلته يقوم بهذه المزاعم الكاذبة التي تسوقها ثأرًا وانتقاما لمقتل جد لا صلة نسب له به البتة، وكررتها كثيرًا في كتابك - كما سنرىٰ - .

ولا غرابة في ذلك فدينك ودين أسيادك الخمينيين كله مبنيٌّ علىٰ الكذب.

⦿ الشنقيطي يشوه صورة نور الدِّين:

أي قارئ مسلم لا يعرف سيرة نور الدِّين وتاريخه، ويقرأ كتاب الشنقيطي «أثر الحروب الصليبية علىٰ العلاقات السنية الشيعية» يخرج بصورة مشوهه مزيفة بالغة السُّوء عن نور الدِّين، ويبقىٰ في وجدانه انطباع سيء عن هذا المجاهد الزاهد الورع العادل المتمسك بالكتاب والسُّنَّة؛ لأنه صوَّرهُ بصورة المصفي لجميع الشيعة من باطنية وإمامية تصفية شاملة بدافع الحقد والثأر والانتقام؛ لانهم قتلوا جده - «آق سنقر البرسقي»، الذي زعم الشنقيطي - زورًا وبهتانًا - أنه جد نور الدِّين ووالد أبيه عماد الدِّين زنكي، في حين أن جد نور الدِّين ووالد والده زنكي هو آق سنقر الحاجب الذي مات قبل ثلاث وثلاثين سنة من اغتيال الباطنية لـ «آق سنقر البرسقي» وهي صورة كاذبة مزيفة جملة وتفصيلًا.

وهذه الصورة جاءت في كتابه في أربع صفحات فقط، من ص ١٦٨ حتىٰ ص ١٧١ وراجعوا هذه الصفحات في كتابه.

بينما رسم صورة بطولية للخائن الشيعي ابن عمار في ستة عشرة صفحة من ص ١٤١ حتىٰ ص ١٥٦، مع العلم أن أثر خيانة ابن عمار تفوق - في الأثر - بمئات المرات خيانة ابن العلقمي للخليفة العباسي ومدينة بغداد سنة ٦٥٦ هجرية.

وهذه حقيقة يجهلها عامة المسلمين الذين لا يعرفون إلا قصة خيانة ابن العلقمي!

وسأبين لكم هذا الأمر الآن بعقل المؤرخ وفكر المؤرخ وروح المؤرخ:

فخيانة ابن العلقمي عجّلت بسقوط بغداد فقط، ولو لم يقترفها ابن العلقمي، لسقطت بغداد لا محالة ولكن سيطول حصارها.

والدليل الحاسم علىٰ هذا أن مدينة «مَيَّافارِقين» الأكثر حصانة، من الناحية الطبيعية من بغداد، والتابعة لأحد ملوك بني أيوب حاصرتها إحدىٰ الفرق من جيش

هولاكو مدة سنتين كاملتين بينما سار هولاكو بجيشه الكبير إلىٰ الشام، وسقطت «مَيَّافارِقين» بعد أن أبدىٰ المدافعون عنها من ضروب البسالة والشجاعة ما لا يوصف. ومع ذلك سقطت أمام فرقة مغولية.

أما هولاكو فبعد اقتحام حلب وتدميرها وبيع سكانها جميعا في أسواق الرقيق. فقد وصلته الأنباء من الصين – المحتلة من جانب المغول – بوفاة أخيه الخان الأكبر منكوقاآن، وتنازُع اثنين من إخوته علىٰ العرش. فقرَّر العودة بكل جيشه إلىٰ الصين بهدف إعادة الترابط والوحدة لبيت جنكيزخان. ولكن ملك الأرمن هيثوم –حليف المغول – توسل لهولاكو وتذلَّل له أن يُبقي فرقة عسكرية تساعد الأرمن والصليبيين علىٰ استرداد القدس من المسلمين.

فأجاب هولاكو طلب حليفه هيثوم فأبقىٰ قائده كتبغا وزوجة هولاكو دوقوز خاتون لتكون مستشارة لكتبغا .

وعدد تلك الفرقة المغولية التي أبقاها هولاكو مع كتبغا عشرة آلاف فارس، ومعها الكتيبة الأرمنية وكتيبة أمير أنطاكية الصليبية بوهمند السادس زوج بنت هيثوم.

ولولا وفاة خان المغول الأكبر – بقَدَر الله وسُنَّتِه في أُمَّة محمد ﷺ ووعده لنبيه أن لا يُسلط علىٰ أمته عدواً يستأصل شأفتها ويزيلها بالكلية. لولا هذا الوعد الإلهي لوصل هولاكو بجيشه العرمرم إلىٰ ساحل المحيط الأطلسي ولعَبَروا منها إلىٰ الأندلس وإلىٰ أوروبا!

فهذا الجيش القليل مع كتبغا هو الجيش الذي انتصر عليه المسلمون بقيادة السلطان قطز في معركة عين جالوت في ٢٥ رمضان ٦٥٨ هجرية / ١٢٦٠م[١] .

(١) وعن هذه المعلومات تُراجع الكتب التالية: السيد الباز العريني : «المغول». وفؤاد عبد المعطي الصياد: «المغول في التاريخ». وسعيد عاشور : «الحركة الصليبية»، الجزء الثاني ، و«العصر المماليكي في مصر والشام» و«الأيوبيون والمماليك». ورنسيمان : «الحروب الصليبية» ،الجزء الثالث.

فالمغول عند بغداد كانوا في قمة اندفاعتهم المتوحشة - مثل السونامي في ذروته الأولىٰ علىٰ اليابس - وبغداد كانت ستسقط لامحالة سواء وُجِد ابن العلقمي أم لم يوجد.

فهذا منطق التاريخ لمن يعرف كيف تسير حركة التاريخ. وليس منطق من يزور التاريخ ويبني ماضيًا جديدًا - كما قال الشنقيطي في مقدمته ومَدْخله لكتابه هذا.

أما خيانة ابن عمّار - الذي جعل منه الشنقيطي بطلاً أسطوريًا صلبًا ورمزاً فريداً - فإنها أنقذت المشروع الصليبي من الدمار وهو في بدايته، وكفلت للحركة الصليبية البقاء وحالت بين المسلمين وبين القضاء عليها وهي في فجر تاريخها. وهو ما رأيناه في نقدنا لما كتبه الشنقيطي عن ابن عمار الذي سمّىٰ خياناته المتكررة بالشوائب! وبهذه النظرة التاريخية الفاحصة يتبين لكم أن خيانة ابن عمار تفوق خيانة ابن العلقمي.

◉ **قال الشنقيطي ص ١٦٦ ما نَصّه :**

(وحينما سيطر نور الدِّين محمود علىٰ حلب عام ٥٤٣ هجرية/ ١١٤٦م - وهو حفيد الأمير المغدور آق سنقر - بدأ حملة تصفية شاملة ضد الشيعة الإمامية والنزارية علىٰ حد سواء).

وعندما يقرأ القارئ هذه العبارة يتبادر إلىٰ ذهنه أن هناك تصفية تشبه التصفية الشاملة التي قام بها الشيعي تيمورلنك ضد السُّنَّة محتجا أنه يقوم بذلك ثأراً لمقتل الحسين في كربلاء أو تشبه التصفية الشاملة التي قامت بها الدولة الصفوية ضد السُّنَّة في إيران وكردستان والعراق. أو التصفية الشاملة التي قامت بها الخمينية الحالية في ديالىٰ والأنبار والموصل وكل أنحاء العراق التي فيها أهل السُّنَّة، أو ما فعلته الخمينية في سوريا طوال هذه الكارثة التي أنزلها بشار وأسياده الخمينيون والروس بسوريا وشعبها.

كنا ننتظر من الشنقيطي بعد عبارته الباغية المشوهة لنور الدِّين أن يُقدم الدليل علىٰ ما يقول، لكنه لم يستطع أن يُقدِّم اسم قتيل واحد؛ لأنه لم يجد – ولن يجد غيره – في المصادر اسم هذا القتيل المزعوم.

لم نجد في بقية ص ١٦٦ و ص ١٦٧ شيء من التصفية التي زعمها الشنقيطي. وإنما وجدناه يخبرنا أن نور الدِّين منع الشيعة من الأذان بـ«حي علىٰ خير العمل»، ومنع الشيعة من سب الصحابة ولَعْنِهم علنًا داخل حلب، ونَفَىٰ أحد زعماء الشيعة من حلب. ونقل نصوصًا تاريخية عن هذه الأُمور، لكنه لم يُقدّم دليلا علىٰ التصفية الشاملة.

وفي آخر ص ١٦٧ وبداية ص ١٦٨ ينتقد الشنقيطي نور الدِّين علىٰ سياسته التي أوردها وعجز عن إيراد دليل واحد علىٰ التصفية، ويُكرر كذبه وزُوره بأن نور الدِّين كان مدفوعًا في سياسته تلك بدافع الثأر فيقول ما نَصّه :

(وكان في وسع نور الدِّين منع استفزاز الشيعة لبقية المسلمين بسبِّ الصحابة، دون أن يمنع شعائر تدخل في تفاصيل الفقه الاجتهادية مثل النداء في الأذان بحي علىٰ خير العمل، لكن ثأره مع الإسماعيليين الحشاشين الذين اغتالوا جده آق سنقر وقادة سنة كباراً، وروح عصره التي اتّسمت بالضيق بالمخالف لدىٰ الفقهاء والأُمراء، دفعته إلىٰ التشدد فيما يبدو) .

فهل قرأتم أو سمعتم من قبل مثل هذا الكذب والهراء؟

والعجب أن الشنقيطي كرّر الصورة المشوهة التي رسمها لنور لدين في كتابه عدة مرات – كما سنرىٰ – وهي صورة صاحب الثأر الحاقد الذي ينتقم من الشيعة ثأرًا لقتل الإسماعيلية لجده «آق سنقر البرسقي» حسب زعم الشنقيطي الكذوب.

والهدف من هذا التكرار أن تبقىٰ تلك الصورة المشوهة عن نور الدِّين عالقة في ذهن القارئ إذا قرأ كتاب الشنقيطي مرة واحدة؛ لأنها مرت عليه في الكتاب عدة مرات.

فالحذر الحذر من كل ما يكتبه هذه المُزَوِّر الذي لا يتورّع فيما يكتب كما رأينا من بداية نقد كتابه وإلىٰ الآن[1] .

⊙ تزوير آخر للشنقيطي يتعلَّق الشيعة الإمامية:

وسأريكم الآن دليلًا تاريخيًّا ساطعًا علىٰ تزوير محمد بن المختار الشنقيطي للتاريخ، حين يأخذ قصة هامشية من حوادث خطيرة جرت سنة ٥٥٢ هجرية/ ١١٥٧م؛ ليخرج منها باستنتاج كاذب باطل، مُفاده: أن الشيعة الإمامية كانوا لايزالون غالبية سكان حلب في تلك السَّنَة. ولكن لا بد أن أعرض لكم لمحة عن المشهد التاريخي في بلاد الشام سنة ٥٥٢ هجرية.

في هذه السَّنَة شرع قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم «الأناضول» في الزحف علىٰ مملكة نور الدِّين من الشمال بهدف انتزاع حلب من نور الدين، وتزامن هذا التهديد لنور الدِّين – في السَّنَة نفسها – بحدوث زلازل مدمرة في بلاد الشام سببت أضرارًا كبيرة في أسوار بعض المدن الإسلامية التابعة لنور الدِّين مثل: حماة وكفر طاب ومعرة النعمان وأفامية وحمص، وشيزر التابعة لبني منقذ، الذين ماتوا تحت أنقاض بلدتهم.

وقرَّر ملك بيت المقدس الصليبي بلدوين الثالث وأمير أنطاكية «أرناط» رينو دي شاتيون، وأمير «طرابلس» ريموند الثالث، استغلال تلك الكارثة ومهاجمة نور الدِّين

(١) للتعرف علىٰ سيرة نور الدِّين علىٰ حقيقتها، يرجع إلىٰ الكتب التالية: عماد الدِّين خليل: «نور الدِّين محمود، الرجل والتجربة» . وأيضـًا: كتاب الصديق الدكتور مسفر بن سالم بن عريج الغامدي وعنوانه: «الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد الأسرة الزنكية» وهو موجود في النت أيضـًا ويمكن قراءته وتحميله.

في عقر داره، لكن نور الدِّين جمع قواته وخرج من «حلب» لصد الصليبيين. وفجأه داهمه مرض خطير أشرف منه علىٰ الموت، عندئذ أوصىٰ بأن يخلفه علىٰ مملكته أخوه نصرة الدِّين، ونائبه علىٰ دمشق قائده الشهير أسد الدِّين شيركوه (ولم يكن نور الدِّين في تلك السَّنَة قد أنجب ابنه الصالح إسماعيل) ويكون شيركوه تابعا لنصرة الدين. وحُمِل نور الدِّين في محفة إلىٰ قلعة حلب . وابتهج الصليبيون بمرض نور الدِّين؛ لأنه كان كابوسا علىٰ نفوسهم.

وجاء الصليبيون واستولوا علىٰ أنقاض شيزر وحارم وأفامية، ولكن ملك بيت المقدس عاد إليها لحل مشكلات داخلية وقعت فيها. وقد كان لوصية نور الدِّين بأن يخلفه أخوه نصرة الدِّين أسوأ الأثر في نفس أخيه الآخر محمد الملقب «أمير أميران» الذي كان يتوق إلىٰ أن يكون هو خليفة نور الدين. وقرّر العمل لتحقيق أمنيته، فلم يجد من قادة نور الدِّين ولا من أفراد جيشه ولا من الغالبية السنية في حلب من يؤيده في هذا المسعىٰ، فحاول استمالة أهل حلب، واتصل بالأقلية الشيعية في حلب وطلب منهم تأييده في مسعاه ووعدهم بالسماح لهم بممارسة شعائرهم الباطلة التي منعهم نور الدِّين من ممارستها[١] .

---

(١) انظر عن تفصيل هذا المشهد التاريخي: ابن الأثير : الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية، وهو مصدر أساسي لنور الدِّين لم يعتمده الشنقيطي في كتابه. وانظروا أيضا الجزء الاول من كتاب ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حيث خصص ابن واصل هذا الجزء بأكمله لتاريخ عماد الدِّين زنكي وابنه نور الدِّين محمود، ولم يعتمده الشنقيطي في كتابه. وأيضا حوادث سنة ٥٥٢ هجرية في «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي. ولم يعتمده الشنقيطي في كتابه. وانظر أيضـًا حوادث سنة ٥٥٢ هجرية في «الكامل» لابن الاثير، و«تاريخ ابن القلانسي»، و«زبدة الحلب» لابن العديم، وأبو الفدا: «المختصر في أخبار البشر». وغيرها من المصادر. وقد أشرت هنا إلىٰ حوادث السُّنَّة؛ لأن طبعات تلك الكتب مختلفة، وحتىٰ لا أشير إلىٰ صفحات معينة فيأتي القارئ إلىٰ طبعة مختلفة فلا يجد هذه الأخبار.

أما المراجع الحديثة : فهي : سعيد عاشور ؛ «الحركة الصليبية »، ج ٢ ص ٦٤٩ – ٦٥١ . رنسيمان : «تاريخ الحروب الصليبية» ج ٢ ص ٥٥٣ – ٥٥٥، ٥٦٣ – ٥٦٤ .

وهكذا استبعد الشنقيطي توضيح المشهد التاريخي كاملا. واكتفىٰ بذكر قصة محمد أمير أميران ليخرج منها بزعم كذوب بأن الشيعة الإمامية هم غالبية سكان حلب!

◉ قال الشنقيطي ص ١٦٨ ما نَصّه :

(وقد استمر سعي إمامية حلب لبعض الوقت للتحرر من سياسات نور الدين. فقد أورد مؤرخون محاولة إمامية فاشلة عام ٥٥٤ هجرية/ ١١٥٧م) .

هكذا أورد التاريخ خطأً للتحالف مع أخي نور الدِّين محمد الملقب أمير أميران، بعد أن وعدهم برفع القيود عن شعائرهم، مقابل دعمهم السياسي له ضد أخيه نور الدِّين في وقت كان فيه نور الدِّين مريضـاً.

ثم ينقل الشنقيطي في بقية الصفحة نفسها عن زبدة الحلب لابن العديم قصة مرض نور الدِّين ومحاولة أمير أميران استغلال مرضه، ومحاولته استمالة الحلبيين، ووعوده للشيعة اذا وقفوا معه وموقف الأَخَوان الكرديان، أسد الدِّين شيركوه وَالِي حِمص، ونجم الدِّين أيوب والي دمشق، ومجيء شيركوه إلىٰ حلب حيث وجد نور الدِّين يتعافىٰ فأظهره للناس من شرفة يراه أهل حلب فاطمأن الناس، وهرب محمد إلىٰ حرّان، فملكها.

◉ ويستنتج الشنقيطي من محاولة محمد هذه أن غالبية أهل حلب كانوا حينذاك شيعة فيقول في ص ١٦٨ – ١٦٩ ما نَصّه :

(ويشير مسعىٰ أخي نور الدِّين للتقرب من شيعة حلب إلىٰ أنهم كانوا لا يزالون غالبية سكان المدينة حتىٰ ذلك الحين، وأن وزنهم السياسي لا يزال راجحـًا، بحيث اضطر أخو نور الدِّين المنشق عليه إلىٰ خطب ودهم).

وغاب عن الشنقيطي أن النص الذي اقتبسه من ابن العديم ينقض استنتاجه هذا حيث صرح ابن العديم بتفرق الناس عن هذا الأمير وهروبه إلىٰ حران . فلو كانوا شيعة تدفعهم عقيدتهم لما تفرقوا عنه. كما غاب عن الشنقيطي – أو جهله – أن نور الدِّين منذ سيطر علىٰ حلب سنة ٥٤١ هجرية شرع في بناء المدارس السنية علىٰ المذاهب السُّنيَّة الأربعة، بهدف تعليم النشء العقيدة الصحيحة والقضاء علىٰ شركيات وبدع وخرافات وطقوس الشيعة التي لا صلة لها بالإسلام البتة. وكذلك فعل في دمشق بعد ضمها سنة ٥٤٩ هجرية. ولم تكن توجد في مدن الشام ولا مدرسة واحدة عند وصول الحملة الصليبية الأولىٰ سنة ٤٩٠ هجرية.

وقد سار صلاح الدِّين علىٰ خطىٰ نور الدِّين في هذا الباب، لدرجة أن عز الدِّين بن شداد أحصىٰ في كتابه «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» عدد المدارس – في نهاية العصرين الزنكي والأيوبي – فكان في حلب ٤٦ مدرسة وفي دمشق ٩٢ مدرسة، وكتب عنها بالتفصيل. إضافة إلىٰ المدارس الأخرىٰ في القدس وبقية مدن الشام. ولكن الشنقيطي لا يحفل بهذه الحقائق لأنه يريد فقط اثبات مزاعمه الباطلة – بالغالبية الشيعية وجهادهم المزعوم مع أهل السُّنَّة – بالكذب والاختزال والتزوير![1] .

وهنا سأريكم نصًّا آخر للشنقيطي، يدل علىٰ أنه لا يبحث بجد ولا يستقصي وإنما يرمي بالاستنتاجات والتحليلات علىٰ عواهنها.

يقول في نهاية حديثه عن مرض نور الدِّين وفشل محاولة أخيه محمد، ومجيء أسد الدِّين شيركوه إلىٰ حلب وتدعيم نور الدِّين سنة ٤٥٥ هجرية

---

(١) انظر عن هذه المدارس : عز الدِّين بن شداد : «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» . ج ١ – قسم حلب – تحقيق، دومنيك سورديل ص ٩٦ – ١٢١ ؛ ج٢ – قسم دمشق – تحقيق سامي الدهان، ص ٢٠٠ – ٢٦٦ ، وانظر أيضا : النعيمي: «الدارس في تاريخ المدارس». وهو موسوعة في تاريخ مدارس الشام في عصر الحروب الصليبية.

◉ يقول في ص ١٦٩ ما نَصّه :

(كما تدل الوقائع هنا علىٰ بداية ارتباط نور الدِّين بالأسرة الأيوبية واعتماده عليها، وهو أمر سيكون له ما بعده في تاريخ الحروب الصليبية والعلاقات السنية الشيعية).

وهذا هو الهراء الذي ما بعده هراء . فبداية ارتباط الأسرة الزنكية بالأسرة الأيوبية بدأت قبل هذا التاريخ بأكثر من ربع قرن من الزمان . بل أستطيع القول : إنه لولا هذه الأسرة الأيوبية لما ظهرت الأسرة الزنكية علىٰ مسرح التاريخ بالشكل الذي ظهرت به.

فنجم الدِّين أيوب هو الذي أنقذ حياة عماد الدِّين زنكي سنة ٥٢٦ هجرية وقبل أن يبدأ عماد الدِّين جهاده الفِعْلي ضد الصليبيين. وأخُوه أَسَد الدِّين شيركوه هو الذي أخذ نور الدِّين إلىٰ حلب ونصّبه سلطانا عليها سنة ٥٤١ هجرية بعد مقتل والده المفاجئ خارج أسوار قلعة جعبر علىٰ يد خادمه. وإليكم التفاصيل.

توفي السلطان السلجوقي محمود بن محمد سنة ٥٢٥ هجرية/ ١١٣١م وتعرض ابنه داود – الذي ورث السلطنة – لمنافسة أعمامه الثلاثة... وهو نزاع يطول شرحه انتهىٰ باشتداد النزاع بين العم سلجوق شاة والعم مسعود. وأيد الخليفة العباسي المسترشد سلجوق شاة، فاستنجد مسعود بعماد الدِّين زنكي أتابك الموصل، ووقعت معارك شرسة بين قوات الخليفة وحليفه سلجوق وبين عماد الدِّين زنكي كان آخرها سنة ٥٢٦ هجرية عند تكريت حيث حلّت بزنكي هزيمة ساحقة وحوصر علىٰ ضفة دجلة وكاد ببقية جيشه يقع في قبضة الخليفة وسلجوق، ولكن حاكم تكريت نجم الدِّين أيوب أنقذ زنكي فنصب له جسراً عائما ونقله إلىٰ الضفة الأخرىٰ من نهر دجلة مع بقية رجاله[١].

---

(١) انظر التفصيل في الباهر لابن الاثير ؛ والمختصر في أخبار البشر لابي الفدا، حوادث سنة ٥٢٧ هجرية.

وحين قُتل زنكي سنة ٥٤١ أخذ الوزير جمال الدِّين الأصفهاني الابن الأكبر سيف الدِّين غازي إلىٰ الموصل ونصّبه عليها، في حين أعلن اسد الدِّين شيركوه نور الدِّين (الابن الاصغر من سيف الدين) سلطانا علىٰ حلب.

فقد كان نجم الدِّين أيوب وأخوه أسد الدِّين شيركوه من كبار قادة عماد الدِّين وظلوا كذلك في عهد ابنه نور الدين. وليس منذ سنة ٥٥٤ هجرية مثلما زعم الشنقيطي في استنتاجه[١].

وهنا أهمس بنصيحة في أُذن كل باحث مبتدئ في التاريخ أن لا يُصدر حُكْمًا أو استنتاجا أو تحليلا في أي واقعة تاريخية حتىٰ يستكمل كل المعلومات عنها في جميع المصادر ولكي لا يقع فيما وقع فيه الشنقيطي في هذا الاستنتاج الخاطئ.

الحقيقة التي لا مراء فيها أنني لم أجد مزورًا ومزيفًا في تاريخ الحروب الصليبية مثل محمد بن المختار الشنقيطي في كتابه «أثر الحروب الصليبية علىٰ العلاقات السنية الشيعية». حين كرر الزعم الكذوب بالزور والتحريف في معظم صفحات كتابه أن الشيعة الإمامية (الإثني عشرية) هم غالبية سكان الشام في عصر الحروب الصليبية بهدف إيجاد شرعية تاريخية للحركة الخمينية متبعـًا المقولة الشائعة «**اكذب .. اكذب .. اكذب حتىٰ يصدقك الناس**»، وهذا الزعم الذي دحضته بالحقائق التاريخية.

وسوف أواصل إن شاء الله تعالىٰ دحضه حتىٰ أنتهي منه، ولكن دعوني أقف هنا وقفة قصيرة وأُفنِّدهُ بعلم الإحصاء .

كتاب ابن أبي أصيبعة (المتوفىٰ سنة ٦٦٨ هجرية/ ١٢٦٩م) : «عيون الأنباء في

(١) انظر التفاصيل في: «الباهر» لابن الأثير ؛ وفي «الكامل» له حوادث سنة ٥٤١ وابن القلانسي حوادث سنة ٥٤١.

طبقات الأطباء». موسوعة في تاريخ الطب وعلمائه[١]، وقد ترجم ابن أبي أصيبعة – في كتابه هذا – لكثير من الأطباء في مختلف أنحاء عالم الإسلام، وتوسع في ترجمة أطباء الشام، وبخاصة الذين عاصروه وقابلهم بنفسه زمن الحروب الصليبية، وقد قابل ابن أبي أصيبعة الطبيب والصيدلي المشهور ابن البيطار صاحب كتاب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» والذي ظل يُدرس في الجامعات الأوربية حتىٰ القرن الثامن عشر الميلادي.

وقد استقر ابن البيطار في الشام وقضىٰ بها بقية عمره، وعيّنه السلطان الكامل محمد رئيسا لطائفة الصيادلة والعشابين في الشام ومصر، وقد صحبه ابن أبي أصيبعة في عدد من رحلاته التي كان يبحث فيها عن مواقع النباتات ويتحقق من منافعها الطبية.

وعندما تقرأون تراجم هؤلاء الأطباء الشاميين الذين ترجم لهم ابن أبي أصيبعة زمن الحروب الصليبية، تجدون غالبيتهم من أهل السُّنَّة مع عدد أقل من الأطباء النصارىٰ – بمختلف مذاهبهم – والأطباء اليهود يتوازىٰ عددهم مع عدد أقوامهم في بلاد الشام. ولو كان غالبية سكان الشام إمامية – حسب زعم الشنقيطي – لرأينا معظم أطباء الشام منهم، سيما وإن هذا الشنقيطي نصَّ عدة مرات في كتابه بأن : غالبية السكان إمامية، تحكمهم نخبة سنية!

فإذا كان الغالبية إمامية، ومحرومين من المشاركة السياسة – كما يزعم – فسيحفزهم هذا الحرمان إلىٰ الاتجاه إلىٰ علم الطب وتصبح غالبية الأطباء منهم!

وكذلك ما كتبه وزير حلب، علي بن يوسف القفطي، (المتوفىٰ سنة ٦٤٦ هجرية/ ١٢٤٨م) في العصر الأيوبي، حيث زعم الشنقيطي أن غالبية سكان حلب ظلوا إمامية طوال العصر الأيوبي.

---

(١) وقد أفدتُ منه في رسالتي الماجستير والدكتوراة.

والوزير القفطي كان من كبار العلماء في عصره ، وكان له مكتبه قلَّ نظيرها، وحرص علىٰ جمع الكتب طوال حياته، ولم يكن له نظير في حب الكتب وجمعها واقتنائها. وقد صنّف الكثير من الكتب التي تدل علىٰ طُول بَاعه وسعة ثقافته. علىٰ أنَّ معظم كتبه مفقودة.

ويبدو أن مكتبته دُمِّرت مع دمار حلب علىٰ أيدي المغول سنة ٦٥٨ هجرية / ١٢٦٠م. وقد بقي من كتبه كتابان هما :

١ - «تاريخ الحكماء»، أو «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»[١] .

٢ - «إنباء الرواة علىٰ أنباء النحاة»[٢].

وحين تتأمل تراجم الحكماء (الأطباء) وتراجم النُّحَاة في هذين الكتابين لا تجد بينهم أحدًا من طائفة الإمامية، فأين الغالبية المزعومة لهم في حلب؟

وانظروا أيضا كتب التراجم الأُخرىٰ التي حَوَت تراجم كثيرة لأعلام أمة الإسلام، سيما العلماء الذين عاصَروا الحروب الصليبية أو ظهروا بعدها فستجدون غالبية من ترجموا لهم من سُكَّان الشام - زمن الحروب الصليبية - من أهل السُّنَّة، ويستحيل أَن أُورد هنا أسماء كل كتب التراجم التي أَشَرْتُ إليها؛ لأنها تستغرق صفحات كثيرة، لكن أُشير أن علىٰ رأس تلك الموسوعات في ميدان التراجم:

- **سبط بن الجوزي**، شمس الدين أبو المظفر (المتوفىٰ ٦٥٤ هـ): «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» .

- **المنذري**، زكي الدين أبو محمد (المتوفىٰ ٦٥٦هـ): «التكملة لوفيات النقلة» .

- **ابن العديم**، عمر بن أحمد (المتوفىٰ ٦٦٠هـ): « بغية الطلب في تاريخ حلب».

---

(١) طبعة ليبزج ١٩٠٣م.

(٢) طبعة القاهرة، ١٣٧١هجرية/ ١٩٥٢م.

- **أبو شامة المقدسي**، عبد الرحمن بن إسماعيل (المتوفىٰ ٦٦٥ هـ): «ذيل الروضتين» . ويتضمن تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين.

- **ابن خلكان**، أبو العباس (المتوفىٰ ٦٨١هـ) «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» .

- **ابن شاكر الكُتبي**، محمد بن شاكر بن أحمد (المتوفىٰ ٧٦٤هـ) «فوات الوفيات» . وهو استدراك من الكُتبي علىٰ الذين أغفلهم ابن خلكان.

- **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك (المتوفىٰ ٧٦٤هـ) : «الوافي بالوفيات». وله أيضا كتاب تراجم آخر بعنوان : «أعيان العصر وأعوان النصر» .

- **الأُدفُوي**، كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي(المتوفىٰ ٧٤٨ هـ): «الطالع السعيد الجامع نُجباء الصَّعيد» .

- **تقي الدين المقريزي** (المتوفىٰ ٨٤٥ هـ) : «المقفىٰ الكبير» .

- **ابن تغري بـردي**، أبو المحاسن يوسف جمال الدين (المتوفىٰ ٨٧٤هـ): «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» .

- **جلال الدين السيوطي** (المتوفىٰ٩١١هـ): «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» .

بالإضافة إلىٰ كتب الذهبي وتراجمه الكثيرة لأعيان بلاد الشام الذين عاشوا فيها في عصر الحروب الصليبية. وغيرها كثير.

ولا نعلم كتاب تراجم لعالم من الإمامية «الإثني عشرية» ترجم لمشاهيرهم في بلاد الشام. في عصر الحروب الصليبية ، ولو كان غالبية سكان الشام إمامية كما يزعم الشنقيطي لتصدىٰ أحدهم لهذا الموضوع وترجم لأعيان طائفته!

وهنا أوجه نصيحة للطلاب المتميزين في مرحلة الدكتوراة ليختار أحدهم

موضوع رسالته بعنوان (التوزيع الطائفي والعرقي في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية طبقا لكتب التراجم) وهنا سوف يساعده الكمبيوتر علىٰ الإحصاء والخروج بنتائج ونِسَب محدَّدة بدقة بالغة لهذا التوزيع. كما أحث أساتذة أقسام التاريخ في الجامعات العربية، علىٰ أن يكلف أحدهم أحد طلابه المقتدرين لدراسة هذا الموضوع، وسيخرج بنتيجة رائعة وبحث غير مسبوق، وفتح باب بكر في مجال الدراسات التاريخية.

وهنا أُشير إلىٰ دراسة اجتماعية في عصر الحروب الصليبية، ظهرت وأُنجِزَت قبل ظهور الخميني بسنوات، وقبل أن ينشر الرُّعب والإرهاب في عالم الإسلام، وقبل أن يُجنّد نظامه القاتل، محمد بن المختار الشنقيطي وأمثاله لخدمة أهدافه التاريخية والسياسية. هذه الدراسة الاجتماعية، للدكتور أحمد رمضان أحمد، بعنوان «المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية»[١]. فقد تحدَّث هذا الباحث عن أهل السُّنَّة بوصفهم غالبية سكان الشام، ثم تحدث عن الأقليات العرقية والدينية في هذه البلاد، مثل، الأرمن، والموارنة، والإسماعيلية، والنصيرية، والدروز وغيرهم، ولم يشر إلىٰ طائفة الإمامية الإثني عشرية التي زعم الشنقيطي أنها غالبية سكان الشام!!

وكتابٌ آخر ظهر قبل ظهور الخميني الهالك بسنوات طويلة. هو كتاب الدكتور أحمد أحمد بدوي : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام[٢].

وحين تقرأ هذا الكتاب تجد عشرات وعشرات الأسماء من العلماء الذين

(١) وهي في الأصل رسالته للدكتوراه . وقد طُبِعت في كتاب في القاهرة سنة ١٣٩٧ هجرية / ١٩٧٧م . قبل ظهور الخميني – وقد استخدمتُ هذا لكتاب في الماجستير والدكتوراه.

(٢) طبعة القاهرة ١٩٧٢م.

أسهموا في تطور الحياة الفكرية في بلاد الشام في عصر الحروب في شتىٰ ميادين المعرفة وكلهم من أهل السُّنَّة. فأين الأغلبية الإمامية يا شنقيطي؟

وفي ص ١٦٩ يواصل الشنقيطي تزييفه لتاريخ المسلمين السُّنَّة وجهادهم الباسل ضد الصليبيين حتىٰ طردوهم من بلاد الشام. فيزعم – زورًا وبهتانًا – أن الشيعة الإمامية ظلوا أغلبية سكان حلب بعد موت نور الدِّين وطيلة العصر الأيوبي كله.

وقبل أن أعرض قوله الزائف في هذه النقطة ودحضها بالحقائق التاريخية. أُذكركم – بما فصلته سابقـًا – أنه في ص ٨٤ من هذا الكتاب طعن في النبي ﷺ طعنا مُبطّنـًا، معناه أن النبي ﷺ هو الذي ورَّث لأمته تلك الفتنة، التي سمَّاها الشنقيطي «الأزمة الدستورية»، وهذا اتهام لله جل وعلا بأنه لم يكمل لأمة محمد ﷺ دينها، حين زعم أن الأزمة الدستورية – أي الفتنة الكبرىٰ – بدأت بذرتها الأولىٰ قبل دَفن النبي ﷺ، وكانت بيعة السقيفة هي البذرة الأُولىٰ لتلك «الأزمة الدستورية» التي جاء الشنقيطي مع أسياده من مجوس قُم لِحَلِّها .

وبعد الطعن في كل الصحابة الذين شاركوا في بيعة السقيفة، طعن الشنقيطي في جميع الصحابة الذي شاركوا في موقعة الجمل وصِفين.

ثم يستعرض الشنقيطي أراء أئمته العظمىٰ مثل الخميني والخراساني والكوراني في رؤيتهم الزائفة للإمامة، التي يريد هؤلاء القوم أن تكون هي أساس دين المسلمين.

فإذا كان الشنقيطي لم يتورَّع عن الطعن في النبي ﷺ وفي خِيرة صحابته رضي الله عنهم، فهل سيتورَّع عن تزييف تاريخ المسلمين وجهادهم ضد الصليبيين، فيجب أن تنتبهوا يا معشر المسلمين فهذا الشنقيطي ضمن ذلك الفريق الذي يسعىٰ لتحريف دينكم وتغييره حتىٰ يتناسب مع ما يريده أعداء هذا الدِّين فاحذروا منه .

◉ **يقول الشنقيطي ص ١٦٩ ما نَصّه :**

(وتوجد دلائل علىٰ أن الشيعة ظلوا أغلبية أهل حلب خلال حكم نور الدِّين وصلاح الدِّين، بل طيلة عهد الدولة الأيوبية، إذ يروي المؤرخون العرب – ضمن يوميات الصراع علىٰ حلب بين صلاح الدِّين ومناوئيه من خلفاء نور الدِّين – أن أمير حلب الشاب الصالح إسماعيل – وهو نجل نور الدِّين – طلب الدعم السياسي من أهل حلب ضد صلاح الدِّين، لكنهم اشترطوا عليه شروطـًا مقابل دعمهم له).

ويستدل الشنقيطي بنصٍّ من مؤرِّخ حديث هو الغزّي المتوفي في القرن الهجري الماضي سنة ١٣٥١ هجرية، ويُهْمل المصادر المعاصرة لتلك الفترة مثل : ابن الأثير في كتابه «الباهر»، والكامل، وابن واصل، وسبط بن الجوزي وأبو شامة، وبهاء الدِّين بن شداد وغيرهم.

◉ **يقول الشنقيطي:**

(قال الغزي: «وكان الشيعة منهم قد اشترطوا علىٰ الملك الصالح أن يعيد إليهم شرقيّة الجامع يُصلُّون عليها علىٰ قاعدتهم القديمة، وأن يُجهر بحيّ علىٰ خير العمل في الآذان، والتذكير في الأسواق وقُدّام الجنائز بأسماء الأئمة الاثني عشر، وأن يصلّوا علىٰ أمواتهم خمس تكبيرات، وأن تكون عقود الأنكحة إلىٰ الشريف الطاهر أبي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني، وأن تكون العصبية مرتفعة، والناموس وازعـًا لمن أراد الفتنة. وأشياء كثيرة اقترحوها مما كان أبطله نور الدِّين رحمه الله، فأجابهم الملك الصالح إلىٰ جميع ما طلبوا ») .

◉ **ويعلِّق الشنقيطي علىٰ هذه الشروط التي ذكرها الغزي فيقول ما نَصّه :**

(وتدل هذه الشروط الشيعية علىٰ أن التشيع كان لايزال غالبـًا

علىٰ أهل حلب يومذاك. وقد قَبِل الصالح إسماعيل هذه الشروط، رغم أنه سُنِّي المذهب، وأنه نجل الأمير نور الدِّين الذي سعىٰ إلىٰ اجتثاث التشيُّع من حلب).

وهذا تدليس وكذب وابتسار فاضح حين يصف الصالح إسماعيل : بـ «الأمير الشاب» وهو لايزال قاصرًا في سن الحادية عشرة، ولا يملك قراره، ومغلوب علىٰ أَمْره من جانب سعدالدين «كمشتكين» الخادم الذي بلغ حد الخيانة وتحالف مع الباطنية والصليبيين ضد صلاح الدين!

وإليكم مُجمل للمَشهد الذي ينسف كذب الشنقيطي وتدليسه.

توفي نور الدِّين فجأة في شوال سنة ٥٦٩ هجرية/ ١١٧٤م بالذبحة الصدرية التي كانوا يسمونها حينذاك «الخوانق» ، ولم يُخلِّف إلا ابنًا واحداً هو الصالح إسماعيل، وكان لايزال قاصراً في سن الحادية عشرة من عمره، مما أثار الأطماع داخل البيت الزنكي وخارجه في مملكة نور الدين.

فقام حاكم الموصل سيف الدِّين غازي الثاني - وهو ابن عم الصالح إسماعيل - باحتلال أجزاء واسعة من مملكة نور الدِّين في الجزيرة مثل «نصيبين» و«الرُّهَا » و«الخابور» و«سروج» و«حران» و«الرقة»، وغيرها، وطمع الصليبيون في مملكة نور الدِّين فزحف ملك بيت المقدس الصليبي نحو الجولان بهدف احتلال عاصمتها بانياس التي حرَّرها نور الدِّين من الاحتلال الصليبي قبل عشر سنوات.

وحَدَث التنافس بين قادة نور الدِّين في الشام، كل واحد يريد الظفر بتدبير أُمور المَلِك الصغير الصالح إسماعيل وكفالته حتىٰ يبلغ سن الرشد، ومِنْ أَشْهَر أُولئك القادة: ابن المقدم، وابن الداية، وكمشتكين الخادم.

وجَرَت بينهم مساومات واشتباكات عسكرية - يطول شرحها - .

وأخيرًا: نجح «كمشتكين» الخادم في نقل المَلِك الصغير من دمشق إلىٰ حلب، وانفرد به داخل قلعة حلب.

وكان صلاح الدِّين خلال ذلك مشغولًا بالتصدي لمؤامرة خطيرة هدفت للقضاء عليه وإعادة الدولة الفاطمية. وقد حَاك خيوطها بقايا رجال تلك الدولة بزعامة الشاعر عمارة اليمني، واستعانوا بالباطنية في بلاد الشام وبالنورمان الصليبيين في صقلية.

وبعد أن نجح صلاح الدِّين في القضاء علىٰ تلك المؤامرة ومؤامرة أخرىٰ في الصعيد قام بها عميل الفاطميين كنز الدولة خرج إلىٰ الشام سنة ٥٧٠ هجرية لإنقاذ الجبهة الإسلامية المتحدة من الضياع بعد أن أجهد نور الدِّين نفسه في بنائها ومعه كبار قادته مثل أَسَد الدِّين شيركوه، وصلاح الدِّين، ووالده نجم الدِّين أيوب.

وقد كتب صلاح الدِّين إلىٰ أولئك الأمراء الذين تنافسوا وتسلطوا علىٰ المَلِك الصغير الصالح إسماعيل قائلا:

(لو أن نور الدِّين يعلم أن فيكم من يقوم مقامي أو يثق به مثل ثقته بي لسَلَّم إليه مصر، التي هي أعظم ممالكه وولاياته، ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد إلىٰ أحد بتربية وَلَده وبخدمته غيري، وأراكم قد تفرَّدتم بمولاي دوني، وسوف أصل إلىٰ خدمته وأجازي إنعام والده بخدمة يظهر أثرها وأجازي كل منكم علىٰ سوء صنيعه في ترك الذب عن بلاده)[1].

وقد دخل صلاح الدِّين دمشق وسيطر عليها، ولم يجد «كمشتكين» الخادم غضاضة في الاستنجاد بالصليبيين ضد صلاح الدِّين لدرجة أنه اطلق سراح أَسْرىٰ

(١) انظر: الكامل لابن الأثير، ج١١ حوادث ٥٧٠ هـ، والصفحات في طبعة دار صادر ج١١ ص ٤٠٥ – ٤٠٦. وانظر الجزء الثاني من مفرج الكروب لابن واصل، فقد خصصه كله لتاريخ صلاح الدِّين ولم يستخدمه الشنقيطي البتة. ومرآة الزمان لسبط بن الجوزي ج ٨ قسم ١ ص ٣٢٤ – ٣٢٧، وابن شداد: النوادر السلطانية، تحقيق الشيال ص ٤٧ – ٥٠؛ والروضتين لابي شامة ٥٩٤ – ٦٠٤.

الصليبيين من قلعة حلب - مقابل محالفتهم - وعلىٰ رأسهم «أرنـاط» الذي أَسَرَهُ نور الدِّين قبل ١٦ عامًا، وظل سجينا في قلعة حلب طوال تلك السنوات، وأَطْلَقَهُ «كمشتكين» الخادم ليستولي علىٰ الكرك ويُهدِّد مكة والمدينة وطريق الحاج والقوافل.

كما أَغرىٰ «كمشتكين» الخادم الباطنية بالأموال لقتل صلاح الدين، وقاموا بمحاولتين فاشلتين لتحقيق ذلك.

وقد انضم ملك الموصل سيف الدِّين غازي الثاني إلىٰ تحالفات «كمشتكين» الخادم ضد صلاح الدِّين، لكن صلاح الدِّين هزم هذا الحلف هزيمتين متتاليتين في سنة ٥٧٠ وسنة ٥٧١ هجرية، ثم أعلن خلع الصالح إسماعيل الذي تحَصَّن به الخائن «كمشتكين» الخادم داخل قلعة حلب. وتلقَّىٰ صلاح الدِّين التقليد الشرعي بملك مصر والشام من الخليفة العباسي في بغداد[١].

وهذه الحقائق تفند زعم الشنقيطي عن الأغلبية الشيعية الإمامية في حلب.

فإذا كان «كمشتكين» الخادم لم يتورَّع عن التحالف مع الباطنية والصليبيين ضد صلاح الدِّين فهل سيتورع عن إجابة الأقلية الشيعية في حلب إلىٰ بعض مطالبها؟

◉ وانظروا معنا إلىٰ هذا التناقض الذي قدّمه الشنقيطي في صفحتين متتاليتين؛ فإنه قال في آخر ص ١٧٢ ما نَصّه:

(فكان شيعة الشام جزءًا من الجمهور المقاوم تحت راية صلاح الدِّين)

وهذا كذب وهراء لا نحتاج إلىٰ نقضه؛ لأن الشنقيطي نقضه بنفسه في الصفحة التالية ١٧٣ حيث قال ما نَصّه:

(١) انظر: ابن الاثير؛ الكامل ج١١ ص ٤٢٢ طبعة دار صادر.

(لكن تصدُّر بعض الشخصيات الإمامية في العمل السياسي المقاوم للفرنجة انتهىٰ بصعود نور الدِّين وصلاح الدِّين، وبدأت قيادة المقاومة الإسلامية للحملات الصليبية تتمحض سُنِّيَّة خالصة. فلسنا نجد في كتب التاريخ ذكرا لشخصية إمامية قوية ساهمت مع نور الدِّين أو مع صلاح الدِّين في صد الصليبيين أو أخذت المبادرة لإنجاز شيء في هذا السبيل).

وكلامه هذا ينقض كل مزاعمه السابقة؛ لأن عهود الزنكيين والأيوبيين وسلاطين المماليك الذين - يمقتون الشيعة أشد المقت - تشكل أكثر من تسعين بالمئة من عصر الحروب الصليبية. وهذه العهود هي عهود التحرير والاسترداد وإزالة الصليبيين من بلاد الشام التي يعود الفضل فيها لأهل السُّنَّة وحدهم.

ولم يعرف السُّنَّة من الشيعة سوىٰ الخيانات المتكرِّرة وطعن المجاهدين في الظهر والتحالف مع الصليبيين والقتال معهم جنبًا إلىٰ جنب ضد أهل السُّنَّة[1].

وقد أشرنا إلىٰ بعض تلك الخيانات فيما سبق أن كتبناه في هذا النقد وهي الخيانات المقيتة التي سمّاها الشنقيطي بعض الشوائب للتمويه والتغطية عليها.

والأعجب من هذا كله، أن محمد بن المختار الشنقيطي في كتابه (أثر الحروب الصليبية علىٰ العلاقات السنية الشيعية) يعود ويزعم - ويكرِّر كاذبًا - في ص ١٧٤ - وقبلها - من كتابه أن تحالُف الشيعة الإمامية مع الدولة الأيوبية ظل قائما طوال عهد الناصر صلاح الدِّين (توفي في شهر صفر سنة ٥٨٩ هجرية) وطِيلة عصر الدولة الأيوبية كلها - التي ظلت قائمة في بلاد الشام مدة ٦٩ سنة كاملة بعد وفاة صلاح الدِّين، حتىٰ سقطت أمام الاجتياح المغولي سنة ٦٥٨ هجرية - فيقول ص ١٧٤ ما نَصّه :

---

(١) والمادة العلمية في هذا الجانب يمكن أن تغطِّي مجلدة كاملة.

(بيد أن التحالف مع الشيعة الإمامية ظل سمة غالبة علىٰ الدولة الأيوبية طيلة فترة حكمها، في حياة الناصر وبعده).

ولم يُقدِّم هذا الأفَّاك دليلاً - كنصوص هذا التحالف ومضامينه، أو خبره من أي مصدر تاريخي. وهذ الكلام المُرسل قد يخدع القُرَّاء الذين لا يعرفون تاريخ الدولة الأيوبية. وقد يتخذه الخمينيون وأذنابهم في كل مكان كسندٍ لشرعيتهم التاريخية.

وإليكم الأدلة علىٰ دحض هذا الكذب الفاضح :

١ - المصدر الأول والأساسي لتاريخ الدولة الأيوبية هو« مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» لابن واصل، ويقع في ستة أجزاء محققة ومطبوعة. وهو أوسع المصادر عن الدولة الأيوبية علىٰ الاطلاق ولا يُوازيه في تفاصيله عنها كتاب آخر.

فقد وُلد ابن واصل سنة ٦٠٤ هجرية وتوفي سنة ٦٩٧ هجرية واعتمد في الفترة المتقدمة علىٰ المصادر الأصلية لها، وبعضها مفقود، مثل «تاريخ ابن القادسي»، وثلاث رسائل تاريخية كتبها العماد الأصفهاني أرّخ فيها للسنوات السبع التي عاشها بعد وفاة صلاح الدين، وتلك الرسائل هي «العتبىٰ والعقبىٰ» و«نحلة الرحلة» و«خطة البارق وعطفة الشارق» وروىٰ ما عاصره كشاهد عيان عاش داخل حدود هذه الدولة وتنقل بين أرجائها، وله علاقات واسعة مع ملوكها وقادتها ورجالها، وانفرد بمعلومات وتفاصيل لا تجدونها في كتاب آخر. كما عاصر سقوطها في الشام علىٰ يد المغول وعاصر الجزء الأول من حياة دولة المماليك. وكان صديقًا ومبعوثًا للظاهر بيبرس إلىٰ ملك صقلية «منفريد بن فردريك الثاني».

وهذا الكتاب لم يعتمده الشنقيطي البتة. ولا يوجد في هذا الكتاب ما يؤيِّد هذا الزعم الكذوب الذي قاله الشنقيطي، ولابن واصل كتاب آخر فيه معلومات فريدة وهو التاريخ الصالحي، وقد اعتمدته في كتابي «بلاد الشام قبيل الغزو المغولي» في

نسخته المخطوطة. وقد حققه فيما بعد الأستاذ الدكتور عمر عبدالسلام التدمري ونشره سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م وهذا الكتاب لم يعتمده الشنقيطي.

٢ – مؤرِّخ من البيت الأيوبي نفسه هو محمد بن عبد الملك المظفر تقي الدِّين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، المتوفي سنة ٦١٧ هجرية. وكتابه في عشرة مجلدات معظمها مفقود وعنوانه : «مضمار الحقائق وسر الخلائق».

ولكن بقي منه جزء عن جهاد صلاح الدِّين ضد الصليبيين. ولا نجد في هذا الجزء أي شيء عن التحالف الذي زعمه الشنقيطي بين صلاح الدِّين الشيعة الإمامية .

وهذا المصدر المهم لم يره الشنقيطي ولم يستخدمه.

٣ – التاريخ المنصوري؛ ومؤلِّفه محمد بن نظيف الحموي المتوفىٰ بعد سنة ٦٣١ هجرية. وقد كان ابن نظيف كاتبًا للملك الحافظ أرسلان شاة بن العادل بن أيوب حاكم قلعة جعبر علىٰ نهر الفرات، ثم عمل في خدمة المنصور بن المجاهد شيركوه بن أسد الدِّين شيركوه، حاكم حمص. وله كتاب في التاريخ مطبوع سماه باسم ملك حمص المنصور «التاريخ المنصوري».

وانفرد هذا المصدر بمعلومات نادرة عن العلاقات بين ابناء صلاح الدِّين، والعلاقات بين بني أيوب مع القوىٰ الاخرىٰ – الإسلامية وغير الإسلامية.

ولا نجد في هذا الكتاب – الذي لم يره أو يستخدمه – ما يشير إلىٰ زعم الشنقيطي.

٤ – سبط بن الجوزي وكتابه «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان». وقد عاصر السبط معظم العصر الأوربي وكان صديقا للملك المعظم عيسىٰ بن العادل بن أيوب . وروىٰ الكثير من الحوادث كشاهد عيان. ولم يذكر شيئا عن زعم الشنقيطي – الكذوب – بالتحالف الإمامي الأيوبي.

وهذا الكتاب لم يستخدمه الشنقيطي البتة.

٥ - «التاريخ المظفري»، لابن ابي الدم الحموي الذي وُلد سنة ٥٨٣ هجرية، وتوفي سنة ٦٤٢ هجرية. وكتابه هذا أهداه إلىٰ ملك حماة المظفر وسمّاه باسمه. وروىٰ كثير من الحوادث كشاهد عيان. وهذه المصدر المهم لم يعتمده الشنقيطي وليس فيه البتة ما يؤيد كذبه.

٦ - رسالة كاتب هذا النقد للدكتوراة كانت بعنوان «بلاد الشام قبيل الغزو المغولي» من سنة ٥٨٩ هجرية، تاريخ وفاة صلاح الدِّين، حتىٰ وصول جحافل المغول إلىٰ حدود الشام سنة ٦٥٧ هجرية[١].

وما تركتُ مصدرًا إلا ورجعتُ إليه واستفدت منه، ولم أجد شيئا يتعلق بزعم الشنقيطي الكذوب. بل لم أجد حتىٰ كلمة الشيعة الإمامية، ولا مرادفاتها، مثل الإثني عشرية، والجعفرية. وقد بحثت أولا حرب الوراثة الأيوبية بين أبناء صلاح الدِّين، والتي انغمس فيها بعض أقاربه : أسباب تلك الحرب، وحوادثها، وتطوراتها، ونتائجها. ولم أجد كلمة إمامية رغم حاجة كل واحد من أولئك المتنازعين إلىٰ اي حليف يشد من أزره ويقف إلىٰ جانبه.

كما عالجتُ في الرسالة الممالك الأيوبية في بلاد الشام، مثل، مملكة حلب - التي زعم الشنقيطي أن غالبية أهلها إمامية -، ومملكة دمشق، ومملكتي حماة وحمص، وغيرها. ولم أجد ذكرا للإمامية او مرادفاتها. علماُ اني وجدت معلومات مهمة عن الباطنية الإسماعيلية مذكورة في مواقعها. وليس فيها شيء عن حلف اسماعيلي أيوبي - وهذه من مزاعم الشنقيطي الكاذبة التي سوف نفصلها فيما بعد ونفندها . بل وجدت عن الإسماعيلية ما يفيد بتحالف إسماعيلي صليبي ضد أحد ملوك بني أيوب.

---

(١) وقد انجزت تلك الرسالة قبل ٣٦ سنة في جامعة أم القرىٰ بمكة وهي مطبوعة بمكتبة الطالب الجامعي بمكة المكرمة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، وهي موجودة في موقعي، ويمكن تحميلها علىٰ الرابط:
https://alghamdiprof.com/k/shamM/shamM.pdf

كما عالجت في الرسالة العلاقات بين أبناء العادل الأيوبي : اتفاقهم، ثم تنافسهم وتنازعهم، وتحالفاتهم ضد بعضهم البعض مع قوىٰ إسلامية وغير إسلامية. وليس في تلك التحالفات أي ذكر للإمامية ومرادفاتها.

كما عالجتُ في الرسالة، موقف ملوك بني أيوب من الحملات الصليبية، الرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة . وليس فيها شيء عن الإمامية ومرادفاتها البتة.

وعالجتُ الحرب الأهلية الشرسة التي اندلعت بين الأيوبيين من سنة ٦٣٥ حتىٰ انتهت بمعركة غزة الحاسمة سنة ٦٤٢ هجرية، وانحدار بعض الأيوبيين إلىٰ درجة الخيانة العظمىٰ والتحالف مع الصليبيين وتسليمهم بلاد المسلمين مقابل التحالف معهم، مثل أبي الخيش إسماعيل بن العادل، الذي كان من حلفائه مملكة حلب الايوبية، ضد الصالح أيوب ملك مصر. ولو كان هناك عدد من الإمامية يُعتمد عليه لاتجه أبو الخيش إليهم.

كما عالجتُ في الرسالة علاقات الأيوبيين الخارجية مع القوىٰ الإسلامية وغير الإسلامية بالتفصيل. وليس في ذلك ذكر للإمامية ومرادفاتها

فكل ما فعله الشنقيطي في كتابه هذ هو الكذب ثم الكذب ثم الكذب، كي يُوجِد شرعية تاريخية لنظام مجوس قم. ولن ينجح في ذلك البتة؛ لأن تاريخ الحروب الصليبية، وتاريخ صلاح الدِّين وتاريخ الدولة الأيوبية مكتوب في مصادره الأصلية وفي الدراسات العلمية الحديثة الجادة التي لا تدخل تحت حصر.

وإذا كان الشنقيطي لا يتوقف عن التزوير المستمر في كل صفحات كتابه، فلأنه اختار هذا المنهج الذي أشارت به أستاذته الماسونية (غريتشِن آدمز) في جامعة تكساس كما صرَّح هو بذلك في مقدمة كتابه ص ١٤ . وأنها كانت توصيه دائما

بقولها : (**من أجل بناء مستقبل جديد نحتاج إلىٰ بناء ماض جديد**) .

ثم قال الشنقيطي بعد عبارة أستاذته أنه سيطبق هذا المنهج حرفيا فقال في ص ١٤ من مقدمته : (وتلك رسالة هذا الكتاب علىٰ وجه التحديد)، ولذلك لا غرابة أن يرد التزوير والتحريف في كل صفحة وقد التزم بتنفيذ هذ المنهج في كتابه.

وتاريخ المسلمين عبر العصور مكتوب كما وقع في مصادره الصحيحة والموثوقة. والذين درسوه في العصر الحديث من عمالقة المؤرِّخين المسلمين، وفتحوا لنا الباب للسير علىٰ طريقهم مثل : محمد مصطفىٰ زيادة ، وعبدالعزيز الدوري، وسعيد عاشور، ومحمد عبدالله عنان، وشاكر مصطفىٰ، وعماد الدِّين خليل، وقاسم عبده قاسم، وعبد الرحمن الحجي، والسيد أحمد دراج، وغيرهم. درسوه طبقا لروح كل عصر ومقاييسه ومصطلحاته، وفسروه واستخرجوا العبر والدروس المفيدة من حقائقه وفق هذا السياق، ولم يحرِّفوا أو يُبدِّلوا مثلما فعل الشنقيطي في كتابه هذا حتىٰ يبني ماض جديد!

أما بناء تاريخ وماض جديد للمسلمين فلا يكون إلا بالتزوير والتحريف وتغيير حقائق التاريخ. وهذا يُحقق الهدف الماسوني الساعي للقضاء علىٰ الإسلام وتاريخه ورموزه.

من ص ١٧٤ حتىٰ ص ١٧٩ يتحدث الشنقيطي عن وزير فاطمي كان يدين بالمذهب الشيعي الإمامي. ويقدّمهُ بوصفه نموذجـًا للتقارب السُّنِّي الإمامي أثناء الحروب الصليبية وأنه رجل دولة متمرِّس بذل جهداً جهيداً لحماية الساحل الشامي من الفرنجة، وإبقائه بيد الفاطميين. وذلك الوزير هو طلائع بن رزيك، ذو الأصل الأرمني.

وقبل أن أعرض لكم بعض الاقتباسات مما كتبه الشنقيطي عن طلائع بن رزيك،

دعوني أعطيكم لمحة تاريخية صادقة عن طلائع بن رزيك؛ لأن الشنقيطي قدّمه بصورة وردية كاذبة تناقض الحقائق التاريخية الواردة عنه في المصادر الموثوقة.

كان الخلفاء الفاطميون منذ نشأة دولتهم في شمال أفريقية سنة ٢٩٦ هجرية، ثم احتلالهم مصر سنة ٣٥٨ هجرية= قد روّجوا لعقيدة إسماعيلية باطلة، مفادها أن الخلفاء الفاطميين معصومون. وهم بهذا يخالفون عقيدة الشيعة الإمامية الذين يحصرون العصمة في اثني عشر إمام. وقد حاولوا توطيد هذا الزيف، في عقول الناس، بالاحتفالات والموالد التي أقاموها والطقوس ومظاهر الأبهة التي ابتدعوها.

ويمكنكم الاطلاع علىٰ تفاصيل هذه العقيدة الباطلة. في كتاب «دعائم الإسلام» لابن حيون، الذي يسمونه القاضي أبو حنيفة النعمان المتوفىٰ سنة ٣٦٣ هجرية. وهو شخص آخر غير أبي حنيفة، المتوفىٰ سنة ١٥٠ هجرية، صاحب المذهب السُّنِّي المشهور.

وهذا الكتاب هو أساس عقيدة الإسماعيلية الباطلة ومذهبهم الفقهي. وهو موجود بالنت يمكنكم الاطلاع علىٰ زيفه وباطله..

وهناك كتاب آخر اسمه «سيرة المؤيد في الدِّين داعي الدعاة». وهو كبير دُعاة الفاطميين في القرن الخامس الهجري والمتوفي سنة ٤٧٠ هجرية، حيث كان يقود حركة الدعاة الإسماعيليين في العراق وفي بلاط البويهيين، وزعم في كتابه هذا أنه اقنع الملك البويهي ابا كاليجار باعتناق العقيدة الإسماعيلية. وهو الذي خطط لحركة البساسيري ضد الخلافة العباسية في بغداد. وحاول أن يوقف الزحف السلجوقي بتجنيد القبائل العربية ضد السلاجقة ولكنه أخفق. وهذا الكتاب لم يعتمده الشنقيطي في حديثه عن ظهور السلاجقة ونهاية الدولة البويهية، لذلك جاء حديثه عن هذا الموضوع مضطرباً[١].

(١) والكتاب موجود علىٰ النت ويمكنكم الاطلاع عليه.

وفي كتاب المؤيد هذا إشارات كثيرة علىٰ تصدُّع عقيدة عصمة الخلفاء الفاطميين، التي ما إن انتهىٰ القرن الخامس الهجري حتىٰ ذهبت تلك العقيدة أدراج الرياح بسيطرة الوزير الأرمني بدر الجمالي علىٰ الخلافة الفاطمية ووَرِثه في منصب الوزارة ابنه الأفضل.

وأصبحت الخلافة الفاطمية ألعوبة في أيدي الوزراء، وكان آخرهم ـ قبل طلائع بن رزيك ـ هو عباس الصنهاجي الذي قَتل - هو وابنه نصر- الخليفة الفاطمي الظافر سنة ٥٤٩ هجرية، ويعود سببها إلىٰ علاقة قذرة ربطت نصر بن عباس بالخليفة الظافر وافتُضِحت بين النخبة الفاطمية، ثم قتل عباس وابنه نصر اثنين من أخوة الخليفة الظافر، هما يوسف وجبريل، وأشاعا أن أخوي الخليفة هما اللذان قتلاه، وأحضر عباس ابنًا للخليفة في الرابعة من عمره اسمه عيسىٰ ولقَّبه بالفائز ونصَّبه خليفة. وقد حاول عباس وابنه الفتك بأُسْرة الخليفة كلها، لكن أهل القاهرة ثاروا ضد عباس وابنه فهَرَبَا إلىٰ الشام فقبض الصليبيون عليهما وقتلوا عباسًا وأرسلوا ابنه نصرًا إلىٰ نساء القصر الفاطمي في القاهرة، مقابل ستين ألف دينار، فأمرن بصلبه حيًّا علىٰ باب زويلة، وتُرِك مُعَلَّقًا شهورًا كثيرة، ثم أُحرقت جثته بعد ذلك[(١)] .

وقد أرسل نساء القصر الفاطمي إلىٰ والي الأشمونين بالصعيد طلائع بن رزيك يستدعينه ليتولىٰ الوزارة، فجاء طلائع ودخل القاهرة وتولَّىٰ الوزارة سنة ٥٤٩ هجرية/ ١١٥٤م. وتلقَّب بلقب «الملك الصالح فارس المسلمين » .

---

(١) انظر المصادر التالية : ابن الأثير: «الكامل» ج ١١ ص ١٩١ - ١٩٢ ؛ أسامة بن منقذ: «الاعتبار» ص ١٩ - ٢٨ ؛ الأزدي: «أخبار الدول المنقطعة» ، قسم الفاطميين ص ١٠٥ - ١٠٦ ؛ أبو الفدا: «المختصر» ج ٣ ص ١٢٨ ؛ سعيد عاشور: «شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية» : في كتاب «بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطىٰ » ص ٢٠٢ ؛ مسفر الغامدي: « الجهاد ضد الصليبيين» ، ص ٢٩٥ ؛ رنسيمان ج٢ ص ٥٩٠.

ولما تولّىٰ طلائع بن رزيك، سار علىٰ نفس السِّيرة التي سار عليها أسلافه، فقَتَل وأَبَاد كبار القادة الفاطميين، وذوي الرأي فيهم. وزاد علىٰ ذلك، أنه لما مات الخليفة الفائز سنة ٥٥٥ هجرية/ ١١٦٠م لم يلتزم بالتقاليد والرسوم المُتَّبعة عند الفاطميين في اختيار الخليفة الجديد فأحضر صبيًّا عمره إحدىٰ عشرة سنة وبايعه بالخلافة ولقّبهُ بلقب العاضد لدين الله.

ولما سمع ضجة أهل القاهرة وفرحهم خارج أسوار القصر باختياره الخليفة العاضد، سخر منهم باحتقار وقال: «كأني بهؤلاء الجهلة وهم يقولون ما مات الأول حتىٰ استخلف هذا، وما علموا أني منذ ساعة استعرضهم استعراض الغنم»[1].

ولم يلبث ابن رزيك حتىٰ زوج الخليفة العاضد من ابنته حتىٰ إذا أنجبت ابنا من الخليفة العاضد يكون سبط طلائع هذا خليفة بعد أبيه فتجتمع لبني رزيك الخلافة والملك. أبو الفدا، المختصر ج٣ ص ٣٧ ؛ جمال الدِّين سرور، الدولة الفاطمية في مصر ص ١٢٦. وظل ابن رزيك يمارس سياسة الاستبداد والتسلط والقهر ضد الأمراء ورجال الدولة الفاطميين، لدرجة أنه قَتَل عَمَّة الخليفة العاضد بيديه ولم يتورَّع عن قَتْل المرأة بنفسه، حتىٰ شعر الخليفة العاضد بثقل وطأة كابوس حميه طلائع بن رزيك علىٰ نفسه، فدبَّر مؤامرة مع بقية الأُمراء للخلاص منه وتمكَّنوا من قَتْلِه سنة ٥٥٦ هجرية/ ١١٦٠م[2].

---

(١) كما قال ابن الأثير: «الكامل» ، ج ١١ ص ١٧٤ – ١٧٥. وأنظر أيضا: الأزدي: «أخبار الدول المنقطعة» ص ١١١ – ١١٢، المقريزي، «الخطط» ج١ ص ٣٥٧ ، أبو المحاسن، «النجوم الزاهرة ج٥ ص ٣٣٨ – ٣٣٩. وسعيد عاشور ، «شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية» : في كتاب «بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطىٰ » ، ص ٢٠٣ ، ومسفر الغامدي، « الجهاد ضد الصليبيين» ، ص ٢٩٦.

(٢) ابن الأثير : «الكامل» ، ج ١١، ص ٢٧٤ – ٢٧٥ ؛ رنسيمان : «تاريخ الحروب الصليبية» ، ج ٢ ، ص ٥٩١ – ٥٩٢.

هذه هي الصورة التاريخية الحقيقية للوزير طلائع بن رزيك كما جاءت في مصادر التاريخ الموثوقة، أما الصورة الأخرىٰ التي صنعها الشنقيطي لطلائع بن رزيك طبقـًا لمنهج استاذته «غريتشن أدمز» الذي علَّمته له (من أجل بناء مستقبل جديد نحتاج إلىٰ بناء ماض جديد). فهي قوله ص ١٧٤ ما نَصّه :

(فإذا انتقلنا من الشام إلىٰ مصر، فسنجد مظاهر للتقارب السُّنِّي الإمامي أثناء الحروب الصليبية. ومن أمثلته ما ظهر علىٰ يد الوزير الإمامي طلائع بن رزيك الذي تولىٰ الوزارة للفاطميين بمصر سنة ٥٤٩ هجرية/ ١١٥٤م وهي السَّنة ذاتها التي استولىٰ فيها نور الدِّين علىٰ دمشق، فوحّد بلاد الشام تحت رأيته).

وفي الصفحة التالية ١٧٥ يقول الشنقيطي ما نَصّه :

(كان طلائع بن رزيك شاعرًا مفلقًا، ورجل دولة متمرسًا، وهو آخر الوزراء الأقوياء في تاريخ الدولة الفاطمية، وقد أثنىٰ المؤرخون السُّنَّة علىٰ ذكائه وشجاعته...) .

وهنا تجدون التزوير والتدليس الفاضح، حيث أن المؤرِّخين المسلمين وهم يتحدثون عن ابن رزيك يوردون اسمه كاملًا مع الألقاب التي تلَقَّب بها مثل «فارس المسلمين» ومرادفاتها كفارس الدِّين. فيحذف الشنقيطي من كلامهم اسمه واسم ابيه ويُبقي علىٰ اللقب الذي تلقَّب هو به «فارس المسلمين»، ويزعم أن ابن كثير وفلان وفلان وصفوة بـ«فارس المسلمين» وهذا قمة التدليس ! فمعروف أن تلك الألقاب التي يتلقب بها الحكام والوزراء تبقىٰ في أوراق وسجلات الدولة التي يعملون بها وعندما يتحدث المؤرخ عن الوزير أو الحاكم يذكر اسمه ولقبه . أي تدليس وتزوير مارسه هذا الشخص حتىٰ يبني ماض جديد.

◉ **ثم يقول في ص ١٧٥ ، ما نَصّه :**

(وقد بذل ابن رزيك جهدًا جهيدًا لحماية الساحل الشامي من الفرنجة، وإبقائه بأيدي الفاطميين).

وهذا كذبٌ فاضحٌ من يقرأهُ وهو لا يعرف التاريخ يظن أن ساحل الشام كله بأيدي الفاطميين ولم يفقدوا منه شبرًا واحدًا لحساب الصليبيين، بينما الحقيقة أن ساحل الشام كله – زمن وزارة ابن رزيك – كان بأيدي الصليبيين من فرنجة ونورمان وغيرهم من أُمَم الغرب، من أسكندرونة شمالًا ، وحتىٰ غزَّة جنوبًا. ولم يبق بيد الفاطميين من هذا الساحل الطويل ولا حبة رمل واحدة، فقد احتل الصليبيون آخر معقل للفاطميين علىٰ الساحل الشامي وهو عسقلان قبل عام واحد من وصول ابن رزيك لمنصب الوزارة. وكانوا قد احتلوا غزَّة قبل عسقلان فأين الجهد الجهيد الذي بذله طلائع بن رزيك لحماية الساحل الشامي وإبقائه بيد الفاطميين الذي لا يملكون فيه ذرة رمل واحدة؟ ولم يقتلع الصليبيين من هذا الساحل إلا الأبطال الأربعة: صلاح الدِّين، والظاهر بيبرس، وقلاوون، وابنه خليل بن قلاوون.

وفي الصفحات ١٧٥ – ١٧٩ يُورد الشنقيطي أشعارًا لابن رزيك يحث فيها نور الدِّين علىٰ غزو الصليبيين. وما ذلك إلا بسبب أن الصليبيين بزعامة عموري ملك بيت المقدس أخذوا يهددون بغزو مصر التي أصبحت في متناول أيديهم بعد احتلال عسقلان، ولم يستطع ابن رزيك دفعهم إلا بتقديم جزية سنوية لهم قدرها مئة وستين ألف دينار، وهدف ابن رزيك من أشعاره تلك أن يغري نور الدِّين بالضغط علىٰ الصليبيين حتىٰ لا يحتلوا مصر الضعيفة تحت حكمه، ويطيحون بأحلام ابن رزيك في الوزارة والخلافة.

ونور الدِّين لا يمكن أن يثق في ابن رزيك بعد سماعه بجرائمه ضد أولياء نعمته في القاهرة. كما أن نور الدِّين لم ينس أنه في سنة ٥٤٣ هجرية وحَّد علي بن وفا

زعيم الإسماعيلية في الشام، والتابع للفاطميين قواته مع قوات «ريموند بواتييه» أمير أنطاكية الصليبي، وهاجموا حلب فتصدىٰ لهما نور الدِّين وسحق قواتهما وقتلهما معـًا في المعركة.

وهنا رأيتم كيف قدَّم الشنقيطي طلائع بن رزيك، ولم يذكر شيئًا البتة عن جرائمه وتصفياته للفاطميين، بينما ظلم نور الدِّين - كما رأينا - وشوه صورته، ونسبه زورًا إلىٰ غير جده الحقيقي، وزعم أنه قام بتصفية شاملة ضد كل الشيعة بدافع الثأر لجده المزعوم.

ولم يستطع الشنقيطي أن يقدِّم اسم مقتول شيعي واحد قَتَلَهُ نور الدِّين، وألصقَ به تهمة التصفية الشاملة؛ لأنه منع آذان الشيعة البدعي ومنع سبّهم للصحابة عَلَنًا.

وفي نهاية حديث الشنقيطي عن الوزير الفاطمي الإمامي طلائع بن رزيك، وبعد أن رَسَم صورة بطولية كاذبة له، وهو الذي تعهَّد للصليبيين بدفع جزية سنوية لهم مقدارها مئة وستين ألف دينار، مقابل عدم غزوهم لمصر الفاطمية الخاضعة له كما ذكرنا آنفًا، ختم حديثه عنه في صفحة ١٧٩ بقوله :

(فما يهمنا هنا هو ما حملته دعوات ابن رزيك - الشعرية - من دلالة علىٰ التقارب السُّنِّي الإمامي الذي نتج عن التحدي الصليبي)!

وغاب عن هذا المُزَوِّر العجيب للتاريخ أن مفهوم التقارب لا يكون إلا من جهتين، وقد رأينا أن أشعار ابن رزيك ذهبت أدراج الرياح، ولم تؤثِّر في نور الدِّين بن زنكي، ولم يعرها اهتمامًا؛ لأنه عاصر ابن رزيك وعرف وسمع بحقيقته وسيرته علىٰ أرض الواقع التاريخي كما أثبتناها آنفًا.

وفي نهاية الفصل الثالث الذي جعله الشنقيطي بعنوان: اكتشاف وحدة المَصَائر: السُّنَّة والشيعة الإمامية في مواجهة الفرنجة. والذي زوّر فيه التزوير الذي فضحناه -

فيما سبق - بالتفصيل فجعل من ابن عمار الذي خان المسلمين زمن الحملة الصليبية الأولىٰ، وأنقذ بخيانته المشروع الصليبي برمته من الدمار في وقت مبكر. جعل منه بطلاً صلباً ورمزاً في نفوس عامة المسلمين، ووصف خياناته المفجعة بالشوائب!!

ووصف ابن الخشاب، في ص ١٧ بأنه هو الذي عبأ الجيش التركي السُّنِّي الذي جاء به «إيلغازي» بن أرتق من ماردين.

ولم يُقدّم سندًا البتة من مصدر أصلي لهذه الفرية المخادعة، إذ أن المصادر الأصلية تنص علىٰ أن «إيلغازي» هو الذي حَشَد من منطقة عاصمته ماردين أكثر من عشرين ألف من التركمان[1] .

وأمكنه أن يحشد أعدادًا أخرىٰ من العرب والأكراد بقيادة أسامة بن المبارك بن شبل الكلابي، والأمير طغان أرسلان صاحب «بدليس» و«أرزن» في كردستان[2] .

فَسَلَب الشنقيطي مجد النصر سنة ٥١٣ هجرية من «إيلغازي بن ارتق» - الذي خاض المعركة بنفسه وتركمانه وحلفائه من العرب والأكراد - ومنح مجد النصر لابن الخشاب، علما بأن ابن الخشاب مجرد واحد من سكان حلب، الذين طلبوا مساعدته ، بينما «إيلغازي» هو أميرها منذ أن استولىٰ عليها قبل سنتين أي سنة ٥١١ هجرية، ومن الطبيعي أن يدافع عنها باعتبارها الجناح الغربي لإمارته[3] .

كما زعم لابن الخشاب الفضل في استدعاء «آق سنقر البرسقي» وإنقاذ حلب،

---

(١) انظر: ابن الأثير ؛ الكامل ج ١٠ ص ٥٥٣ - ٥٥٥ ؛ تاريخ ابن القلانسي ص ٢٠٠ ؛ ابن العديم، زبدة الحلب ج ٢ ص ١٨٧ - ١٩٠ طبعة سامي الدهان.

(٢) انظر: ابن الأثير، الكامل ج ١٠ ص ٥٥٣ - ٥٥٤ ؛ ابن العديم، زبدة الحلب ج ٢ ص ١٩٠ ؛ الذهبي، دول الإسلام ج٢ ص ٤٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٨٤ .

(٣) انظر : عماد الدِّين خليل الإمارات الأرتقية في بلاد الشام والجزيرة ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

بينما ترجمة «آق سنقر البرسقي» في «بغية الطلب لابن العديم» – وهو مصدر أساسي لتاريخ حلب وزبدة الحلب – مجرد تلخيص منه.

وهذا المصدر لم يستخدمه الشنقيطي البتة في ترجمة البرسقي المفصَّلة في بغية الطلب يذكر ابن العديم أن ابن الخشاب مجرد عضو في الوفد الذي أرسله أهل حلب للبرسقي!!

ويعرض الشنقيطي في نهاية الفصل الثالث ما سمّاه استثناءين للتقارب السُّنِّي الإمامي.

الاستثناء الأول: هو «دبيس» بن صدقة، ويقدمه بمفرده كاستثناء، ولا يذكر حقيقة أنه جاء من العراق ومعه آلاف مؤلَّفة من الشيعة الإمامية بهدف التحالف مع الصليبيين واحتلال حلب لتصبح إمارة شيعية إمامية تابعة للنفوذ الصليبي بعد أن اشتد ضغط الخلافة العباسية والسلطنة السجوقية علىٰ «دبيس» وشيعته الإمامية في العراق بعد أن أخافوا السبيل وقطعوا الطريق![1] .

ثم يشرح الشنقيطي قصة صدقة مع حلفائه الصليبيين ومع أهل حلب لكنه لا يذكر الآلاف من اتباعه الإمامية الذين كانوا معه.

فكيف يكون واحد أو اثنين من الإمامية قاعدة للتقارب السُّنِّي الشيعي ضد الصليبيين ويكون الآلاف الذين حاربوا معهم ضد أهل السُّنَّة هم الاستثناء؟

لا عجب إنها مقاييس خمينية خالصة!!

أما الاستثناء الثاني الذي قدمه الشنقيطي: فهو خضوع شيعة «جبل عامل» في

---

(١) وللمزيد من التفاصيل عن علاقة «دبيس بن صدقة» بالخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية وتحالفاته للصليبيين انظر: مسفر سالم الغامدي: الجهاد ضد الصليبيين، ص ٦٦ – ٨١ .

لبنان للصليبيين – وهم أجداد حسن نصرالله ونبيه بري وحزبيهما – حيث خضعوا للصليبيين منذ الحملة الأولىٰ وحتىٰ زوال الصليبيين علىٰ أيدي بيبرس وقلاوون وابنه خليل، وكانوا في مستوىٰ واحد مع الموارنة، في النصح للصليبيين وخدمتهم وإنتاج الحبوب والفواكه والخضروات لهم ومد الصليبيين بالمؤن وكل الدعم لهم في حروبهم ضد المسلمين .

وقد أَوْرَد الشنقيطي قصة تَحَالفهم مع الصليبيين سنة ٥٥٢ هجرية وهجومهم علىٰ بانياس عاصمة الجولان وهزيمتهم الساحقة أمام جيش نور الدِّين – وحاول تبرير هذا الاستثناء الذي زعمه معتمدًا علىٰ ما كتبه أحد الكُتّاب اللبنانيين الشيعة، واسمه جعفر المهاجر. وكتابه بعنوان «التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية» ومنهجه هو نفس منهج التزوير الذي اتبعه الشنقيطي في كتابه هذا بينما أغفل الشنقيطي عشرات المصادر الأصلية وعلىٰ رأسها أكبر وأوسع تسجيل تاريخي للدولة الأيوبية وهو «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل»، والواقع في ستة أجزاء.

وقد ختم الشنقيطي فصله بالحديث[١] عن قائد من قادة صلاح الدِّين اسمه حسام الدِّين بشارة. وقال بأنه شيعي إمامي من «جبل عامل». ولم نسمع – نحن المختصين في التاريخ الأيوبي – بهذا الاسم، ولم يرد الاسم في أوسع مصدر عن تاريخ بني أيوب وهو «مفرج الكروب..» لابن واصل، ولا غيره من المصادر الأصلية التي أغفلها الشنقيطي.

كما لم يرد هذا الاسم المزعوم في الدراسات العلمية المتخصصة التي انصبَّت علىٰ جيش صلاح الدِّين – والتي لم يطَّلع عليها الشنقيطي – مثل:

١ – بحث « البنية البشرية لجيش صلاح الدين» لأستاذنا الدكتور سعيد عاشور.

---

(١) نقلا عن جعفر المهاجر، الذي يتضح من عنوان كتابه «التأسيس لتاريخ الشيعة في سورية ولبنان» أنه يبحث عن وجود تاريخي مؤثر لطائفته.

٢ - «الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدِّين: تركيبه، تنظيمه، أسلحته، بحريته، وأبرز المعارك التي خاضها» للدكتور محسن محمد حسين .

٣ ـ «التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدِّين».

٤ـ «جيش مصر في أيام صلاح الدين» وكلاهما للدكتور نظير حسان سعداوي.

فما من قائد من قادة صلاح الدِّين إلا وحفظت المصادر دوره وإنجازاته في تاريخ الجهاد ضد الصليبيين، ولا يمكن تزوير التاريخ واختراع قادة لا وجود لهم في الواقع التاريخي .

وأي تزوير سرعان ما ينكشف مثلما كشفنا هنا تزوير الشنقيطي في كتابه هذا!!




نَظَراتٌ في:

الفصل الرابع

قبول ما ليس منه بُدّ

السُّنَّة والشِّيعة الإسماعيلية في مواجهة الفرنجة




ويبدأ هذا الفصل من ص ١٨٧ من كتابه.وقد بيّن في الفقرة الأولىٰ من تلك الصفحة ما الذي سيتناوله في فصله. وهو موضوع قُتِلَ بحثًا في بحوث ورسائل وكتب أُنجزت في عالمنا العربي قبل أن يُقدّم الشنقيطي رسالته في جامعة تكساس.

◉ وفي الفقرة الثانية، ص ١٨٧، يُبدي الشنقيطي، مرة أخرىٰ، شغفه وهيامه بآراء المستشرقين – كما رأينا في مقدمته ومدخله وصفحات سابقة من كتابه – فيقول ما نَصّه :

(لم يشخِّص مؤرخ دور الدولة الفاطمية وموقفها أثناء الحروب الصليبية بأبلغَ وأوجزَ مما شخَّصهما به المؤرخُ الفرنسي رينيه غروسيه حين وصف الفاطميين بأنهم «بيزنطيُّو الإسلام» de Byzantines l' Islam . وتتمثل دقة هذا الوصف في وجود أوجه شبه عميقة بين الفاطميين والبيزنطيين آنذاك. فقد كان الفاطميون الشيعة يرفضون الخضوع للخلافة العباسية السُّنِّية، ويرون أنفسهم الورثة الشرعيين لرسالة الإسلام ولسلطة النبي محمد ﷺ. وكان البيزنطيون الأرثوذوكس يرفضون الخضوع لسلطة بابا روما، ويرون أنفسهم الورثة الشرعيين للإمبراطورية الرومانية وللعقيدة المسيحية).

وهذا التوصيف من جانب «غروسيه» والتأييد المطلق، والإعجاب البالغ من جانب الشنقيطي باطل من وجوه كثيرة وساقط في ضوء الحقائق والمعطيات التالية:

١ – الإسلام ليس فيه كهنوت حتىٰ يتم تشبيهه بكهنوت الكنيسة الغربية والرومية. فهو عقيدة وشريعة، دين ودولة، إيمان وعمل، حضارة وثقافة....إلخ

ولكن الشنقيطي انطلق من قبول هذا التوصيف والشَّغَف به من اللوثة التي أصابت عقله وفكره من الكهنوت الصفوي الخميني، الذي يُشابه الكهنوت الذي كان سائدًا في أُورُبا وبلاد الروم خلال عصورهم الوسطىٰ.

فالبابا يقابله : آية الله العظمىٰ. والكاردينال يقابله : آية الله «بدون عظمىٰ» .

والأسقف : يقابله حجة الإسلام...إلخ.

ومجلس الكرادلة الذي يختار البابا : يقابله مجلس الخبراء الذي يختار المرشد.

٢- الخلافات بين روما وبيزنطة كانت خلافات علىٰ مسائل فرعية وليست علىٰ أساس العقيدة الشركية التي صَاغَها مجمع نيقية الكنسي سنة ٣٢٥م والتي تتفق عليها روما وبيزنطة.

في حين كان يدين عامة المسلمين زمن الخلافة العباسية بالعقيدة الإسلامية رغم الكثير من بعض الشطحات الصوفية وغيرها.

أما عقائد الدولة الفاطمية فهي مستمدة بالأساس من العقائد والوثنيات السابقة وعلىٰ رأسها المجوسية واليهودية. وقد حكم عليها أئمة الإسلام بالبطلان وعلىٰ رأسهم الإمام النابلسي الذي سلخه الفاطميون حيًّا، وابن حزم الظاهري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ عبد العزيز بن باز، وغيرهم كثير.

٣- «رينيه غروسيه» مُغْرِضٌ في كتابه عن تاريخ الحروب الصليبية فقد طعن - مثلما فعل الشنقيطي في كتابه هذا - في صدر الإسلام، وفي الفتوحات الإسلامية.

وفوق هذا وذاك فقد كتب كتابه هذا عن الحروب الصليبية إبان الاحتلال الفرنسي لبلدان المغرب العربي، وتلوّن كتابه بالروح الاستعمارية، لدرجة أنه صاغ تاريخ الحروب الصليبية وكأنها من منجزات فرنسا الحضارية في العصور الوسطىٰ متناسيًا التاريخ الدموي لتلك الحروب التي دامت علىٰ أرض بلاد الشام مدَّة قرنين من الزمان.

٤- معظم المؤرِّخين الغربيين وعلىٰ رأسهم «غروسيه» يقيسون التاريخ الإسلامي بمقاييسهم الغربية، ويحكمون علىٰ حوادثه وأشخاصه ورموزه بمنظور عقائدهم وثقافتهم وتُراثهم.

٥- شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية شخَّصها وفسَّرها تفسيرًا علميًّا رصينًا أستاذنا الكبير سعيد عبد الفتاح عاشور - رحمه الله تعالىٰ - في بحث أنجزهُ - ربما قبل أن يُولد الشنقيطي - بعنوان «شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية»[١].

وقد أوضح الأستاذ عاشور في آخر صفحة من بحثه هذا نتيجة مهمة من نتائج الحروب الصليبية، فقال ما نَصّه :

(وإذا كنا نعتبر سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية أهم النتائج السياسية الكبرىٰ التي تمخضت عنها الحركة الصليبية...فإن هذه الحركة ذاتها دخلت دوراً نشطاً حافلاً بالحوادث بقيام دولة بني أيوب في حكم مصر والشام).

وقد غابت هذه النتيجة الباهرة عن الشنقيطي لأنه لم يكن يبحث عما كتبه الرائد سعيد عاشور، رائد دراسات الحروب الصليبية، بل كان يسعىٰ إلىٰ ما كتبه شيعة جنوب لبنان وما كالوه لصلاح الذين من شتائم وعبارات نابية.



ومعظم ما كتبه الشنقيطي في فصله الرابع يسوده الخلط والاضطراب. ولا يتطابق تماما مع عنوانه (السُّنَّة والشيعة الإسماعيلية في مواجهة الفرنجة) ، حيث تحدث فيه بإسهاب عن موضوعات لا علاقة لها بعنوان فصله الرابع.

فمثلا : ما علاقة محاولات الباطنية الإسماعيلية اغتيال صلاح الدِّين بهذا الفصل؟

(١) نشرته مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. في المجلد رقم ١٦ من ص ١٥ حتىٰ ص ٦٦، سنة ١٩٦٩م. وأُعيد نشر هذا البحث في كتابه: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطىٰ. من منشورات جامعة بيروت العربية، سنة ١٩٧٧م، من ص ١٦٥ حتىٰ ص ٢٢٣ من الكتاب.

وما علاقة اغتيالات الباطنية الأخرىٰ بهذا الفصل ؟

وما علاقات المراثي الشعرية الطويلة - التي أوردها الشنقيطي - للشاعر عمارة اليمني في رثاء الدولة الفاطمية بمواجهة الفرنجة؟.

فالشاعر عمارة اليمني بكىٰ الدولة الفاطمية ورثاها بألم وتوجع بسبب المكانة التي حازها زمن تلك الدولة، والهبات والعطايا الباذخة التي كان يحصل عليها من خلفاء ووزراء ووجهاء الفاطميين. لذلك لا عجب أن يرثيهم، ولا عجب أنه شارك في أول مؤامرة قام بها بقايا تلك الدولة، وتحالفوا مع النورمان الصليبيين في صلقية لاسقاط صلاح الدِّين وإحياء الدولة البائدة.

إضافة أن الشنقيطي لم يستطع أن يبرز المواجهات التي جَرَت فعلًا علىٰ أرض الواقع، بين الفاطميين والصليبيين، مثلما فعل الأستاذ الدكتور سعيد عاشور في بحثه عن «شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية»؛ لأن الشنقيطي أهمل مصادر أساسية وأصلية عن الموضوع.

وفي ص ٢٠١ من كتاب الشنقيطي، وهو يُمهد للحديث عن تدخُّل نور الدِّين العملي في مصر وضمها للجبهة الإسلامية المتحدة، يبدأ بالتزوير، والمخادعة، والإساءة المقيتة مرة أخرىٰ لنور الدين، فيقول في ص ٢٠١ ،ما نَصّه :

(...ضاقت خيارات الفاطميين كثيرًا. لقد مضت الأيام الخوالي التي كانوا فيها قادرين علىٰ المناورة والتحريش بين الفرنجة المسيحيين والأتراك السُنَّة، كما فعلوا، أثناء حصار أنطاكية. فلم يعد أمام الفاطميين بعد أن تمخَّضت المواجهة بين نور الدِّين والفرنجة سوىٰ عن أحد خيارين أحلاهما مر من وجهة النظر الفاطمية : الخيار الأول هو التخلي عن دولتهم وعقيدتهم الإسماعيلية، والقبول

بالانضواء تحت الراية السُّنِّية التي يحملها نور الدين، وهو رجل لا يُخْفِي مَقْته للفاطميين، ووَلاءه لخصومهم العباسيين. والخيار الثاني هو التحالف المفتوح مع الفرنجة، والمخاطرة بخسارة مصداقيتهم الدينية والسياسية لدىٰ شعبهم، بل وسقوط مصر في أيدي الصليبيين وداعميهم من البيزنطيين والأوربيين).

والجواب عن هذا التزوير والإساءة :

يحوي هذا النص مخادعتين خطيرتين - لن ينتبه لها القارئ العادي؛ لأنه غير متخصص في التاريخ، ولا يستطيع قراءة ما وراء السطور .

فالمخادعة الأُولىٰ: أن الوفد الفاطمي الذي أرسله الفاطميون إلىٰ الصليبيين، وهم يحاصرون أنطاكية لم يرسلوه للتحريش بين الصليبيين والأتراك السُّنَّة - كما زعم الشنقيطي - وإنما أرسلوه للتحالف مع الصليبيين ضد السلاجقة السُّنَّة[(١)].

وأيضا ذكر الشنقيطي في كتابه هذا أنه ذهب إلىٰ دمشق وقابل الدكتور سهيل زكار وأفاد منه. كما أن «الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية» التي نشرها زكار ضمن مراجع الشنقيطي كما هو واضح في ص ٢٨٠ . فلماذا لم يقرأ رواية المؤرخ الألماني، التي ترجمها زكار - وهذا المؤرخ معاصر للحروب الصليبية - وهو «أوتّو أوف فرايزنجين» الذي نصَّ في تاريخه علىٰ أن رئيس الوفد الفاطمي : (تحدث مع ريموند الصنجيلي عن السلاجقة بشكل خياني)؟

أما المخادعة الثانية، وهي الأخطر : فهي زعمه أن تحالف الفاطميين مع الفرنجة فيه مخاطرة بخسارة مصداقيتهم الدينية والسياسية لدىٰ شعبهم.

---

(١) انظر بحث .د. سعيد عاشور ؛ شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ؛ في كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطىٰ. ص ١٧٠ - ١٧١ .

فمتىٰ كان – أصلاً – للفاطميين مصداقية دينية وسياسية في تاريخهم كله؟

ففي قمَّة قوتهم وسطوتهم وجبروتهم حين جاء المعز إلىٰ مصر سنة ٣٥٨ هجرية؛ أعلن المعز أنه ما جاء إلا لصدِّ عدوان الروم المتمادي علىٰ بلاد المسلمين – وكأنه بذلك يضع السابقة التاريخية للهالك خميني الذي منذ جاء وهو يعلن أن نظامه سوف يُحَرِّر القدس وفلسطين، وابتدع يوم القدس في آخر جمعة من رمضان. ولكن لم يَر المسلمون إلا احتلال بغداد وبيروت ودمشق وصنعاء ومذابح لا تُحصىٰ في هذه البلاد وتشريد شعوبها.

فقد أعلن المعز أنه جاء للجهاد ضد الروم وصدّهم عن بلاد المسلمين واسترداد ما احتلوه من مناطق شاسعة من ديار الإسلام. وكان الروم حينذاك قد احتلوا من المسلمين جزيرتي كريت وقبرص وكل الثغور الإسلامية الواقعة جنوب جبال طوروس وكل الثغور الإسلامية في شرق آسيا الصغرىٰ والجزيرة الفراتية والثغور الإسلامية الأرمنية، وفيها مئات المدن والقلاع والحصون، وقد تم ذلك الاحتلال خلال حكم البويهيين الشيعة الإمامية في العراق وسبب سقوط هذه المناطق المناطق والثغور، أن البويهيين الشيعة الإمامية أهملوا تموين الثغور وقطعوا المَدَد عنها، واكتنزوا الأموال والخيول المُطَهَّمة(١) لأنفسهم وكدَّسوا الثروات الطائلة تحت حوزتهم، واستولوا علىٰ الأوقاف المرصودة للثغور .

وتفاصيل كل هذا في الجزء الأول من «بغية الطلب» لابن العديم، الذي لم يعتمده الشنقيطي، وقد خصص ابن العديم هذا الجزء كله لتاريخ الثغور الشامية فقط وسقوطها بيد الروم واكتناز البويهيين للأموال والخيول!

كما احتل الروم أنطاكية سنة ٣٥٨ هجرية وهي في نفس السَّنَة التي احتل فيها

(١) الجَواد المُطَهَّم: المُكْتَمِل، التام، المُتَنَاهٍ فِي الرَّشَاقَةِ.

الفاطميون مصر وأخضعوا حلب لحمايتهم في السَّنَة التالية ٣٥٩ هجرية، وتوغلوا في الشام واحتلوا منه مناطق كثيرة، حتىٰ أجبروا دمشق علىٰ دفع الجزية.

وكان في مقدور الخليفة الفاطمي المعز استرداد كل ما احتله الروم من بلاد المسلمين، لأنه جاء من شمال أفريقية بجيوش لا حصر لها. فقد وصف المقريزي جيش المعز بقوله : «إنه لم يطأ الأرض بعد جيش الأسكندر المكدوني أكثر من جيش المعز»[1]. كما قدَّر ناصر خسرو عدد أفراد هذا الجيش بمائتين وخمسة عشر ألفا، منهم مائة وخمسة عشر من الفرسان ومائة ألف من المشاة[2]. ولم نقرأ عن المعز وجيشه وقادته ومن جاء بعده من خلفاء وقادة إِلَّا المذابح والتنكيل بأهل الشام طوال قرن من الزمان – وهو ما وضحناه سابقًا – مما أضعف تلك البلاد فوقعت بسهولة في أيدي الصليبيين!!

فإذا كان المعز – أقوىٰ الخلفاء الفاطميين وأشهرهم – ليس له مصداقية لا دينية ولا سياسية، فلم يرم بسهم في وجه الروم كما وعد وأشاع، فهل تنتظرون من شاور وضرغام تلك المصداقية؟

⦿ رد إساءة الشنقيطي لنور الدِّين محمود بن زنكي :

أما إساءة الشنقيطي لنور الدِّين محمود بن زنكي: فلم يكتف بما كتبه في ص ١٦٥ – ١٦٩، من نسبة نور الدين – زورًا وبهتانًا – لغير نسبه، حين جعل جده «آق سنقر البرسقي» ! وهو لا يمت له بصله؛ لأن جده الحقيقي هو آق سنقر الحاجب الذي مات قبل البرسقي بـ ٣٣ سنة ، واتهامه له بتصفية الشيعة تصفية شاملة بدافع الثأر

---

(١) انظر نصّ المقريزي في : كتابه «الخطط» ج٢، قسم ١ ؛ ص ٤٤ طبعة المعهد الفرنسي، القاهرة ١٩١٣ – ١٩٢٢م.

(٢) انظر: ناصر خسرو ؛ سفرنامة ؛ ص ٩٤ – ٩٥ . ترجمه من الفارسية يحيىٰ الخشاب ؛ طبعة بيروت ١٩٧٠م.

والانتقام، دون أن يستطيع الشنقيطي أن يثبت من تلك التصفية الشاملة المزعومة إلا أنه منع الشيعة من آذانهم البدعي ومنعهم من سبِّ ولَعْن الصحابة عَلنًا.

◉ لقد عاد الشنقيطي لتكرار الإساءة إلىٰ نور الدِّين في ص ٢٠١ حتىٰ تبقىٰ راسخة في ذاكرة من لا يعرف بدقة تاريخ هذه الحقبة، فقال ص ٢٠١ ما نَصّه :

(أما نور الدِّين فقد عرضنا في الفصل الثاني بعض أوجه الاضطهاد التي مارسها ضد الشيعة الإمامية في حلب، ويبقىٰ أن نقول هنا إنه كان أشد مقتًا للشيعة الإسماعيلية، وأحرص علىٰ هدِّ أركان دولتهم الفاطمية في مصر. ففي هذا الأمر تلاقت الإرادة السياسية لنور الدِّين الساعي إلىٰ طاعة الخليفة العباسي مع رغبته الشخصية في الانتقام من الإسماعيلية. ولا ننسىٰ أن الإسماعيليين الحشاشين هم الذين اغتالوا جده آق سنقر أمير الموصل وهو يحاول أن يفتح أبواب الشام للسُّنَّة الأتراك القادمين من الموصل).

وهذا حقد أسود علىٰ نور الدِّين، لا يشبهه إلا ذلك الحقد الذي أبداه أفراد الحرس الثوري الإيراني الإرهابي وهم يهدمون جامع نورالدين «الجامع النوري» في الموصل.

ويكفي أن نشير هنا إلىٰ أن آقستقر الحاجب جد نور الدِّين ووالد والده زنكي، تجدون ترجمته في بغية الطلب لابن العديم؛ ج ٤ ص ٥١٦ - ٥٢٦. وبعده في الصفحة التالية من ٥٢٨ - ٥٣٧ ترجمة «آق سنقر البرسقي» الذي قتله الباطنية سنة ٥٢٠ هجرية والذي جعله الشنقيطي والد عماد الدِّين زنكي وجد نور الدِّين حيث فسّر سياسته إزاء الشيعة من إمامية وإسماعيلية بالثأر والحقد والانتقام لمقتل جده المزعوم . علما أن عماد الدِّين زنكي أكبر سناً من «آق سنقر البرسقي» وخدم طويلا في جيش الموصل طوال أكثر من ٣٠ سنة قبل ولاية البرسقي عليها.

وقد يقول صاحب هوىٰ ممن يدافعون عن الشنقيطي أنه أخطأ أو أهمل في عدم الاطلاع علىٰ «بغية الطلب»، و«التاريخ الباهر» لابن الأثير، و«مفرج الكروب» لابن واصل.

فنقول له: لقد استخدم الشنقيطي «الكامل» لابن الاثير، و«زبدة الحلب» لابن العديم. وفيهما التوضيح الكامل أن عماد الدِّين بن آق سنقر الحاجب المتوفىٰ سنة ٤٨٧ هجرية.

وليس هذا فحسب بل إن الشنقيطي استخدم كتاب رنسيمان، كما هو واضح في مراجعه في ص ٢٨٧ ، وفي نهاية كل جزء وضع رنسيمان كشافا للأعلام مرتبا ترتيبا أبجديًّا. ففي ج ٢ جاء أسم آق سنقر الحاجب. فوضع رنسيمان للتوضيح بين قوسين عبارة (والد زنكي)، ثم ذكر أنه مر معه في صفحتين فقط؛ لأنه مات قبل قيام الحروب الصليبية، ثم أورد بعده مباشرة اسم «آق سنقر البرسقي» الذي اغتاله الباطنية. ومرَّ مع رنسيمان في صفحات كثيرة من الجزء الثاني.

وهنا أقول: أن مناقب نور الدِّين لا يمكن أن تُغطّىٰ بإساءات الشنقيطي له.

وهناك منقبة واحدة لنور الدِّين تفوق كل المناقب التي يمكن أن يتصورها الشنقيطي للدول الشيعية بدءاً من دولة القرامطة وحتىٰ دولة الهالك خميني.

وتلك المنقبة هي أن نور الدِّين أمر نائبه علىٰ مصر صلاح الدِّين بإبطال المكوس والضرائب المُجْحِفة التي كان يفرضها الفاطميون علىٰ الناس من تجار وحرفيين ومزارعين وأيضا علىٰ الحجاج، وكان مقدارها ٤٥٪ [(١)].

---

(١) انظر التفاصيل في: بحث الدكتور أيمن فؤاد سيد، وعنوانه «النظام الضرائبي للفاطميين في مصر» . منشور في كتاب : «سعيد عاشور، إليه في عيد ميلاده السبعين. بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطىٰ» ، بأقلام نخبة من تلاميذه ومريديه. مركز النشر لجامعة القاهرة ١٩٩٢م. من ص ٢٧٩ – ٣١١ ..

الحقيقة التي لا مِرَاء فيها : أنه لو جاء طالب علم لا يعرف شيئا في تاريخ الحروب الصليبية وأراد ان يعرف شيئًا عنها وقرأ بحسن نية كتاب الشنقيطي هذا، فإنه سيخرج بحصيلة من المعلومات المغلوطة، والتحليلات الخاطئة، والاستنتاجات الزائفة.

وقد رأينا أمثلة كثيرة علىٰ ذلك. وسنعرض المزيد منها فيما يلي :

كان الشنقيطي قد زعم في فصله السابق قبل حديثه عن طلائع بن رزيك أن النزاريين الباطنية أصبحوا حلفاء لصلاح الدِّين فقال في ص ١٧٤ ما نَصّه :

(وكما سنرىٰ في الفصل الرابع من هذا الكتاب، فحتىٰ النزاريون – وهم أشد طوائف الشيعة رفضا وعنفا تجاه الهيمنة السنية – تحولوا حلفاء لصلاح الدِّين في نهاية حياته، بعد أن حاولوا اغتياله أكثر من مرة، واستمروا حلفاء دائمين لأبنائه من بعده، وللأيوبيين عموما طيلة عمر الدولة الأيوبية).

وفي ص ٢٢٣ من الفصل الرابع شرع الشنقيطي في البرهنة علىٰ هذه الكذبة المفتراة بالتزوير والمعلومات الخاطئة والاستنتاجات الزائفة. فقال في هذه الصفحة ٢٢٣، ما نَصّه :

(توصل صلاح الدِّين إلىٰ اتفاقية الرملة مع ريتشارد قلب الأسد في شعبان ٥٨٨ هجرية/ سبتمبر ١١٩٢م.« واشترط، صلاح الدِّين، دخول بلاد الإسماعيلية، النزاريين، ضمن المناطق التي تبقىٰ تحت سلطته. ثم استمر هذا الحلف الضمني الذي بدأه صلاح الدين وسنان طيلة عمر الدولة الأيوبية » ٥٦٩ – ٧٤٢ هجرية / ١١٧٤ – ١٣٤١ م).

ويقصد الشنقيطي بـ «سنان» في نَصِّه هذا، رشيد الدِّين سنان، زعيم الباطنية في حصونهم بالشام مثل الخوابي ومصياف في جبال النصيرية.

ضعوا هذا النص أمام أعينكم حتىٰ يتبين لكم التزوير والتزييف والدس والكذب.

ودعونا نبدأ بالتاريخ الذي وضعه في نهاية النص لعمر الدولة الأيوبية. وهذا الغلط والتزييف لا يمكن أن يكون نتيجة خطأ مطبعي البتة، لأنه وضعه بالتاريخ الهجري، والميلادي، وهذا وحده يكشف جهل الشنقيطي المطبق بالدولة الأيوبية.

فتاريخ بداية الدولة الأيوبية بدأ فعلاً بعد معركة «قرون حماة» في رمضان سنة ٥٧٠ هجرية/ إبريل ١١٧٥م التي انتصر فيها صلاح الدِّين علىٰ الأمراء المُتَسَلِّطين علىٰ السلطان القاصر الصالح إسماعيل ومَنْ حالفهم من الأمراء الزنكيين . فقد كان صلاح الدِّين قبل تلك المعركة يُعلن ولاءه للصالح إسماعيل بوصفه ابن سيده نور الدين، وبعد تلك المعركة أعلن صلاح الدِّين خلع الصالح إسماعيل وأرسل رسالة - صاغها له القاضي الفاضل - إلىٰ الخليفة العباسي في بغداد يخبره بما جرىٰ من أولئك المُتَسَلِّطين ، فجاء رد الخليفة بتقليد صلاح الدِّين السلطنة علىٰ مصر والشام، وهذا التاريخ هو بداية عمر الدولة الأيوبية.

انظر: مفرج الكروب، لابن واصل، ج ٢ ص ٣٢ -٣٣ . وهذا المصدر الأساس للدولة الأيوبية حتىٰ سقوطها. والذي لم يستخدمه الشنقيطي!

وهنا قد يقول قائل: سنة واحدة بين قول الشنقيطي وقولك ما تفرق؟

فأقول: أقبل بهذه النظرية! لكن تعالوا انظروا تاريخ نهاية الدولة الأيوبية الذي قدَّمه الشنقيطي وكتبه بالتاريخين الهجري والميلادي. فنجده أعطىٰ الدولة الأيوبية عمرا يزيد بكثير عن ضعفي عمرها التاريخي الوقعي.

وتشمل هذه الزيادة عهود تسعة عشر سلطانًا من سلاطين دولة المماليك البحرية، أوَّلهم السُّلطانة شجر الدُّر، وآخرهم السلطان الصالح عماد الدِّين إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون، ولم يبق من سلاطين المماليك البحرية بعد هذا التاريخ

الذي زعم الشنقيطي أنه نهاية الدولة الأيوبية، إلا تسعة سلاطين مدة حكمهم أربعين عاما فقط[١].

والمعروف أن الدولة الأيوبية في مصر سقطت سنة ٦٤٨ هجرية/ ١٢٥٠ م حين قتل المماليك البحرية آخر سلاطين الايوبيين في مصر توران شاة بن الصالح أيوب.

أما الدولة الأيوبية في الشام فظلت قائمة عشر سنوات أخرىٰ حتىٰ اجتاحها المغول سنة ٦٥٨هجرية/ ١٢٦٠م. فهل يمكن لمتخصص أو مثقف يقرأ كتاب هذا الشنقيطي – الذي لا يعرف حتىٰ تاريخ سقوط الدولة الأيوبية – أن يقبل آراءه وتحليلاته واستنتاجاته عن هذه الدولة؟

والنص الذي أوردناه من كتاب الشنقيطي هو عن صُلح الرملة حيث قدَّم الشنقيطي هذا الصلح بهذا الشكل الأخدج، والمُبتسر، والمشحون بالتزوير.

وقبل أن نواصل نقد نص الشنقيطي، إليكم بنود صلح الرملة كما وردت في مفرج الكروب وغيره من المصادر الموثوقة:

– ينعقد الصلح لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، وذلك ابتداء من يوم الأربعاء الموافق ٢ سبتمبر ١١٩٢م الموافق لعام ٥٨٨ هجرية

– يحصل ريتشارد علىٰ الرملة أو اللد أو علىٰ نصف كل منهما.

---

(١) انظر: الجداول بأسماء الحكام. د. سعيد عاشور، «الحركة الصليبية »، ج ٢ ص ١٢٣٧ – ١٢٣٨. والرقم عند عاشور هو (٥) بعنوان – سلاطين المماليك في مصر. (أ) دولة المماليك البحرية. وانظر أيضًا: «تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيمان، ج ٣ ص ٨٧٤ – ٨٧٥ . وهذان المرجعان أسهل في التعرف علىٰ مدة حكم كل واحد من أولئك السلاطين البحرية التسعة عشر.
ومن أراد أن يقرأ تفاصيل عهد كل سلطان فليرجع لمصادر العصر المملوكي الموسوعية مثل : «السلوك» للمقريزي ؛ و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ؛ و«عقد الجمان» للعيني، و«نهاية الأرب» للنويري .حيث سيجد تفاصيل عهود جميع السلاطين البحرية في عدة مجلدات.

– أن تبقىٰ عسقلان خرابًا.

– اشترط ريتشارد أن تدخل أنطاكية وطرابلس في الصلح؛ لأن إمارتي أنطاكية وطرابلس في الشمال وإدخالهما في الصلح حتىٰ لا يستغل المسلمون عودة ريتشارد وجيوشه إلىٰ أُورُبا ويهاجمونها.

– اشترط صلاح الدِّين دخول بلاد الإسماعيلية في الصلح.

وهدف صلاح الدِّين من هذا الشرط حتىٰ لا يستغل الصليبيون – خصوصا فرسان الاسبتارية والداوية – فترة الهدنة ويستولون علىٰ قلاع وحصون الإسماعيلية في شمال الشام والقريبة من حمص وحماة وحلب ويهددون من تلك الحصون والقلاع البلاد والمدن الإسلامية القريبة منها بعد نهاية الهدنة[1].

وهكذا لا يوجد تحالف البتة بين صلاح الدِّين والإسماعيلية.

وقد أدخل صلاح الدِّين بلادهم في الصلح لأنهم كانوا ضعفاء في ذلك الحين بعد أن اسقط صلاح الدِّين دولتهم الكبرىٰ في مصر «الفاطمية» ولن يستطيعوا وحدهم الصمود أمام فرسان الاسبتارية والداوية الأشداء، وقد تسقط بلادهم وحصونهم بسهولة في يد هاتين الطائفتين ، وبالتالي يهددون مدن شمال الشام بعد الهدنة، سيما لو قدمت حملة صليبية جديدة. وكذلك لم يكن الاسماعيلية في حصون الشام تحت سلطة صلاح الدِّين مثلما زعم الشنقيطي في تزويره.

أما تفسير الشنقيطي – الجاهل بتاريخ سقوط الدولة الأيوبية – بالتحالف الضمني بين صلاح الدِّين والإسماعيلية الباطنية، فهو تفسير اللاهث وَرَاء إيجاد

(١) انظر: «مفرج الكروب» لابن واصل ج ٢ ص ٤٩٢ – ٤٠٤ ؛ ابن شداد ؛ «النوادر السلطانية» ص ٢٣٢ – ٢٣٤ ؛ أبو شامة، «الروضتين» ٢ ص ٢٠٣ ؛ المقريزي، «السلوك» ج١ ص ١١٠ ؛ القلقشندي، «صبح الأعشىٰ» ج ٤ ص ١٧٧ .

شرعية تاريخية لقوىٰ الرَّفض الشيعية في عصر الحروب الصليبية.

وقد حاول الشنقيطي تدعيم استنتاجه الأخرق بحوادث توضح جهله المركب بتاريخ الدولة الأيوبية كما سنرىٰ فيما يلي.

⦿ الشنقيطي يقترف السَّرقة العلمية:

من المتعارف عليه في الأوساط الأكاديمية، أن الأمانة العلمية أهم قاعدة في البحث العلمي، وأنه يجب علىٰ الباحث إرجاع كل معلومة إلىٰ مصدرها، وكل رأي أو تحليل إلىٰ قائله، وعدم التهاون في هذا الأمر البتة. وما أكثر الرسائل التي رُفِضت في الجامعات بسبب اقتراف أصحابها للسرقة العلمية. وكتاب الشنقيطي في الأصل رسالة دكتوراة من جامعة تكساس، كما نص هو في تقديم كتابه ص ٧ .

وفي أثناء فحصي لكتاب الشنقيطي - بعد كتابة كل النقد السابق - وجدت الشنقيطي لم يكتف بالتزوير والكذب، بل مارس السرقة العلمية دون خجل أو وجل.

فقد سرق بعض الآراء والاستنتاجات حول الحلف المزعوم بين الإسماعيلية والدولة الأيوبية من كتاب : د. منذر الحايك، وعنوانه «العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية».

ولكن قبل عرض هذه السرقة العلمية، نعطيكم نبذة موجزة عن المَسْرُوق منه .د. منذر الحايك، لتعرفوا خطورة وخيبة السارق والمسروق منه.

فـ «منذر الحايك» : بعثيٌّ سوريٌّ صميمٌ، وتلميذ مُخْلص لأستاذه البعثي الهالك مصطفىٰ طلاس، الذي عيَّنَهُ في دار النشر التي يملكها في دمشق.

وقد أخذ الدكتوراة من الجامعة اللبنانية بعنوان «العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية»، ثم أصبح أستاذاً متعاوناً في جامعة البعث في سوريا. وعند

بداية الكارثة السورية الكبرىٰ التي أَنْزَلها حزب البعث وآل الأسد بسوريا وشعبها، آثر منذر الحايك السلامة، فغَادر سوريا، ثم ذهب إلىٰ الهند وأطَّلع علىٰ عقائد الهندوس والبوذيين وغيرهم.

ثم استقر به المقام في قبرص، وشرع في تأليف عدة كتب في تاريخ الأديان، أصبحت تلقىٰ رواجـًا لدىٰ الأوساط والقوىٰ المُعادية للإسلام. وأعلن في مقابلة معه منشورة في الإنترنت، أنه يحمل مشروعـًا فكريـًا، حيث قال : إنه يقوم بإعادة ترتيب عقائد وتاريخ الأديان ليُثْبت أنها جميعا من أصل واحد، وانها تطورت من خلال هذا الأصل!!

وإذا تأملتم هذا الطرح نجد أنه يساوي تمامًا نظرية دارون، المُتعلِّقة بالكائنات الحية، التي تنصُّ علىٰ الزعم – الزائف – بأصل الأنواع، وأنها ترجع إلىٰ أصل واحد، ومنه تطورت. ولكن «الحايك» يريد تطبيق نظرية دارون في ميدان الفكر الديني.

وفي هذا المشروع إنكار تام لرسالات الأنبياء جميعًا وعلىٰ رأسها رسالة نبينا محمد ﷺ. وجعلها مع الوثنيات المنحطة تعود إلىٰ أصلٍ واحد[1].

والآن نبدأ بعرض السرقة العلمية عن التحالف المزعوم بين الأيوبيين والإسماعيلية:

١ – قول الشنقيطي في ص ٢٢٢ – وهو يستنتج –

(لأن صلاح الدِّين لم يُرد أن يوثق صلحا مع تلك الطائفة التي يمقتها أكثر رعيته، وهو لا يأمن غدرها في أي لحظة، بيد أن التفاهم بين الطرفين كان من أطول التفاهمات السياسية عمرًا).

هذا الاستنتاج سرقه الشنقيطي من كتاب الحايك ص ٣٤٢ – ٣٤٣ ولم يُشِر إليه.

---

(١) وكتبه في هذا الباب موجودة في الانترنت ويمكن قراءتها.

٢ – قول الشنقيطي – تعليقا علىٰ اشتراط صلاح الدِّين – في صلح الرملة – دخول بلاد الإسماعيلية في الصلح ووصفه له بالحلف الضمني ص ٢٢٣ :

(واشترط صلاح الدِّين، دخول بلاد الإسماعيلية النزاريين، ضمن المناطق التي تبقىٰ تحت سلطته. ثم استمر هذا الحلف الضمني الذي بدأه صلاح الدِّين وسنان طيلة عمر الدولة الأيوبية).

هذا الاستنتاج سرقه الشنقيطي من ص ٣٤٣ من كتاب الحايك من السطرين الرابع والخامس، ومن السطر الثامن عشر من الصفحة نفسها.

٣ – قول الشنقيطي ص ٢٢٣ عن الإسماعيلية

(فهم حاجز صلب بين الأيوبيين والمناطق التي يسيطر عليها الصليبيون).

سرقها الشنقيطي – بعد أن حورها وضخّمها – من كتاب الحايك ص ٣٤١ حيث قال الحايك في سطري ١١ – ١٢ : (وربما كانوا – يقصد الأيوبيين – يعدُّونهم سدّاً بوجه الفرنج).

وبعد أن ضخّم الشنقيطي عبارة الحايك إلىٰ أقصىٰ حد، وقع في خطأ شنيع فحصون الإسماعيلية، لا تُشكل حاجزًا إلا بين مملكتي حماة وحمص الأيوبيتين وبين إمارة طرابلس الصليبية. أما مملكة حلب الأيوبية فكانت تواجه من الغرب إمارة أنطاكية الصليبية. ولا توجد بينهما حصون للإسماعيلية، بل حصون خطيرة للداوية ومملكة أرمينية الصغرىٰ. فضلا عن أن الحملات الصليبية التي جاءت بعد صلاح الدِّين، جاءت بحرًا إلىٰ فلسطين وإلىٰ مصر، ولا يوجد إسماعيلي واحد بين الأيوبيين الذين يملكون مدن شرق فلسطين وبين مملكة عكا الصليبية، فالطرق بينهما مفتوحة. كما أن الطرق بين مصر الأيوبية ومملكة عكا الصليبية مفتوحة براً

وبحراً. وكذلك الطرق البحرية مفتوحة بين مصر الأيوبية ومملكة قبرص الصليبية. فأين الحاجز الصلب؟

وهكذا يُضخّم الشنقيطي الأكاذيب مثلما اخترع وضخّم دوراً جهاديًّا كاذبـاً للشيعة الإمامية، التي لا يوجد لها ذكر البتة حتىٰ في كتاب الحايك الذي سرق منه الشنقيطي والذي يقع في جزئين!!

٤ - الإشـارة الوحيدة لكتاب منذر الحايك - وهي التي كشفت لي سرقة الشنقيطي لاستنتاجات الحايك - جاءت في آخر سطرين من ص ٢٢٣ حيث قال الشنقيطي تعليقا علىٰ قتل الإسماعيلية بكتمر الأرتقي حاكم بلدة خلاط حيث قال :

(وقد أنقذ هذا الاغتيال الحكم الأيوبي من أكبر تحدٍّ وجودي وهو لايزال متضعضعا بعد غياب صلاح الدِّين عن المشهد).

وقد ذكر الشنقيطي في حاشية هذه العبارة كتاب الحايك.

ولكن دعونا نقدّم لكم نص عبارة الحايك حتىٰ تعرفوا التضخيم الفاضح لدور الشيعة الإسماعيلية الذي قام به الشنقيطي في كتابه هذا، قال الحايك ما نَصّه :

(ولما تحركت جيوش هذا التحالف - يقصد تحالف بكتمر مع الزنكيين وبقية الأراتقة - تدخلت الخناجر الإسماعيلية لتنهي حياة بكتمر وتنهي أخطر تحالف واجه الأسرة الأيوبية في الجزيرة بعد موت صلاح الدِّين).

فالحايك نصَّ هنا علىٰ التهديد لممتلكات الأيوبيين في منطقة الجزيرة ، أي: ما بين فروع نهري دجلة والفرات وليس تهديدا وجوديا للدولة الأيوبية طبقـاً لنص الشنقيطي.

وكل ما كان يقع في الجزيرة كان من ممتلكات العادل شقيق صلاح الدِّين حيث

جعل له أخوه صلاح الدِّين كل ما يقع شرق الفرات. بينما بأيدي أبناء صلاح الدِّين بلاد الشام ومصر[١].

وقد استطاع العادل مواجهة ذلك التمرد وقضىٰ عليه كما شرح العماد في بقية الصفحة وص ٤٣٦ - ٤٣٨ .

وانظروا هنا تضخيم الشنقيطي حين حوّر عبارة «الحايك» من تهديد للنفوذ الأيوبي في الجزيرة، إلىٰ تحدّ وجودي للدولة الأيوبية التي كانت تمتد إلىٰ الشام ومصر وليبيا والنوبة والحجاز واليمن. و «بكتمر» الذي أعلن فرحه بموت صلاح الدِّين كان مجرد حاكم تركي صغير تابع للأيوبيين، ويحكم بلدة معظم سكانها أكراد قلوبهم وولاءهم للدولة الأيوبية ذات الأصل الكردي.

والدليل علىٰ هذا: أن خلاط التي كان أميرها «بكتمر» لم تلبث أن أصبحت من ممتلكات الأشرف موسىٰ ابن العادل وأصبحت عاصمته[٢].

ويجب أن أقف هنا قليلا لأخبركم أن أكبر تحدّ وجودي فعلي تعرضت له الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدِّين هو - مثلما أسميته في كتابي «بلاد الشام قبيل الغزو المغولي» - حرب الوراثة الأيوبية التي وقعت بين أبناء صلاح الدِّين، والتي كادت تزيل الدولة الأيوبية من الوجود لولا حنكة ودهاء الملك العادل - شقيق صلاح الدين -الذي انغمس في تلك الحرب ووجهها لتخدم مصلحته في نهاية المطاف، واستطاع بعد عشر سنوات من النزاع والحروب إعادة توحيد الدولة تحت رايته[٣].

---

(١) انظر: «الفتح القِسِّي» للعماد الأصفهاني ؛ منشور في «الموسوعة الشاملة» لسهيل زكار، ج١٣ ص ٤٣٥.

(٢) انظر كل تفاصيل هذا الموضوع في الفصل الثاني من كتابي «بلاد الشام قبيل الغزو المغولي».

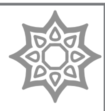
(٣) انظر كتابنا «بلاد الشام قبيل الغزو المغولي» ، ص ٣٥ - ٦٣.

٥ - في ص ٢٢٤ قال الشنقيطي ما نَصّه :

(ومن ضمن تجليات هذا الحلف الضمني الذي استمر مدة مديدة بين الأيوبيين والنزارين أمران : أن النزاريين لم يهاجموا قط قائداً أيوبيًّا بعد محاولتهم قتل صلاح الدِّين للمرة الثانية عام ٥٧١ هجرية/ ١١٧٦م، وأن لا أحد من القادة الأيوبيين قصد النزاريين بحملة عسكرية أو غيرها منذ حصار صلاح الدِّين قلعة مصياف في العام ذاته. بل ظهر من الأيوبيين الجدُّ في الدفاع عن النزاريين ضد الصليبيين).

هذه الاستنتاجات سرقها الشنقيطي بشحمها ولحمها من كتاب «الحايك» الجزء الأول ص ٣٤٣ .



نَظَراتٌ في:

الفصل الخامس

حُمّى التاريخ

صلاح الدِّين الأيوبي في الحِجَاج السُّنِّي الشِّيعيِّ




⦿ تشويه صورة صلاح الدين الأيوبي:

الفصل الأخير من كتاب محمد بن المختار الشنقيطي «أثر الحروب الصليبية علىٰ العلاقات السنية الشيعية» عنوانه :

(حُمَّىٰ التاريخ : صلاح الدِّين الأيوبي في الحِجاج السُّنِّي الشيعيِّ).

ومعظم هذا الفصل المكون من ٣٧ صفحة، يُسيء إلىٰ صلاح الدِّين إساءات بالغة، بحيث لو قرأه مسلم سنّي بسيط - لا يعرف تاريخ صلاح الدِّين - لخَرَج منه بصورة مشوهة، بل وبشعور كارهِ لصلاح الدين.

وهدف الشنقيطي من هذا الفصل الإساءة الشديدة إلىٰ صلاح الدِّين - تحت هذا العنوان المُضَلِّل - وذلك من خلال عرض أقوال كُتّاب شيعة حاقدين، وغير معروفين في أوساط المتخصصين في تاريخ العصور الوسطىٰ، سيما تخصص الحروب الصليبية، في العالم العربي. مثل : المتشيع المصري صالح الورداني، ومحمد جواد مغنية، وحسن الأمين وغيرهم من شيعة لبنان، إضافة إلىٰ ما تقيئوه الشنقيطي نفسه تجاه صلاح الدِّين من إساءات بالغة في هذا الفصل.

وفوق هذا وذاك فإن المقارنة غير متكافئة أصلًا؛ لأنها مقارنة تعني عرض رؤية مؤرخي أمة الإسلام في صلاح الدِّين، مقابل عرض رؤية أفراد من طائفة قليلة خرجت عن مبادئ وقواعد الإسلام. وهذا فيه من الإجحاف والظلم ما فيه!

ولم يعرض الشنقيطي في مقارنته البائسة نصوصاً ذات قيمة مما كتبه مؤرخو السُّنَّة، بل أجحف وطغىٰ وبغىٰ فعرض نصوصاً باهتة لا قيمة لها، وترك النصوص المهمة التي تُعبر بصدق عن شخصية صلاح الدِّين، ولم يقتصر بغي الشنقيطي علىٰ هذا الظلم، بل طعن مسبقاً في مصداقية أولئك المؤرِّخين كما سنرىٰ فيما بعد.

قال الشنقيطي في ٢٣٥ - ٢٣٦ ما نَصّه :

(كان صلاح الدِّين شخصية مركبة، عاشت في عصر مركب. وفي الدراسات الغربية المعاصرة يوجد حوار وخلاف في تقييم الجوانب المختلفة من شخصيته ودوافعه، أما في الجدل السُّنِّي الشيعي اليوم حول شخصية صلاح الدِّين فلا تكاد توجد مساحة للتحاور والتلاقي أصلاً، فأهل السُّنَّة يرون أن صدق صلاح الدِّين ومثاليته أمران بديهيان لا يقبلان النقاش، فهو الذي وحَّد العالم الإسلامي وحرّر القدس من الصليبيين، وهو مثال للقائد الشجاع المتجرد . أما الشيعة فيرون صلاح الدِّين مجرد مغامر عسكري أناني، خان أمته، وفرط في ثقة قادته وجنوده، وتصالح مع الصليبيين، وهدَّ أركان أعظم الإمبراطوريات في التاريخ الإسلامي، وهي الدولة الفاطمية).

فوَصْفُه لصلاح الدِّين بأنه شخصية مُرَكَّبة وَصْفٌ مُغْرض، أراد بذلك أنه شخصية متناقضة تحمل صفات ينقض بعضها بعضـاً، وهو ما صرَّح به في ص ٢٧٠ ، وهو ما سوف أدحضه إن شاء الله إذا وصلت إلىٰ تلك الصفحة.

أمَّا وَصْفه للعصر الصليبي بأنه عصر مركب «متناقض» فلا اعتراض عليه؛ لأنه كذلك، بما فيه من صليبيين ومسلمين، وإسماعيلية - من نزارية ومستعلية - وأرمن، وموارنة، ونصيرية، ودروز، وشيعة إمامية في «جبل عامل» في لبنان...إلخ. والدراسات الغربية أنصفت صلاح الدِّين بصورة عامة. وأقرأوا كتاب الصديق د. محمد مؤنس عوض (قالوا عن صلاح الدِّين : شهادات من الشرق والغرب).

أما قول الشنقيطي :

(فأهل السُّنَّة يرون أن صدق صلاح الدِّين ومثاليته أمران بديهيان لا يقبلان النقاش).

فهذه رؤية صحيحة لن يختلف عليها أهل السُّنَّة البتة.

أمَّا قول الشنقيطي عن أن أهل السُّنَّة رأوا أو قالوا عن صلاح الدِّين (**فهو الذي وحَّد العالم الإسلامي**) !

فهذه فرية لم يقل بها أبداً أحد من مؤرِّخي السُّنَّة.

هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرىٰ هذا جهل مطبق بالتاريخ الإسلامي من جانب الشنقيطي الذي لا يعرف حتىٰ حقائقه العامة.

فصلاح الدِّين لم يوحد العالم الإسلامي أبداً؛ لأن هذا أمر يفوق بكثير طاقته وقدرته، ولا يكلِّف الله نفساً إلا وسعها، ولكن صلاح الدِّين أسهم مع سيده نور الدِّين وعمه أسد الدِّين شيركوه ووالده نجم الدِّين أيوب في بناء جبهة اسلامية متحدة تشمل الشام ومصر بهدف تطويق الصليبيين والانتصار عليهم. ولما مات نور الدِّين سنة ٥٦٩ هجرية وكادت تلك الجبهة أن تتصدع - بسبب تسلط بعض القادة الطامعين علىٰ ابنه الطفل إسماعيل - خرج صلاح الدِّين إلىٰ الشام وأعاد الترابط والوحدة إلىٰ تلك الجبهة.

ولم يكن صلاح الدِّين يسيطر إلا علىٰ أقل من عشرة بالمئة من مساحة العالم الإسلامي الكبير. ووَاجَه بتلك القدرات المحدودة عالماً غربياً اتحد ضده بعد حطين وتحرير القدس وجاء الغرب بجيوشه الكثيفة التي فاقت بعشرات المرات عدد جيش صلاح الدِّين، الذي لم يكن يقدر في أحسن الحالات أن يحشد أكثر من أربعين ألف مقاتل.

ودعونا نضرب مثالاً واحداً بجيش من تلك الجيوش الغربية التي نهضت ضد صلاح الدِّين في الحملة الصليبية الثالثة؛ ردًّا علىٰ حطين وتحرير القدس، وهو جيش «فردريك بربروسا» إمبراطور ألمانيا.

فقد ذكر المؤرِّخ الألماني «أرنولد لوبيك» أنه جرىٰ إحصاء للجيش الألماني عند عبوره نهر الساف، فبلغ عدده خمسين ألف فارس ومئة ألف من الرجالة[1].

هذا جيش واحد فما بالكم بالجيوش الأخرىٰ التي جاءت بحراً مثل جيش ملك النورمان في صقلية وجنوب إيطاليا، والجيش الإنجليزي بقيادة ريتشارد قلب الاسد والجيش الفرنسي بقيادة فيليب أغسطس. وجيوش بقية بلدان أُورُبا بما فيها الدول الاسكندنافية الحالية، التي كان يُطلق عليهم يومذاك، اسم «الدانيين».

وصلاح الدِّين وحده في الميدان، فآسيا الصغرىٰ كانت خاضعة لدولة سلاجقة الروم وامكاناتها البشرية والمادية تضاهي إمكانات صلاح الدِّين، ولم تُقدم له أية مساعدة، بل سمحت لـ «فردريك بربروسا» بالعبور نحو الشام دون معوقات.

والمغرب العربي كله ومعظم الأندلس كانت تخضع لدولة الموحدين التي تفوق في قدراتها المادية والبشرية بكثير قدرات صلاح الدِّين، ولم تقدم لصلاح الدِّين أية مساعدة رغم استنجاد صلاح الدِّين بملكها ابن عبد المؤمن، فلم يُقدم له أية مساعدة.

والدولة الخوارزمية بقيادة سلطانها تكش الخوارزمي - المعاصر لصلاح الدِّين - كانت تملك شرق العالم الإسلامي بأكمله، بعد أن قضت علىٰ دولة السلاجقة وامتلكت بلادهم، وأصبحت تمتد من جبال زاجروس غربًا حتىٰ حدود الصين شرقًا. وكانت جيوشها وإمكاناتها المادية تزيد علىٰ ما يمتلكه صلاح الدِّين بأكثر من عشرة أضعاف. ولم تقدم لصلاح الدِّين أية مساعدة البتة، إضافة إلىٰ الدولة الغورية التي كانت في الهند وغيرها.

ومع ذلك صمد صلاح الدِّين بجيشه القليل وإمكاناته أمام جحافل أُورُبا المتحدة ضده، ورابط وقاوم وصابر وصمد صمودا أسطوريًا، ونجح في منع كل

---

(١) انظر: Arnold of Lubeck pp 130 - 131

تلك الجيوش الضخمة من احتلال القدس. ثم يأتي الشنقيطي وكُتّاب طائفته في لبنان فيتهمون صلاح الدِّين بالتناقض وخيانة أمته، والتفريط في ثقة قادته وجنوده.

أما وَصْف الشنقيطي للدولة الفاطمية بأنها أعظم الإمبراطوريات في التاريخ الإسلامي، وأن صلاح الدِّين هدَّ أركانها.

فيحق لنا أن نتساءل هنا : إذا كانت أعظم الإمبراطوريات في التاريخ الإسلامي، فلماذا تسقط وتذوب بهذه السهولة أمام صلاح الدين؟

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] .

ولا غرابة أن يُخصِّص الشنقيطي فصله الأخير للإساءة لصلاح الدِّين، بعد التزوير الذي اقترفه وأفصح عنه في مقدِّمته، بَدْءًا من الإساءة المُبَطَّنة للنبي ﷺ، حيث زعم - كما رأينا - أنه ورَّث لأُمَّته أزمة دستورية لم تُحل إلىٰ اليوم، حين زعم أنها بدأت قبل دفنه - وهي التهمة نفسها التي وجهها الهالك الخميني للنبي ﷺ في كتابه «كشف الأسرار»، ولكن الشنقيطي موهها تحت مُسمَّىٰ «الأزمة الدستورية»[١].

والإساءة إلىٰ بيعة السقيفة وكبار الصحابة الذين شاركوا فيها واعتبارها البذرة التي أنبتت الفتنة الكبرىٰ التي سمَّاها الأزمة الدستورية. وكَذِبُه عَلىٰ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وزعمه أنه كان في قرارة نفسه يرىٰ أنه أحق بالخلافة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وقد فنَّدنا هذه الفرية عن علي رضي الله عنه بنص جاء عن علي نفسه بسند صحيح أن الصديق هو الأحق والأجدر بالخلافة. فليس غريبًا أن يُسيء الشنقيطي إلىٰ رمز المسلمين الأول في عصر الحروب الصليبية، صلاح الدِّين، تحت هذا العنوان المضلل «صلاح الدِّين في الحجاج السُّنِّي الشيعي».

(١) انظر: ص ٨٤ من هذا الكتاب محل النقد.

فالسُّنَّة هم أمة الإسلام، والشيعة بطوائفها المختلفة ضمن النِّحَل التي خرجت علىٰ أمة الإسلام. وفوق هذا وذاك فما كتبه الكُتّاب الشيعة عن صلاح الدِّين، وحتىٰ بعد ظهور الخمينية ودعمها اللامحدود لهم، لا يصل إلىٰ نسبة خمسة في المئة مما كتبه المؤرِّخون السُّنَّة عن صلاح الدِّين عبر العصور، ووضع صلاح الدِّين في مقارنة بين ما كتبه عنه مؤرِّخو الأمة وما كتبته نحلة كارهة للأمة، هو الظلم عينه والإجحاف نفسه. ورغم ذلك نالت تلك الكتابات المسيئة لصلاح الدِّين النصيب الأوفر في فصل الشنقيطي الأخير.

ويكفي أن نُذكِّر هنا أن الشنقيطي لم يرجع إلىٰ المصدر الأكبر والأوسع عن الدولة الأيوبية، وهو «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» لابن واصل، ويقع في ستة مجلدات. فضلاً عن عشرات المصادر الأخرىٰ المُهمَّة، التي أغفلها.

وقد عرض الشنقيطي في ص ٢٣٦ - ٢٣٩ بعض أقوال قليلة لمؤرِّخين معاصرين لصلاح الدِّين، مثل: القاضي بهاء الدِّين بن شداد، والقاضي الفاضل، والعماد الأصفهاني. ولكنه شكك - بمكر عجيب - في البداية في مصداقيتهم «رغم أنهم قضاة» حتىٰ لا يقبل قارئ كتابه أقوالهم ويعتبرها مُحاباة غير صحيحة!

◉ قال الشنقيطي في ص ٢٣٨ ما نَصّه :

(فثلاثة من المؤرخين السُنّة الذين ذكرناهم كانوا من رجال بلاط صلاح الدِّين، فلا غرابة أن كانوا أوفياء له، وأن قدَّموه في كتاباتهم بصورة مثالية).

ورغم هذا التشكيك في نزاهة هؤلاء المؤرِّخين القضاة، فإن الشنقيطي لم يُقدم مما قالوه إلا صفات عادية يمكن أن يتَّصف بها الكثير من ملوك الطوائف في الأندلس، وأُمراء المدن والقلاع المستقلة في الشام قبيل توحيد الجبهة الإسلامية.

فمثلا نقل الشنقيطي في ص ٢٣٨ - ٢٣٩ عن ابن شداد بعض الصفات والفضائل التي اتصف بها صلاح الدين. مثل «مواظبته علىٰ القواعد الدينية... »، وعدله، وكرمه، وشجاعته، وصبره، وحلمه، وعفوه... ورحمته بأسير فرنجي، وامرأة صليبية.

وترك الشنقيطي أهم وَصْف وَصَف به ابن شداد صلاح الدين، وهي الصفة الحقيقية - كما جَرَت علىٰ أرض الواقع - التي أعطت صلاح الدِّين مكانته العظيمة والرفيعة في نفوس الأمة أبد الدهر، حيث بيّن ابن شداد في ذلك الوصف أن صلاح الدِّين أمضىٰ السنين الطوال في ميادين الجهاد بصورة لا تعرف الكلال أو الملل، وأن حب صلاح الدِّين للجهاد (والشغف به قد استولىٰ علىٰ قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيماً بحيث ما كان له حديث إلا فيه ولا نظر إلا في آلاته، ولا كان له اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا لمن يذكره ويحث عليه . ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسكنه وسائر بلاده، وقنع من الدنيا بالكون في ظل خيمة تهب بها الرياح ميمنة وميسرة...)[1].

فقد تجاهل الشنقيطي هذا النص في كتاب ابن شداد عمدًا حتىٰ لا يُظهر عظمة صلاح الدِّين التي يستحقها. فهل رأيتم أكثر من هذا الظلم الذي اقترفه الشنقيطي بحق صلاح الدين؟

وقد عرض الشنقيطي في كتابه تحامُل ابن الأثير علىٰ صلاح الدين. وهذا موضوع لن نناقشه هنا لأنه قد قُتل بحثاُ قبله في كتب وبحوث كثيرة يصعب حصرها. وعلىٰ رأس تلك البحوث بحث الأستاذ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور بعنوان «دراسة حول كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير »[2] .

---

(١) انظر: ابن شداد ؛ «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» ص ٢١.

(٢) البحث منشور في كتاب عاشور نفسه وعنوانه «بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطىٰ» والذي نشرته جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٧م.

وقد عالج الأستاذ عاشور تحامُل ابن الأثير علىٰ صلاح الدِّين بصورة دقيقة لم يستطع الشنقيطي الإرتقاء إلىٰ مستواها.

لكن العجيب أن الشنقيطي في بداية عرضه لتحامُل ابن الأثير علىٰ صلاح الدِّين بسبب ولائه للزنكيين حكام الموصل ذكر بأنه كتب فيهم كتابه «الباهر» دون أن يذكر اسم الكتاب كاملا وهو «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» .

ويبدو أن الشنقيطي أخذ كلمة «الباهر» من أحد المراجع؛ لأنه لم يطلع علىٰ الكتاب أصلًا، بدليل أنه نسب عماد الدِّين وابنه نور الدِّين إلىٰ «آق سنقر البرسقي» الذي قتله الباطنية سنة ٥٢٠ هجرية - كما رأينا - وفسَّرَ سياسة نور الدِّين تجاه الشيعة بأنها كانت بدافع الثأر والانتقام لمقتل جده المزعوم، ولو قرأ «التاريخ الباهر» لوجد أن ابن الأثير بدأه بالتاريخ المفصل لقسيم الدولة آق سنقر الحاجب والد عماد الدِّين وجد نور الدِّين الحقيقي وولايته علىٰ حلب زمن السلطان «ملكشاة» ومقتله سنة ٤٨٧ هجرية إبان الحرب الأهلية التي اندلعت بين السلاجقة.

◉ وحين تحدَّث الشنقيطي عن المقريزي وتحامُله علىٰ صلاح الدِّين وتعصُّبه للفاطميين وتعاطفه معهم فسّر هذا التحامُل والتعاطف بأنه بدافع الانتماء الإقليمي إلىٰ مصر حيث قال الشنقيطي ص ٢٥١ ما نَصّه:

> **(فقد انطبعت كتابات المقريزي - رغم أنه سنيٌّ الاعتقاد - بتحيز شديد ضد صلاح الدِّين، وتعاطف عميق مع الفاطميين ، و كان الدافع إلىٰ ذلك أساسًا هو الانتماء الإقليمي إلىٰ مصر).**

وهذا هو الهراء بعينه فلو كان دافع المقريزي هو ما ذكره الشنقيطي لرأينا هذا الدافع عند المؤرخ ابن أيبك الدواداري الذي عاش قبل المقريزي بأكثر من قرن من الزمان «توفي سنة ٧٣٢ هجرية» حيث صنَّف موسوعته في التاريخ «كنز الدرر وجامع

الغرر» وأفرد الدولة الأيوبية بجزء كامل هو الجزء السابع، وعنوانه «الدر المطلوب في أخبار بني أيوب»(١) .

وهذا الكتاب المُهِمّ لم يطَّلع عليه الشنقيطي الذي حَكَم علىٰ الدولة الأيوبية بأحكام مجحفة بدون أن يقرأ مصادر تاريخها الأساسية.

والحق أن دافع المقريزي ليس الانتماء الإقليمي مثلما زعم الشنقيطي، ولكن المقريزي يرجع في نسبه للفاطميين، وهذا سر تعاطفه معهم وتحامله علىٰ صلاح الدِّين الذي أَزَال دولتهم من الوجود. وهذه حقيقة لم يصل إليها الشنقيطي ولكنها معروفة لكل المتخصصين في التاريخ المملوكي(٢) .

أما الرَّحالة ابن جبير فقد طاف بمملكة صلاح الدِّين في مصر والحجاز وبلاد الشام وتحدث مطولا عن إنجازاته وجهاده ومآثره التي رآها علىٰ أرض الواقع، وتحدَّث بالتفصيل عن قصة إلغائه المكوس الظالمة التي كانت مفروضة علىٰ الناس والحجاج خلال الحكم الفاطمي.

◉ وقد اقتطف الشنقيطي من حديث ابن جبير عن صلاح عدة مقتطفات، وذكر بعض أشعاره التي مدح فيها صلاح الدِّين في ص ٢٤٠ – ٢٤٣ . وعرض أخيرا تعليق ابن جبير علىٰ اسم صلاح الدِّين، بقوله في ص ٢٤٢ ما نَصّه :

(لقد رأىٰ ابن جبير في صلاح الدِّين الأيوبي اسمًا علىٰ مسمىٰ فقال: «سبحان الذي جعله صلاح دينه كاسمه» وسخَّر ابن جبير من الألقاب

---

(١) الذي حققه سعيد عاشور، وطُبع في القاهرة سنة ١٣٩١ هجرية / ١٩٧٢م.

(٢) فقد ذكر ذلك ابن حجر في كتابه «إنباه الغمر»، وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة». وانظر أيضـًا: مقدمة المحقق محمد عبدالقادر أحمد عطا لكتاب المقريزي «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا». المقدمة في بداية الجزء الاول.

الدينية التي اعتاد السلاطين والأمراء في المشرق إضفاءها علىٰ أنفسهم مثل «شمس الدِّين» و«قطب الدين» و«سيف الدين»، وهم لا يهتمون بدين ودنيا، بل تحكمت فيهم الأنانية السياسية - مثل ملوك الطوائف في الأندلس - وحاولوا التعويض عن ذلك بألقاب فخمة جوفاء لكن ابن جبير يستثني صلاح الدِّين من هذه الظاهرة فيقول، عن ملوك بلاد المشرق التي زارها : «سلاطين شتىٰ -كملوك طوائف الأندلس - كلهم قد تحلّىٰ بحلية تُنسب إلىٰ الدِّين، فلا تسمع إلا ألقابا هائلة، وصفات لذي التحصيل غير طائلة، تساوىٰ فيها السوقة والملوك، واشترك فيها الغنيُّ والصعلوك. ليس فيهم من ارتسم بسِمة به تليق، أو اتصف بصفة هو بها خليق، إلا صلاح الدِّين صاحب الشام وديار مصر والحجاز واليمن، المشتهر بالفضل والعدل. فهذا اسم وافق مسمّاه، ولفظ طابق معناه، وما سوىٰ ذلك في سواه فزعازع ريح، وشهادات يردُّها التجريح، ودعوىٰ نسبة للدين برّحت به أي تبريح :

ألقابُ مملكة في غير موضعها * كالهرّ يحكي انتفاخـًا صولة الأسد).**

وبعد أن انتهىٰ الشنقيطي من عرض رؤية ابن جبير لاستحقاق صلاح الدِّين اسمه حاول تشويه الصورة الجميلة التي قدمها ابن جبير بقول شيعي متعصب جاهل مغمور غير معروف لا يرقىٰ أبدا إلىٰ مكانة ابن جبير التاريخية.

والشنقيطي في هذا الفعل - طبقـًا لعنوان فصله المُضَلِّل - كمن يعرض درة ثم يضع بجوار الدرة بعرة بهدف تشويه الدرة ولن يستطيع ذلك.

◉ قال الشنقيطي - بعد أن سَاءَه حديث ابن جبير عن صلاح الدِّين ومكانته السامقة - ما نَصّه :

(لكن رأي ابن جبير حول استحقاق صلاح الدِّين لاسمه يتناقض تمامًا مع ما رأه الفقيه الشيعي أبو تراب ٥٢٦ - ٦١٥ هجرية/ ١١٣٢ - ١٢١٧م. حسبما ورد في نص أقدم النصوص التاريخية عن النظرة السلبية التي ينظر بها الشيعة إلىٰ صلاح الدِّين الأيوبي فقد حكىٰ الذهبي عن عبد العزيز بن هلاله أنه قال: «دخلت علىٰ أبي تراب، فقال : من أين أنت؟ قلت : من المغرب. فبكىٰ وقال : لا رضي الله عن صلاح الدِّين، ذاك فساد الدِّين، أخرج الخلفاء من مصر. وجعل يسبه، فقمت»).

إنهم - في الحقيقة - خلفاء الدم والمذابح ودعاوي الألوهية. وما فعلوه في شمال أفريقية وصقلية وبلاد الشام خير دليل.



⊙ عدوان الشنقيطي علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

لم يؤرِّخ شيخ الإسلام ابن تيمية لصلاح الدِّين البتة، ورغم ذلك أقحمه الشنقيطي في فصله الأخير الذي جعل عنوانه «صلاح الدِّين الأيوبي في الحِجاج السُّنِّي الشيعيِّ» بهدف الطعن والغمز واللمز في شيخ الإسلام ابن تيمية، أحد أعظم علماء الإسلام ومحاولة هز وتشويه صورته السامقة في نفوس المسلمين بالكذب والتزوير.

فبعد أن انتهىٰ الشنقيطي من الحديث عن المقريزي وأظهر فشله وجهله في معرفة سبب تحامُل المقريزي علىٰ صلاح الدِّين حيث جعله بدافع التحيز الإقليمي. بينما السبب الحقيقي هو نسب المقريزي الذي يعود للفاطميين الذين محا صلاح الدِّين دولتهم من الوجود.

◉ **فقال الشنقيطي في ص ٢٥٣ ما نَصّه :**

(ومنذ عصر المقريزي لم نعد نجد مؤرخًا سنيًا ينتقد صلاح

الدِّين، أو يتعاطف مع طائفة الفاطميين الشيعة، ولو بدافع التحيز الإقليمي أو السياسي. لقد ساد التفسير المذهبي لحياة صلاح الدِّين ولتاريخ العلاقات السنية الشيعية بعد ذلك. وكان رائد السلفية أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ؛ ٦٦١ – ٧٢٨ هجرية/ ١٢٦٣ – ١٣٢٨م، أعظم معبِّر عن هذا التوجه. لكن هذا التوجه لم يهيمن تماماً إلا بعد عصر المقريزي الذي ولد بعد وفاة ابن تيمية بخمسة وثلاثين عاماً).

وتأمّلوا قول الشنقيطي : (**لقد ساد التفسير المذهبي لحياة صلاح الدِّين ولتاريخ العلاقات السنية الشيعية**). ففي هذا القول مغالطة ماكرة يريد بها الشنقيطي إقناع قرائه أن السُّنَّة مجرد مذهب من الإسلام والشيعة مذهب مساوي لها، بينما الحق أن السُّنَّة هي الأمة، والشيعة بكل فرقها طائفة قليلة خرجت عن أهل السُّنَّة**!**

ثم ينتقل الشنقيطي لتحميل شيخ الإسلام مسؤولية ما سمّاه (**حُمَّىٰ التاريخ التي تسمِّم العلاقات السنية الشيعية إلىٰ اليوم**) . ونَسَي الشنقيطي أن أمة الإسلام عاشت قرونًا مع الأقليات الشيعة في أمن وسلام حتىٰ ظهرت النبعة الآثمة، نبعة الخمينية التي جلبت الحُمَّىٰ القاتلة وسمّمت الوجود الإسلامي برمته.

◉ **يقول الشنقيطي في ص ٢٥٣ ما نَصّه :**

(والحق أن أي باحث لن يستطيع أن يفهم حُمَّىٰ التاريخ التي تسمِّم العلاقات السُنّية الشيعية اليوم إلا إذا أخذ في الاعتبار جهد ابن تيمية وتراثه وأثره علىٰ الثقافة الإسلامية المعاصرة ... بما أثاره من جدل ضد الشيعة في تفسير أحداث صدر الإسلام، وبعض الحقب الأخرىٰ المثيرة للخلاف بين السُّنَّة والشيعة، كما ورَّث مقته الشديد للشيعة للعديدين من حملة الثقافة السنية اللاحقين).

وإذا تأمَّلنا هذه العبارة نجد ما يلي :

أولا : لا يمكن أن تصدر هذه العبارة من كاتب يؤمن بعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنها لم تتضمن أي نقد للشيعة، وصَبَّت النقد والتجريح علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، وكل من أخذ بالحق في تفسير حوادث صدر الإسلام من أهل السُّنَّة. وهذه قرينة تشير إلىٰ انتماء صاحب هذه العبارة للشيعة.

ثانيًا : ابن تيمية لم يكن رائدًا في تفسير حوادث صدر الإسلام، فقد سبقه في هذا الميدان علماء أجلاء يصعب حصرهم، تصدُّوا للكذابين من الشيعة وبقية الفرق الضالة، الذين وضعوا الأحاديث والروايات الكاذبة التي تخدم طوائفهم وتُبَرِّر معتقداتهم وأعمالهم الباطلة، فقام أولئك العلماء بدراسة أسانيد كل الأحاديث والروايات والأقوال وبيَّنوا الصحيح من الموضوع، فاستخدم شيخ الإسلام ابن تيمية، القرآن الكريم بالدرجة الأولىٰ، ثم الصحيح من الأقوال والروايات لتأكيد الحق ودحض الباطل.

ثالثًا: ابن تيمية لم يمقت الشيعة إلا بسبب الباطل الذي انغمسوا فيه، والكراهية المقيتة التي يكنونها لأصحاب رسول الله ﷺ ولزوجاته رضي الله عنهم جميعـًا، إضافة إلىٰ اطلاعه علىٰ معتقدات الشيعة في المسلمين جميعـًا من واقع كتبهم – كما سنرىٰ لاحقـًا –.

وكتب الأئمة السابقين مثل أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين، وأبو إسحاق الفزاري وغيرهم حَوَت الكثير من أقوال أولئك العلماء في نقد الشيعة ومقتهم بسبب الباطل الذي اعتقدوه، وطريق الضلال الذي سلكوه.

◉ **وبعد أن عرض الشنقيطي باختصار نشأة شيخ الإسلام إبان الغزو المغولي يقول في ص ٢٥٣ ما نَصّه :**

(وجعلت منه نشأته في هذا السياق الدامي المفعم بالصراع، وخلفيته الحنبلية التي لا تعرف الحلول الوسطىٰ والفكر التركيبي، أحد أعظم المدافعين عن التسنُّن شراسة واندفاعـًا، ضدّ الطوائف غير المسلمة أو الطوائف المسلمة غير السُنِّية).

وهذه عبارة مغرضة شائنة فيها من الغمز واللمز في شيخ الإسلام، والحنابلة من جانب الشنقيطي ما فيها :

فأولا: الشنقيطي جعل من نشأة شيخ الإسلام خلال ظروف الغزو المغولي الدامي هي المؤثر في شخصيته، وتَجَاهل أن أسرته ـ خصوصا والده ووالدته ـ أُسرة علم وتقوىٰ، فوالده من علماء الحديث، ووالدته تقية نقية، ربَّته تربية إيمانية فريدة، كما جاء في رسالتها المشهورة إليه.

ثانيـًا : الحنابلة، وهم أتباع الإمام أحمد بن حنبل هم أهل الحديث والأثر علىٰ منهاج رسول الله ﷺ، لا يبتدعون في الدِّين ولا يقبلون البدعة من مبتدع، ويرفضون المبادئ المؤدية للتحريف في الدِّين التي سمّاها الشنقيطي الحلول الوسطىٰ والفكر التركيبي مثل : مبدأ نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضـًا فيما اختلفنا فيه، ومحاولة الشنقيطي الغمز في الحنابلة كمن يرفع وجهه ناحية الشمس وهي في كبد السماء فيبصق عليها فيعود بصاقه علىٰ وجهه!

ثالثـًا: وَصَف الشنقيطي لشيخ الإسلام بأنه أحد أعظم المدافعين عن التَّسَنُّن شراسة واندفاعـًا. هدفه من هذا الوصف الظالم تنفير قرائه من شيخ الإسلام، وإرضاء الطائفة الخمينية التي تكره شيخ الإسلام أشد الكُره؛ لأنه لم يُفنِّد أحد عقائدها بمثل ما فنَّدها به شيخ الإسلام، لا قبله ولا بعده.

ومن يقرأ رُدود شيخ الإسلام لا يجد فيها لا شراسة ولا اندفاعًا. فما من قول

يقوله إلا ومعه دليله من القرآن والسُّنَّة، ولكن أهل البدع يُنَفِّرون من أَدلة القرآن والسُّنَّة التي تنسف باطلهم، ولذلك لا غرابة أن يصف الشنقيطي شيخ الإسلام بالشراسة والاندفاع، (**ضد الطوائف غير المسلمة، أو ضد الطوائف المسلمة غير السُّنِّية**) .

وعبارة (**غير المسلمة**) هنا مفهومة للقارئ مثل رد شيخ الإسلام الفريد علىٰ الرسالة التي جاءته من قبرص، وهي لراهب نصراني قديم هو بولس الراهب أسقف صيدا، فردَّ عليها شيخ الإسلام بكتابه «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح».

أما عبارة الشنقيطي الأخيرة (**أو ضد الطوائف المسلمة غير السُّنِّية**) فهذه تحتاج وقفة :

فإذا كان الشنقيطي يعتبر الباطنية الإسماعيلية والنصيرية والدروز، وعُبَّاد القبور من غلاة الصوفية والفلاسفة القائلين بوحدة الوجود، والقائلين بأن النبوة يمكن أن تُنال بالاكتساب، طوائف مسلمة غير سُنِّية فهذا شأنه. ولكن المسلم الحق إذا عرض عقائد هذه الطوائف علىٰ القرآن والسُّنَّة يجدها طوائف مارقة خارجة عن دين الإسلام. ولا أخال الشنقيطي بهذه الأقوال إلا من أولئك الذين يسعون إلىٰ تحريف دين الإسلام أو ترويج أراء الخمينية بين المسلمين مثل الشحرور وعدنان إبراهيم، ومن علىٰ شاكلتهم.

ثم ينتقل الشنقيطي إلىٰ الحديث عن مشاركة شيخ الإسلام في غزوة كسروان التي كانت موجهة ضد شيعة لبنان وغيرهم من الطوائف غير السُّنِّية. وبدون أن يذكر كلمة واحدة عن سبب الغزوة لكي يُظهِر شيعته، في صورة الضحايا الذين تعرضوا لمذبحة غير مبررة. يقول الشنقيطي في ص ٢٥٤ ما نَصّه :

(وقد صحب ابن تيمية جيوش المماليك في حربها ضد المغول، كما شارك في غزوة كسروان ضد شيعة لبنان وغيرهم من الطوائف غير السُّنِّية ، وسوّغ تلك الغزوة في رسالة ضافية إلىٰ السلطان المملوكي، واعتبرها غزوة شرعية كما أمر الله ورسوله، بعد أن كُشفت أحوالهم،

وأُزيحت عللهم، وأُزيلت شُبههم، وبُذل لهم من العدل والانصاف ما لم يكونوا يطمعون به).

وهكذا قدَّم الشنقيطي غزوة كسروان مجردة من سببها ليؤكد المظلومية الزائفة التي يدَّعيها ملالي الشيعة دائماً، ولتبرير المذابح التي درجوا علىٰ اقترافها بحق أهل السُّنَّة منذ ظهور الخمينية حتىٰ اليوم.

لم تكن غزوة كسروان إلا نتيجة وعقاباً لشيعة لبنان علىٰ ما اقترفوه بحق الجنود المسلمين المنهزمين من معركة وادي الخزندار، ففي سنة ٦٩٩ هجرية غزا ملك مغول فارس محمود غازان بلاد الشام بجيش كبير تُقدره أغلب المصادر بمئة ألف وضمنه عدد كبير من الأرمن والكرج النصارىٰ، والتقىٰ الجيش الغازي في أواخر ربيع الأول سنة ٦٩٩ هجرية بجيش المسلمين بقيادة السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون الذي كان عدده نحو عشرين ألف في وادي الخزندار قرب حمص.

ولم يكن بوسع جيش المسلمين الصمود في وجه جيش يفوقه عددًا بعدة أضعاف، فحَلَّت الهزيمة بجيش المسلمين وفرَّ السلطان محمد بن قلاوون هارباً إلىٰ مصر وتفرق الجيش شذر مذر. وسيطر المغول علىٰ دمشق، ثم عاد غازان إلىٰ فارس ليعد جيشاً جديداً يحتل به مصر[١] .

ويذكر ابن كثير في حوادث سنة ٦٩٩ أن كثيرًا من الجنود الهاربين فرّوا عبر طريق بعلبك فنزل أهل «جبل كسروان» من جبالهم، واعترضوا طريقهم وقتلوهم وسَلَبُوا خيولهم واسلحتهم.

---

(١) انظر: تفاصيل المعركة في: تاريخ ابن كثير « البداية والنهاية» ، حوادث سنة ٦٩٩ هجرية ؛ و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفدا ج ٤ ص ٤٢ - ٤٣ ، و«السلوك» للمقريزي، ج١ قسم ٣ ص ٨٨٦ - ٩٠١ ؛ «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ج٨ ص ١١٧ - ١٢٨ ؛ و«تاريخ ابن الجزري» ج١ ص ٤٦٢ - ٤٦٣ ، ومصادر أخرىٰ كثيرة..

أما المقريزي في حوادث السُّنَّة نفسها فقد نصَّ علىٰ أنهم «الدرزية أهل جبل كسروان». ويبدو أنه حدث تعاون بين الشيعة والدروز في نهب وقتل الجنود الهاربين من معركة وادي الخزندار.

فالمعروف لكل متخصص في تاريخ بلاد الشام أن الدروز هم سكان «جبل كسروان» في لبنان، وأن شيعة لبنان يسكنون «جبل عامل» في لبنان لقريب من جبل كسروان. ذلك أنه من المعروف - في تاريخ الشام - أن الأقليات العرقية والدينية تتقوقع في الأماكن الجبلية الوعرة والمعزولة عن الطوائف الأُخرىٰ وعن بقية مناطق الشام المفتوحة[1] .

و«غزوة كسروان» أرَّخ لها ابن كثير مع ذكر أسبابها بشكل واضح، ولكنه لم يذكر الشيعة بالاسم، وكذلك لم يذكر الدروز بالاسم مثلما فعل المقريزي، لكن يتبين من سياق كلام ابن كثير - خصوصاً حديثه عن عقائدهم - أنهم الشيعة والدروز.

قال ابن كثير في أخبار حوادث سنة ٦٩٩ هجرية ما نَصّه :

(في عشرين شوال ركب نائب السلطنة جمال الدِّين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلىٰ جبال الجرد وكسروان. وخرج الشيخ تقي الدِّين بن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا، وحين اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم وقتلوا كثيرا منهم، فلما وصلوا إلىٰ بلادهم جاء رؤساؤهم إلىٰ الشيخ تقي الدِّين بن تيمية فاستتابهم،

(١) انظر: كتاب الدكتور احمد رمضان أحمد «المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية» ، طبعة القاهرة، ١٣٩٧هجرية/ ١٩٧٧م.

وبيّن للكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير علىٰ أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرّر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلىٰ بيت المال، وأُقطعت اراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند، ولا يلتزمون أحكام الملة ولا يدينون دين الحق، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله).

ثم يستدل الشنقيطي علىٰ أثر «معركة كسروان» بمؤرِّخ أشد تزويرًا وكذبـًا منه، وهو مؤرِّخ قناة المنار .د. جعفر المهاجر. وهو شيعي لبناني من أنصار الخمينية وينتمي إلىٰ حزب حسن نصر الله، وله كتب عديدة يحاول فيها إيجاد شرعية تاريخية للشيعة.

وهو يكتب بدون توثيق من المصادر التاريخية، وكُتُبه أشبه بتلك القصص القديمة التي قرأناها أيام الصبا مثل: ألف ليلة وليلة، والأميرة ذات الهمة، والزير سالم ، وسيف بن ذي يزن، وعنترة بن شداد، وتغريبة بني هلال، وغيرها، مع إبراز للمظلومية التي يدعيها الشيعة بصورة بكائية.

◉ يقول الشنقيطي في ص ٣٥٤ ما نَصّه:

(ولا يزال الشيعة يتحدثون عن مذبحة كسروان ودور ابن تيمية فيها، بذاكرة طرية موتورة، وهي سِمة من سمات الثقافة الشيعية بشكل عام. فهذا جعفر المهاجر يكتب: « إن جُرح كسروان، خصوصـًا إن نحن أخذنا بالاعتبار تداعياته المتوالية ما يزال فاغراً ناغِرًا ينضح بالدم القاني حتىٰ اليوم»).

بعد أن انتهيت مما كتبته آنفـًا فتحت الجزء الثامن والعشرين من فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية لأتحقق من صِحَّة ما اقتبسه الشنقيطي من رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلىٰ السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون عن «غزوة كسروان» فوجدت

أن الرسالة طويلة، وتقع في ست صفحات، وتحوي أمرين خطيرين وجديدين :

الأول: أنها تُلقي أضواء جديدة علىٰ غزوة كسروان وأسبابها بصورة مفصلة، وغير موجودة عند ابن كثير والمقريزي وغيرهما من المؤرخين لأن شيخ الإسلام رواها كشاهد عيان وشارك في الغزوة بنفسه.

الثاني: أن الشنقيطي يقتبس من كلام ابن تيمية عبارات قصيرة منزوعة من سياقها المُفصل بهدف الغمز واللمز في شيخ الإسلام وتشويه صورته!

ومما كشفه شيخ الإسلام في رسالته علاقة الشيعة في «جزين» و«جبل عامل» بمملكة قبرص الصليبية.

وقد ظهرت مملكة قبرص الصليبية إلىٰ الوجود زمن الحملة الصليبية الثالثة التي جاءت ضد صلاح الدِّين بعد معركة حطين واسترداد بيت المقدس حيث انتزع ريتشارد قلب الأسد – حين وصل بأسطوله إلىٰ شرق البحر المتوسط – قبرص من الروم (البيزنطيين) وسبب ذلك أنه كان في قبرص حينذاك حاكم بيزنطي تمرد علىٰ القسطنطينية وهو إسحاق دوكاس كومونينوس وأعلن نفسه امبراطوراً علىٰ الجزيرة، وحدث أن جنحت ثلاث سفن من أسطول قلب الأسد نحو قبرص وتحطمت إحداها في ميناء ليمارسول وفيها أخت ريتشارد قلب الأسد جوانا وخطيبته برنجاريا — ابنة ملك نافار — فقبض كومونينوس عليهما بالقوة وأهانهما. وعندما علم قلب الأسد بذلك اتجه إلىٰ قبرص واحتلها وقضىٰ علىٰ ذلك المتمرد، ووجد في الجزيرة أموالاً طائلة كدّسها دوكاس خلال تمرُّده الذي دام خمس سنوات وفرض فيها ضرائب كبيرة علىٰ التجار الغربيين مثل البنادقة وغيرهم. فأخذ قلب الأسد كل تلك الأموال، وكان لها أكبر الأثر في استمرار الحملة الصليبية الثالثة مدة طويلة[١].

---

(١) انظر: محاضراتي بعنوان «محاضرات المسلمون والغزو الصليبي في العصور الوسطىٰ» ص١٢٠-١٢٢. وهي موجودة بملف إلكتروني في موقعي علىٰ النت.

ثم باع قلب الأسد قبرص من الملك الصليبي - المهزوم في حطين - جاي لوزجنان بمئة ألف دينار، وأقام فيها جاي لوزجنان مملكة صليبية ظلت قائمة لأكثر من ثلاثة قرون، وكانت متحدة مع مملكة عكا الصليبية قبل طرد الصليبيين منها. وبعد طرد الصليبيين من الشام في سنة ٦٩٠ هجرية ظلت مملكة قبرص الصليبية تقوم بدورها الصليبي العدواني علىٰ المسلمين فتشن الغزوات والحملات، وغارات القراصنة من قبرص علىٰ سواحل مصر والشام وآسيا الصغرىٰ.

ويُفهم مما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان هناك تحالُف وتنسيق وتواصل بين شيعة «جزين» و«جبل عامل» في لبنان وبين الصليبيين في قبرص ضد المسلمين في الشام.

فقد ذكر شيخ الإسلام أن أولئك الشيعة - الذين نهبوا وقتلوا وأَسَرُوا الجنود الهاربين من معركة الخزندار - أرسلوا إلىٰ الصليبيين في قبرص فجاء الصليبيون ونزلوا علىٰ الساحل المجاور لبلاد الشيعة فاستقبلهم الشيعة حاملين الأعلام الصليبية. وأقام الجانبان سوقاً علىٰ الساحل دام عشرين يوماً. وباع الشيعة للصليبيين من الخيول والسلاح والأسرىٰ الذين أخذوهم من المسلمين عقب الهزيمة في موقعة الخزندار «مالا يحصي عدده إلا الله» كما قال شيخ الإسلام. وارتحل الصليبيون عائدين بكل تلك المنهوبات إلىٰ قبرص[(١)] .

ومن هنا يتضح لكل صاحب فكر حصيف مدىٰ ضخامة التزوير والتزييف الذي ارتكبه الشنقيطي حين عرض غزوة كسروان - التي شارك فيها ابن تيمية - لمعاقبة هؤلاء الخونة -المتحالفين مع الصليبيين - في صورة مذبحة مروعة غير مبررة شارك فيها ابن تيمية ضد شيعة لبنان المُسَالِمين!

ومن تفاصيل «غزوة كسروان» و«جبل عامل» التي كشفها شيخ الإسلام: أن

(١) انظر: رسالة شيخ الإسلام في الفتاوىٰ ج ٢٨ ص ٢٢١.

هؤلاء الشيعة لهم شيوخ وأئمة وعلىٰ رأسهم أسرة يُدعون بني العود «وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره». وقد اعترف أولئك الشيوخ الشيعة لشيخ الإسلام أنهم يُعلِّمون أتباعهم ما في تلك الكتب من أُمُور وعلىٰ رأسها تكفير المسلمين جميعـًا. وبناء علىٰ ما في تلك الكتب واعترافات مشايخهم لشيخ الإسلام عرض أبرز ما فيها من تكفير وعقائد باطلة فقال :

(أهل البدع المارقون وذوو الضلال المنافقون الخارجون عن السُّنَّة والجماعة، المُفَارقون للشرعة والطاعة مثل هؤلاء الذين غُزوا بأمر السلطان من أهل الجبل والجرد والكسروان ذلك أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين فإن اعتقادهم أن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وأهل بدر، وبيعة الرضوان، وجمهور المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين وعلماءهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومشايخ الإسلام وعُبّادهم، وملوك المسلمين وأجنادهم، وعوام المسلمين وأفرادهم، كل هؤلاء عندهم كفار مرتدون، أكفر من اليهود والنصارىٰ، لأنهم مرتدون عندهم، والمرتد أشر من الكافر الأصلي، ولهذا السبب يقدمون الفرنج والتتار علىٰ أهل القرآن والإيمان)[١] .

وقال عنهم أيضـًا – وطبقا لما في كتبهم :

(وفرحوا بمجيء التتار، هم وسائر هذا المذهب الملعون، مثل أهل جزين وما حواليها، و«جبل عامل» ونواحيه؛ لأن عندهم، أن كل من لم يوافقهم علىٰ ضلالهم فهو كافر مرتد، ومن استحل الفقاع – شراب الشعير – فهو كافر، ومن مسح علىٰ الخفين فهو كافر، ومن حرّم المتعة فهو كافر، ومن أحب أبا بكر أو عمر أو عثمان أو ترضَّىٰ عنهم، أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر، ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر. وهذا المنتظر صبي عمره سنتان أو ثلاث أو خمس، يزعمون أنه دخل

---

(١) انظر: الفتاوىٰ ج ٢٨ ص ٢٢١.

السرداب بسامراء من أكثر من أربعمائة سنة، وهو يعلم كل شيء وهو حجة الله علىٰ أهل الأرض، فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر. وهو شيء لا حقيقة له، ولم يكن في الوجود قط. وعندهم من قال: إن الله يُرىٰ في الآخرة فهو كافر، ومن قال إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر، ومن قال: إن الله فوق السموات فهو كافر، ومن آمن بالقضاء والقدر، وقال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وأن الله يقلب قلوب عباده وأنه خالق كل شيء فهو عندهم كافر، وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلىٰ لسان رسوله فهو عندهم كافر. هذا هو المذهب الذي تُلقِّنه لهم أئمتهم، مثل بني العود، فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل، وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين، ويفتونهم بهذه الأمور، وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم، تصنيف ابن العود وغيره، وفيها هذا وأعظم منه، وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم. لكنهم مع ذلك يُظهرون التقية والنفاق. ويتقربون ببذل الأموال إلىٰ من يقبلها منهم، وهكذا كانت عادة هؤلاء الجبلية، فإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يُظهرونه من النفاق، ويبذلونه من البرطيل - الرشوة - لمن يقصدهم. والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة، ذكر أهل الخبرة أنهم لم يروا مثله، ولهذا كثر فسادهم، وأخذوا من الأموال ما لا يعلمه إلا الله. ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها في أمر لا يُضبط شره، تنزل عليهم منهم طائفة، ويفعلون من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد. كانوا في قطع الطرقات وإخافة سكان البيوتات علىٰ أقبح سيرة عُرفت من أهل الجنايات. يرِد إليهم النصارىٰ (أي صليبيو قبرص) فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين. ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين فإما أن يقتلوه أو يسلبوه، وقليل منهم من يفلت بالحيلة.)[١] .

وقد أوردت آنفًا الجزء الرئيس من رواية شيخ الإسلام عن غزوة «جبل

---

(١) انظر: الفتاوىٰ ج ٢٨ ص ٢٢١ - ٢٢٢.

كسروان» و«الجرد» و«جبل عامل» بهدف :

١ – أن يتحقق قارئ نقدي هذا بنفسه من تدليس الشنقيطي وتزويره حيث انتزع بعض العبارات لشيخ الإسلام منزوعة من مقدماتها وخلفياتها، وعلَّق عليها غامزاً لامزاً ؛ لتشويه أحد أعظم علماء الإسلام.

٢ – أن يعلم اللبنانيون اليوم – الذين يُعانون من السيد حسن وحزبه – أن أجدادهم عانوا الأمرين من أجداد هؤلاء. فما أشبه الليلة بالبارحة.

والآن ننظر ماذا قال الشنقيطي عما أسماه التحول المنهجي الذي أحدثه ابن تيمية في تفسير الحوادث التاريخية.

◉ **قال الشنقيطي في ص ٢٥٤ – ٢٥٥ ما نَصّه:**

(لكن ما يهم موضوعنا بالأساس هو التحول المنهجي الذي أدخله بن تيمية علىٰ الجدل السُّنِّي الشيعي حول التاريخ. وقد اتسم منهج ابن تيمية في تفسير الأحداث التاريخية بعدة أمور: أولها: التعميم السلبي في حكمه علىٰ طوائف الشيعة، وتكفير الفاطميين بشكل عام، إذ يقول مثلا: «إن القاهرة بقي ولاة أمورها نحو مائتي سنة علىٰ غير شريعة الإسلام». ويصف الفاطميين بأنهم «كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين وكان نسبهم باطلا كدينهم» ولأجل ما كانوا عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتي سنة قد أنطفأ فيها نور الإسلام والإيمان."...... وقد أشاد ابن تيمية بصلاح الدِّين لانتزاعه مصر من أيدي الفاطميين، فكتب مستطردًا: «وجرت فصول كثيرة: أُخِذت مصر من بني عبيد(الفاطميين) أَخَذَها صلاح الدِّين وخطب بها لبني العباس، فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام».

ويمكن دحض هذا العرض والاستنتاج الخاطئ للشنقيطي في ضوء الحقائق والمعطيات التالية:

أولا: لم يكن هناك أبدًا جدل سُنِّي شيعي حول تاريخ صلاح الدِّين - وهو موضوع الشنقيطي في هذا الفصل - قبل ابن تيمية حتىٰ يُدخِل عليه شيخ الإسلام تحولاً منهجيـًا.

فلم نر في هذا الفصل مؤرِّخا شيعيًّا جادل في صلاح الدِّين أو طعن فيه قبل شيخ الإسلام. فقد قدَّم الشنقيطي في فصله هذا مؤرِّخـًا شيعيـًا واحداً هو يحيىٰ ابن أبي طي كما في ص ٢٤٦ - ٢٤٨، وكان كما قال الشنقيطي في ص ٢٤٦ معاصراً «ومعجبـًا بصلاح الدِّين إعجابـًا عميقـًا» فلم يطعن أو يُجادل فيه البتة.

فأين الجَدَل السُّنِّي الشيعي السابق لابن تيمية حتىٰ يُدخل فيه شيخ الإسلام تحولاً منهجيـًا؟ ما أكثر التناقض في هذا الكتاب الذي وقع فيه الشنقيطي!!

ثانيـًا : إتهام الشنقيطي لابن تيمية بالتعميم السلبي في حكمه علىٰ طوائف الشيعة، وتكفير الفاطميين بشكل عام ... يدل علىٰ جهل الشنقيطي بمؤلَّفات ابن تيمية وحقائق التاريخ وتناقضه في كتابه هذا تناقضـًا فاضحـًا.

فابن تيمية ليس العالم الأول الذي كفَّر الفاطميين. فقبل صفحات قليلة من هذه الصفحة وفي ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ذكر الشنقيطي عن المؤرخ الشيعي ابن ابي طي أنه:

> **(لم يعبِّر عن أي تعاطف مع الفاطميين، بل لم يشأ أن يدعوهم شيعة أصلاً، وإنما كان يدعوهم الإسماعيلية، والمصريين، وكأنما أراد أن يظهر الفارق بين تشيُّعه الإمامي وتشيعهم الإسماعيلي. وكثيرًا ما اقتبس ابن أبي طي - بصيغة الإقرار والتبنِّي - آراء لعلماء وأدباء من أهل السُّنَّة يهاجمون فيها الفاطميين ويرمونهم بالبدعة والرفض والشرك).**

فهذا النص يكشف كذب الشنقيطي، وأن ابن تيمية لم يكن أوّل من كفَّر الفاطميين، بل هناك علماء قبله قالوا بهذا وتَبنَّىٰ المؤرِّخ الشيعي الإمامي ابن أبي طي آراءهم وأقرَّ بصحة تكفيرهم للفاطميين؛ لأنهم أصحاب بدعة وشرك، كما نص علىٰ ذلك الشنقيطي في كتابه.

والمعروف أن ابن أبي طي عاصر صلاح الدِّين ومات قبل ولادة والد بن تيمية، فأين التعميم السلبي عند ابن تيمية الذي زعمه الشنقيطي وقدَّمه وكأنه أول من كفَّر الفاطميين الإسماعيلية؟

وبعد أن سحقنا هذه الدعوىٰ للشنقيطي من كتابه، نضيف أن شيخ الإسلام لم يكن بدعًا في تكفير الفاطميين، وإنما كان مُتَّبِعـًا لإجماع علماء أمة الإسلام قبله علىٰ تكفيرهم بناءً علىٰ عقائدهم في ضوء القرآن والسُّنَّة.

ومن أشهر علماء الإسلام الذين كفّروهم : الإمام الغزالي الذي عاصر الدولة الفاطمية الإسماعيلية الباطنية، وقال في كتابه «فضائل المستظهرية وفضائح الباطنية»: «مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض».

وكذلك كفّرهم ابن حزم – المعاصر لهم – في كتابه الفصل في الملل والنحل.

ومن أبرز العلماء الذين كفّروهم : الباقلاني، والإمام الشاطبي، والبغدادي في كتابه «الفرق بين الفِرق»، وأبو يعلىٰ في كتابه المعتمد، والمحبي في كتابه «خلاصة الأثر»، والكوفي، والعراقي، والديلمي.

فعلماء أُمَّة الإسلام أجمعوا علىٰ تكفير الفاطميين قبل ابن تيمية[1] .

---

(١) انظرالتفاصيل في: موقع «الدرر السنية» : موسوعة الفِرق، الباب الثالث عشر وعنوانه: الباطنية وفرقها، الفصل الثالث بعنوان «طائفة الإسماعيلية» ، وفيه بحث مفصل عن عقائدها وحكم كبار علماء الإسلام بتكفيرها.علىٰ الرابط : https://dorar.net/firq/3027

ثالثاً : أما إتهام الشنقيطي لابن تيمية بالتعميم في أحكامه فهي تهمة مثيرة للسخرية. فالعارفون بكتب شيخ الإسلام يعلمون أنه ما من مسألة يدرسها شيخ الإسلام إلا ويشبعها بحثاً وتحريراً بصورة فريدة لا مزيد عليها. ولنضرب هنا مثالا ينسف دعوىٰ الشنقيطي من أساسها: فقد صنف العالِم الشيعي الإمامي الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي - المعاصر لشيخ الإسلام ابن تيمية - رسالة في أقل من مئة صفحة بعنوان (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة). فرد عليه شيخ الإسلام بموسوعة لا مثيل لها في التاريخ هي (منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية). وهذه الموسوعة مطبوعة في تسعة مجلدات.

وقد دحض شيخ الإسلام ابن تيمية في موسوعته أسس دين الشيعة بصورة أعجزت كل علماء الشيعة عن الرد العلمي عليها منذ زمن الحلّي وحتىٰ عهد الخميني والخامنئي. وهذه الموسوعة هي التي أثارت حقد الشيعة وكراهيتهم لشيخ الإسلام ابن تيمية. فحين عجزوا عن الرد العلمي المقنع لجأوا إلىٰ السب والغمز واللمز والافتراء علىٰ شيخ الإسلام مثلما فعل الشنقيطي في هذا الفصل.

◉ **وفي ص ٢٥٥ يُقدِّم الشنقيطي الأمر الثاني، الذي زعم أنه من السمات التي اتصف بها منهج ابن تيمية في تفسيره للحوادث التاريخية فيقول ما نَصّه :**

> **(ثانيها : إتهام كل طوائف الشيعة بالتعاون مع أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ. فهو يكتب : «وقد عرف العارفون بالإسلام أن الرافضة تميل مع أعداء الدين». وأنهم «يقدِّمون الفرنج والتتار علىٰ أهل القرآن والإيمان... وفرحوا بمجيء التتار هم وسائر هذا المذهب الملعون، مثل أهل جزين وما حواليها، وجبل عامل ونواحيه... كل هذا وأعظم منه عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج جنكسخان - جنكيزخان - إلىٰ بلاد الإسلام وفي استيلاء**

هولاكو علىٰ بغداد، وفي قدومه إلىٰ حلب، وفي نهب الصالحية، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله»).

ويمكن أن تلاحظوا في هذه الفقرة - بالمقارنة مع أوردته من رسالة شيخ الإسلام آنفاً - العبارات التي اقتبسها الشنقيطي من ابن تيمية منزوعة من سياقها ومقدماتها.

⦿ الخيانات والتعاون بين الشيعة وأعداء الإسلام حقيقة تاريخية:

وكيفما كان الأمر، فالتعاون بين الشيعة وأعداء الإسلام من صليبيين ومغول حقيقة تاريخية لا تقبل الجدل، وأعرف حقائق في هذا الباب تُغطي مجلدة كاملة ولا مجال لسردها هنا لأنها ستخرجنا عن هذا النقد الذي نحن بصدده، لكن دعونا ندحض هذا الإنكار من كتاب الشنقيطي نفسه :

١ - ففي ص ١٤١ ذكر الشنقيطي أن بين الأدلاء الذين قادوا جيش الحملة إلىٰ القدس أفراد من أسرة ابن عمار الشيعية.

٢ - في ص ١٤٤ - ١٤٥ قدَّم الشنقيطي قصة الخيانة الكبرىٰ التي اقترفها أمير طرابلس الشيعي ابن عمار حين مرَّ بطرابلس «بولدوين» البولوني وهو في طريقه إلىٰ القدس ليتسلم عرشها بعد وفاة أخيه «جودفري» فاستضافه ابن عمار وأكرمه كرماً جماً. وعلم ابن عمار أثناء ضيافته لـ «بولدوين» أن سلاجقة دمشق نصبوا كميناً محكماً لـ «بولدوين» وقواته في ممر ضيِّق بين الجبال والساحل في جنوب لبنان، فأخبر ابن عمار ضيفه بلدوين وحذّره من هذا الكمين، فتجنب «بولدوين» المرور بذلك المضيق.

والحق أنني أعتبر هذه الخيانة أخطر خيانة شيعية للمسلمين في التاريخ؛ لأنها أنقذت المشروع الصليبي في بدايته وأمدّت في عمره زهاء مئتي سنة. لأنه لم يبق في تلك اللحظة من القادة الصليبيين الكبار في الشام إلا بلدوين نفسه. فـ «ريموند

الصنجيلي» حينذاك لم يبق بيده إلا حاشيته الخاصة فسافر إلىٰ القسطنطينية يلتمس المساعدة من الإمبراطور البيزنطي «اليكسيوس كومنين».

أما «بوهمند ألنورماني» أمير أنطاكية، والذي كان يعتبره الصليبيون بطل الحملة الصليبية الأولىٰ، لأنه قاد المعركة (معركة دوريليوم) ضد السلاجقة في آسيا الصغرىٰ وهزمهم، ثم احتل أنطاكية. فكان يومذاك يقبع أسيراً في قلعة نقصار علىٰ ساحل البحر الأسود مع ابن عمه «ريتشارد دوق سالرنو»، حيث نصب له البطل «كمشتكين بن دانشمند» كميناً ودمّر قواته علىٰ أحد الفروع العليا لنهر الفرات وأخذه أسيرًا مع من نجا من القتل من فرسانه؛ لأنه جاء لمساعدة الأرمن في ملطية التي كان يحاصرها «كمشتكين».

٣ - في ص ١٧٩ - ١٨١ قدّم الشنقيطي عرضاً مفصلاً لخيانة الشيعي الإمامي«دبيس بن صدقة»، صاحب «الحِلَّة» في العراق، الذي جاء ومعه آلاف من أتباعه الشيعة الإمامية فتحالف مع الصليبيين واتفق معهم علىٰ احتلال حلب ليكون نائبًا لهم بها.

٤ - في ص ١٨٢ - ١٨٥ قدَّم الشنقيطي قصة شيعة «جبل عامل» (الذين زعم أنهم تعرضوا لمذبحة غير مبررة شارك فيها ابن تيمية) الذين جاءوا مع الصليبيين سنة ٥٥٢ هجرية لاحتلال بانياس علىٰ هضبة الجولان.

٥ - ذكر الشنقيطي في ص ١٩٠ - ١٩٤ من كتابه قصة الوفد الفاطمي الذي جاء إلىٰ الصليبيين، وهم يحاصرون أنطاكية بقصد التحالف والتعاون معهم.

٦ - ذكر الشنقيطي في ص ٢٠٩ قصة مؤتمن الخلافة الفاطمية «جوهر» الذي كَاتَب الصليبيين بهدف التحالف معهم واستدعائهم إلىٰ مصر ضد صلاح الدين.

٧ - ذكر الشنقيطي ص ٢٠٩ - المؤامرة الثانية التي قام بها أنصار الفاطميين

بقيادة الشاعر عمارة اليمني بهدف إحياء الدولة الفاطمية والقضاء علىٰ صلاح الدِّين واستنجادهم - لتحقيق مؤامرتهم - بالصليبيين في الشام، والنورمان في صقلية.

فهل كان إتهام شيخ الإسلام للشيعة بالتعاون مع أعداء الأمة الإسلامية اتهاما كاذبـًا - كما يريد الشنقيطي - وما كتبه الشنقيطي هنا في كتابه يؤيد ما قاله ابن تيمية؟

أمّا التهمه الثالثة: التي رمىٰ بها الشنقيطي ابن تيمية، زاعمـًا أنها من سمات منهجه في تفسيره للحوادث التاريخية فهي قوله ص ٢٥٥ ما نَصّه:

(لغة خطابية ملتهبة ضد الخصوم عمومـًا، والشيعة خصوصـًا).

وهذه تهمة بالغة السخافة. فالذين يعرفون كتب شيخ الإسلام مثل «منهاج السُّنَّة النبوية» يعرفون أن شيخ الإسلام من أكثر العلماء وأبرعهم استدلالاً بالقرآن الكريم، فلُغَتُه شديدة التأثر بالقرآن. فما من حجَّة يسوقها ولا قول يقوله إلا ودليله معه من القرآن والسُّنَّة.

⊙ مفتريات وبـذاءات شيعية أخـرىٰ علىٰ صلاح الدِّين ينقلها الشنقيطي :

◉ وبعد أن انتهىٰ الشنقيطي مما قاله بحق شيخ الإسلام ابن تيمية، شرع يُمهّد لعرض مفتريات وبـذاءات ثلاثة من الكُتّاب الشيعة اللبنانيين والشيعي المصري المُتقلب صالح الورداني بحق صلاح الدِّين فقال في ص ٢٥٦ ما نَصّه :

(وقد انبعث تراث ابن تيمية الاعتقادي والفكري في مطلع العصر الحديث علىٰ يديّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب «١١١٥ - ١٢٠٦ هجرية/ ١٧٠٣ - ١٧٩٢ »، الذي هو الأب الفكري للسلفية الأثرية المعاصرة، المعروفة عند خصومها باسم الوهابية. ومع طغيان السلفية

علىٰ الذاكرة السُنّية في العقود الأخيرة بدأ إظهار جوانب من شخصية صلاح الدين، وإضمار أخرىٰ بشكل لافت للنظر...لكن هذا الانبعاث السلفي الذي بدأ منذ قرنين يواجه اليوم انبعاثـًا شيعيـًا منافسـًا في عدد من الدول الإسلامية. وكان من نتائج ذلك أن صورة صلاح الدِّين وقعت في تقاطع النيران بين السلفية السُنّية والسلفية الشيعية اللتين تمزقان قلب العالم الإسلامي اليوم).

وهنا يُضخم الشنقيطي من أَمْر الكتابات الشيعية القليلة والكاذبة عن صلاح الدِّين وكأنها أصبحت مضاهية للكتابات السُّنِّية الكثيرة والصادقة عنه خصوصـًا في مصر التي ظهر منها الرواد الاوائل في دراسة الحروب الصليبية وبطلها صلاح الدِّين مثل: محمد مصطفىٰ زيادة، وسعيد عاشور، والسيد الباز العريني، وحسن حبشي، ونظير حسان سعداوي، وابراهيم طرخان، وعبدالرحمن زكي، وعمر كمال توفيق، وتلاميذهم البارزين مثل : حامد غنيم، ومحمود سعيد عمران، وقاسم عبده قاسم، والأجيال التي أعقبتهم، الذين لا يعرف الشنقيطي نتاجهم عن الحروب الصليبية وما كتبوه عن صلاح الدِّين ولم يطلع عليه. وقد عرفنا وقرأنا كتب هؤلاء المؤرِّخين المحترفين فوجدناهم قد اعتمدوا علىٰ المصادر الأصلية – التي أغفل الشنقيطي معظمها – فلم نجد أنهم اظهروا جوانب من شخصية صلاح الدِّين وأضمروا أُخرىٰ، وهذا ينسف هذا القول للشنقيطي من أساسه ويثبت أنه يُطلق الاستنتاجات علىٰ عواهنها بدون استقصاء وتثبُت.

وللدكتور محمد مؤنس عوض كتابين عن المؤرخين المصريين والعرب الذين كتبوا عن صلاح الدِّين والحروب الصليبية هما:

١ـ «الحروب الصليبية في مؤلفات المؤرِّخين المصريين المحدثين» ، طبعة القاهرة ٢٠١٦م.

٢ـ « الحروب الصليبية في مؤلفات المؤرخين العرب المحدثين» ، طبعة القاهرة ٢٠١٦م.

وإذا قارنتم هذا الانتاج الضخم للمؤرخين المصريين والعرب المحدثين اتضحت لكم ضآلة وضحالة ما يعرضه الشنقيطي لبضعة كُتَّاب شيعة هاجموا صلاح الدِّين بالكذب والتزوير علىٰ غرار ما فعله الشنقيطي في كتابه هذا.

وحتىٰ نُسْقط بالكلية هذا التضخيم الفارغ للشنقيطي لهؤلاء الكُتاب الشيعة الكذابين نعرض لكم بعض مؤلفات الدكتور محمد مؤنس عوض عن صلاح الدِّين حيث صنَّف عدة كتب جمع فيها معظم ما كُتِب عن صلاح الدِّين وما قيل عنه، ومن تلك الكتب:

١ـ «صلاح الدِّين الأيوبي ؛ بيبلوغرافيا كرونولجية» جمع فيه الدكتور محمد مؤنس كل ما أمكنه جمعه من كتب وبحوث عن صلاح الدين.

٢ـ « ١٠٠ كتاب عن صلاح الدِّين الأيوبي، عرض ونقد»، ويقع الكتاب في ٢٦٣ صفحة.

٣ – «قالوا عن صلاح الدِّين، شهادات من الشرق والغرب» ، ويقع الكتاب في ٢٣١ صفحة.

٤ – «صلاح الدِّين بين التاريخ والأسطورة» .

٥ – « صلاح الدِّين فارس عصر الحروب الصليبية».

٦ – «رحلة إلىٰ صلاح الدين».

٧ – «صلاح الدِّين الأيوبي، فارس عابر للقرون» . وبحوث وكتب أخرىٰ كثيرة[١].

---

(١) يمكن الاطلاع عليها علىٰ الإنترنت بكتابة اسم الدكتور محمد مؤنس عوض.

والحق أنه لا توجد شخصية إسلامية، بعد النبي ﷺ، كُتِب عنها كم هائل من الكتب والبحوث على مستوى العالم كله مثل صلاح الدين.

فما قيمة ما يُزوِّره أقلية كاذبة من الكُتاب الشيعة عن صلاح الدِّين إزاء هذا الكم الهائل من الدراسات العلمية الموثقة.

أما ما زعمه الشنقيطي من وقوع صورة صلاح الدِّين في تقاطع النيران بين السلفية السُّنِّية والسَّلفية الشِّيعيَّة فهو هراء لا مكان له إلا مخيلة الشنقيطي المغرضة.

لكن الجديد في عبارة الشنقيطي الأخيرة هو وصفه للخمينية الجديدة بالسَّلفية الشيعية. فالسَّلفية في الإسلام تعني السَّير على منهاج النبي ﷺ وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم. وطوائف الشيعة لا تمت للسَّلفية بصلة، فكل ما قالوه واعتقدوه عبر القرون إنما هو تطوير مجوسي لمقالة اليهودي عبدالله بن سبأ. وقد بيَّن علماء وأئمة الإسلام منذ القِدَم وإلى اليوم الحكم عليها في ضوء القرآن والسُّنَّة الصحيحة. ويبدو أن الشنقيطي - في هذا القول الجديد - يريد تسويق الخمينية بتغليفها بغلاف «الشيعة السَّلفية» !!

وقد بدأ الشنقيطي في ص ٢٥٨ بعرض مفتريات من أطلق عليه: (الفقيه اللبناني محمد جواد مغنية، ت ١٣٩٩ هجرية/ ٢٩٧٩م) في كتابه «الشيعة والحاكمون» حيث خصص بضع صفحات من الكتاب لصلاح الدين، انتقده فيها انتقاداً مريراً، آخِذاً عليه عدة مآخذ منها. ثم يورد الشنقيطي تلك البذاءات المقيتة - التي سمَّاها مآخذ - في بضع صفحات. وقد قرأت مفتريات مغنية عن صلاح الدِّين فوجدت أن الشنقيطي عَرَض معظمها.

ففي أولاً: عرض الشنقيطي إتهام مغنية لصلاح الدِّين بعدم الوفاء للخليفة الفاطمي العاضد...

وفي ثانيا: ينقل الشنقيطي زعم «مغنية» الكذوب أن صلاح الدِّين عامل الخليفة الفاطمي العاضد وأسرته معاملة سيئة وأن سياسته معهم «كانت سياسة القمع والنذالة والخِسّة في أبشع صورها ».

والحق أن الشنقيطي في إيراده لمفتريات مغنية واضرابه من الكذابين يريد الإساءة إلىٰ صلاح الدِّين، ولكنه يتستر خلف عباراتهم الكاذبة البذيئة بوصفه مجرد ناقل، وسنراه بعد قليل يقتنع ببعض أكاذيب مغنية ويُسيء إلىٰ صلاح الدِّين بعبارة مشينة!

◉ **ولم يعلق الشنقيطي علىٰ عبارة هذا المتعصب الحقود سوىٰ بقوله:**

(لكن ما ذكره مغنية من سوء المعاملة محل خلاف بين المؤرخين).

ثم يُورد الشنقيطي ما ينقض تهمة مغنية من أساسها، فقد ذكر أن أبا شامة قابل ابن الخليفة الفاطمي العاضد سنة ٦٢٨هجرية في قلعة الجبل بمصر فاخبره (أن أباه العاضد في مرضه استدعىٰ صلاح الدِّين فحضر، قال: وأحضرنا - يعني أولاده وهم جماعة صغار - فأوصاه بنا فالتزم إكرامنا واحترامنا رحمه الله) .

فهذه الشهادة التي أوردها الشنقيطي لابن العاضد تنسف عبارة مغنية المقيتة برمتها.

فما هو الدافع الذي جعل الشنقيطي يوردها؟

والجواب: هو الإساءة إلىٰ صلاح الدِّين، فقد صمَّم فصله الأخير من كتابه كله لتحقيق هذا الهدف.

ويورد الشنقيطي في ص ٢٥٩ الفرية الثالثة التي افتراها مغنية علىٰ صلاح الدِّين وهو أنه كان «شديد التعصب، وأنه كان يحمل الناس علىٰ التسنن وعقيدة الأشعري، ومن خالف ضُربت عنقه».

وهذا هراء تنقضه مصادر تاريخ صلاح الدِّين التي أغفل الشنقيطي معظمها.

أما المأخذ الرابع: الذي أخذه مغنية علىٰ صلاح الدِّين فهو:

(تفريط صلاح الدِّين في المكتبة الفاطمية التي كانت من أعظم المكتبات وأثراها بالكتب في التاريخ الإسلامي...).

وقد اهتبل الشنقيطي كلام مغنية ليسيء إلىٰ صلاح الدِّين بعبارة جارحة فقال:

(وهذا مما يحق لمغنية وغيره أن ينتقد عليه صلاح الدين، فهو تفريط مشين لا يليق بقائد عظيم).

والحق أن مغنية والشنقيطي كاذبان في هذا الزعم، فالمكتبة الفاطمية الكبيرة نُهبت خلال الشِّدة المستنصرية التي وقعت قبل عهد صلاح الدِّين بأكثر من قرن من الزمان.

وقد بدأت تلك الشدة سنة ٤٥٧ هجرية، واستمرت سبع سنوات، وانهار الأمن في مصر خلالها، وحدثت مجاعة لم تشهد لها مصر مثيلا في تاريخها حتىٰ أكل الناس لحوم البشر والكلاب والقطط من شدة الجوع. ونَهب الجَوْعىٰ كل ما أمكنهم نهبه بما فيها المكتبة المشهورة.

وأخبار هذه الشدة مفصَّلة في تاريخ محمد بن هلال الصابي ونقلها عنه سبط بن الجوزي في كتابه مرآة الزمان.

وقد أشرنا إلىٰ هذا المصدر سابقًا. كما ذكرها المقريزي في كتابه «اتعاظ الحنفا...» وابن ميسر في كتابه «أخبار مصر». وغيرها من المصادر الكثيرة.

وقد أعدت باحثة في جامعة ليدز البريطانية اسمها فوزيا بورا دراسة أثبتت فيها أن

قصة تدمير صلاح الدِّين للمكتبة الفاطمية أو التفريط فيها أسطورة لا أساس لها[١].

وقد اوضحت الكاتبة أن صلاح الدِّين كلف القاضي الفاضل بجرد مابقي من كتب الفاطميين في القصر الفاطمي. فقام القاضي الفاضل بالمهمة وأخذ من الكتب ما أراد ووضعها في مكتبة المدرسة التي أنشأها في مصر، وكذلك حصل القاضي ابن شداد والاصفهاني علىٰ جزء من تلك الكتب ووضعوها في مكتبات المدارس التي أنشأوها.

ومن الأدلة الحاسمة علىٰ بقاء كتب الفاطميين. أن كتب عقائدهم وشرائعهم بقيت وعلىٰ رأسها «دعائم الإسلام» للقاضي النعمان الذي حوىٰ معتقدات الإسماعلية وطقوسها، وسيرة المؤيد في الدِّين داعي الدعاة وغيرها من كتب عقائدهم ودعوتهم. فلو أنه جرىٰ تدمير كتب الفاطميين لاختفت كتب عقائدهم ودعوتهم في المقام الأول.

◉ ومن عجب أن الشنقيطي في ص ٢٥٩ يصف مغنية بأنه من رواد التقارب بين السُّنَّة والشيعة، وأنه لم يغالِ في نقده لصلاح الدِّين إلىٰ حد إنكار مآثره العسكرية والسياسية التي خلدته في الذاكرة الإسلامية... وأن مغنية قال:

> **(ولا منافاة أبداً بين أن يكون صلاح الدِّين بطلاً عظيماً وبين أن يدين ويؤمن بالتعصب... فقد كان أعراب الجاهلية كعنترة وغيره أبطالاً يدافعون عن أعراضهم وأموالهم وينتصرون علىٰ أعدائهم وفي الوقت نفسه كانوا يتعصبون للباطل علىٰ الحق، وينجدون قومهم ويناصرونهم علىٰ الظلم والجور، ويحمونهم من العدل والإنصاف).**

---

(١) وهذا اسم كتابها، ويمكن قراءة هذا الكتاب في الإنترنت :

Fozia Bora: Did Salah al-Din Destroy the Fatimids' Books?

An Historiographical Enquiry.

فمن يقبل من المنصفين وصف الشنقيطي لهذا الكاتب الباغي بأنه من رواد التقارب السُّنِّي الشيعي؟.

وما في هذه الفقرة المُجْحِفة بحق صلاح الدِّين يبرهن لكل ذي عينين أن الشنقيطي أساء لصلاح الدِّين حين اعتبرها عدم مغالاة من جانب مغنية في نقده لصلاح الدِّين وعدم إنكار لمآثره السياسية والعسكرية التي خلدته في الذاكرة السنية!

ليس هذا فحسب، بل نجد الشنقيطي في ص ٢٦٠ يعيد تمجيد مغنية والإشادة بصفحاته القليلة التي كتبها عن صلاح الدِّين - قبل أن يعرض بذاءات أذناب الخمينية -

◉ **فيقول ما نَصّه:**

> **(لكن هذه النبرة التي تحاول أن تجمع بين نقد صلاح الدِّين والاعتراف بمآثره سرعان ما تغيب مع صاحبها محمد جواد مغنية، وفي العام «١٣٩٩ هجرية/ ١٩٧٩م » ذاته الذي اندلعت فيه الثورة الإيرانية. فقد بدأ تقديم صلاح الدِّين في الكتابات الشيعية بنبرة جدلية طائفية محضة مع الثورة الإيرانية والحرب العراقية الإيرانية...وما أثمره هذان الحدثان من ثمار ثقافية وأيدولوجية مريرة. فلم نعد نجد بين مؤرخي الشيعة اليوم مثيلا للمؤرخ الشيعي الحلبي يحيىٰ بن أبي طي...ولا حتىٰ مثل محمد جواد مغنية، الذي يهاجم صلاح الدِّين في جوانب من سياساته، ويعترف له بالفضل في أخرىٰ) .**

وإذا تأملنا هذه العبارة للشنقيطي ندرك مدىٰ الظلم والإجحاف والتزوير الذي اقترفه الشنقيطي بحق صلاح الدِّين، حين زعم زوراً أن مغنية اعترف لصلاح بالفضل في جوانب من سياسته الأخرىٰ.

فما عرضه الشنقيطي آنفـًا - وقرأته بنفسي في كتاب مغنية - هو الطعن المقيت

ولا شيء غيره في منجزات صلاح الدِّين العسكرية والسياسية.

فقد شبّه مغنية تلك المآثر الرائعة لصلاح الدِّين بانتصارات بعض فرسان العرب في الجاهلية الذين كانوا يتعصبون للباطل ضد الحق وينتصرون لجور وظلم قبائلهم وأقوامهم للآخرين ويقفون معهم ضد العدل والإنصاف!!

وكأنه ليس لصلاح الدِّين الأيوبي قضية عادلة وأنه قاتل وناضل من أجلها ضد الغرب الصليبي الغاشم الذي شن حرباً عالمية بكل المقاييس دامت قروناً ضد المسلمين بهدف تدمير عقيدتهم والاستيلاء علىٰ بلادهم ومحوهم من الوجود.

⦿ تطاول لبعض أذناب الخمينية علىٰ صلاح الدين ويصفهم الشنقيطي بالمؤرخين:

وبعد أن انتهىٰ الشنقيطي من الحديث عن مغنية شرع في التقديم لبعض أذناب الخمينية ويصفهم بالمؤرخين، وهم لا يمتون للبحث التاريخي في عصر الحروب الصليبية بصلة، فقال في ص ٢٦٠ ما نَصّه:

> **(بل نجد كل المؤرخين الشيعة تقريباً مطبقين علىٰ اليوم علىٰ احتقار صلاح الدِّين وتجريمه. وتتسم كتابات هؤلاء المؤرخين الشيعة عن الحقبة الصليبية بسمات جامعة، أهمها فيما يخص موضوع دراستنا هذه: الإعلاء من شأن الدولة الفاطمية وإبراز منجزاتها الحضارية ودفاعها عن حدود الإسلام، والتحامل الشديد علىٰ صلاح الدِّين الأيوبي، واتهامه بالهمجية، والأنانية السياسية، والتعصب المذهبي، وأحياناً التخاذل العسكري!!).**

وهنا لست أدري متىٰ دافعت الدولة الفاطمية عن حدود عالم الإسلام بعد أن فقد المسلمون في عهدها لصالح الغرب الصليبي ودولة الروم جنوب إيطاليا وجبال

الألب وجزائر صقلية ومالطة وكريت وقبرص وكل الثغور الشامية والجزرية والأرمنية وشمال الشام واكتملت منجزاتها بالتفريط في القدس وكل فلسطين وموانئ الشام ومدنه لحساب الحملة الصليبية الأولىٰ. وهذه حقائق تاريخية غير قابلة للنقض.

⦿ عرض الشنقيطي لبذاءات المتشيع صالح الورداني:

وفي ص ٢٦٠ : بدأ الشنقيطي في عرض مفتريات الشيعي المصري صالح الورداني. وهذه لمحة عن المتشيع صالح الورداني: فهو رجل مضطرب العقل، متقلب الفكر، بدأ حياته صحفيـاً، وتم اعتقاله في قضية الجهاد الكبرىٰ، وبعد الإفراج عنه التقي بشيعي عراقي وسافر معه إلىٰ العراق واعتنق التشيع. وقد اعتقلته السلطات المصرية سنة ١٩٨٨م ضمن ما يسمىٰ «التنظيم الشيعي الخميني».

وانتهىٰ به المطاف أخيرًا: أنه زعم أنه أعلن تركه التشيع، وأنه يدعو إلىٰ إسلام بلا مذاهب!! ثم بدأ ينشر كتبًا في الجنس!

وقد أصدر خلال تشيعه كتابـاً بعنوان «الشيعة في مصر من الإمام علي إلىٰ الإمام الخميني»، وخصَّ صلاح الدِّين بصفحات قليلة، كلها تزوير وشتائم وقلب للحقائق - المعروفة عن صلاح الدِّين - رأسـاً علىٰ عقب.

ولكي يعرف القارئ سَخَافة وخَطل الورداني، وتجرُّمه في كتابه هذا، نذكر أنه زعم في بداية كتابه أن التشيع كجماعة وكتيار كان موجوداً في حياة النبي ﷺ. وزعم أن التشيُّع هو الأصل في مصر وأن التَّسَنُّن وافِد.

ولن نعرض هنا بذاءاته وعكسه للحقائق التي عرضها الشنقيطي في نحو صفحة وربع، من آخر ص ٢٦٠ حتىٰ بداية ص ٢٦٢. وقد عرَضها الشنقيطي وعلّق عليها بطريقة تنم عن إقراره بها وتعاطفه معها. ولن تهتز صورة صلاح الدِّين الخالدة بما كتبه الشنقيطي وسواه من هؤلاء السُّقَّاط!!

⊙ عرض الشنقيطي لبذاءات اللبناني حسن الأمين:

وبعد ذلك يبدأ الشنقيطي في عرض كتاب اللبناني حسن الأمين الذي نشره سنة ١٤١٥ هجرية/ ١٩٩٥م وعنوانه «صلاح الدِّين بين العباسيين والفاطميين والصليبيين».

والملاحظ أن هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي وجده الشنقيطي لمؤلف شيعي عن صلاح الدين، فما سبق أن عرضه كما رأينا هو ما قاله : مغنية والورداني بحق صلاح الدِّين، في صفحات قليلة جدًّا ضمن كتابيهما عن تاريخ الشيعة.

وهكذا يذهب تضخيم الشنقيطي الفاضح للمؤرِّخين الشيعة أدراج الرياح. فأين الانبعاث الشيعي الذي زعمه الشنقيطي ص ٢٥٦ في الكتابة عن صلاح الدِّين في عدد من الدول الإسلامية والذي ينافس الكتابات السنية التي يصعب حصرها؟

وأين صورة صلاح الدِّين التي وقعت في مرمىٰ النيران بين السلفية السُّنِّية والسَّلفية الشيعية؟

وأين جموع المؤرِّخين الشيعة - حسب تضخيم الشنقيطي - حين قال في ص ٢٦٠ كل المؤرِّخين الشيعة تقريبا مطبقين اليوم علىٰ احتقار صلاح الدِّين وتجريمه؟.

فلم يستطع الشنقيطي أن يقدِّم إلا كتاباً واحداً فقط لشيعي لبناني، زعم أنه مؤرخ!! إنه الكذب والتزوير المُرادف لزعمه في كتابه أن الشيعة الإمامية توحدوا مع السُّنَّة وواجهوا معهم الصليبيين في صف واحد.

◉ وكيفما كان الأمر فقد شرع الشنقيطي في تقديم حسن الأمين وكتابه في ص ٢٦٢ فضخّم - كما هي عادته في تضخيم الشيعة - من أهمية الكتاب ومؤلِّفه، ومجّد أُسرته إلىٰ أقصىٰ حد فقال ما نَصّه:

(وهو أضخم هجوم فكري شيعي يستخدم التاريخ ذخيرةً لتجريد شخصية صلاح الدِّين من مكانتها وجاذبيتها، ويسعىٰ بشراسة لهدم ذكراه الباقية في الذاكرة الإسلامية. وسرعان ما أصبح الكتاب هو المرجعية السردية المعتمدة لدىٰ الشيعة في عصرنا، في الحديث عن صلاح الدِّين وعن الفاطميين، وأعان علىٰ توسيع تأثير الكتاب انتماء مؤلفه لأسرة شيعية عريقة في علوم الدِّين والتاريخ. فوالد المؤلف هو السيد محسن الأمين«١٢٨٩ - ١٣٧١ هجرية/ ١٨٦٥ - ١٩٥٢م » الإصلاحي الشيعي المشهور، ومؤلف موسوعة «أعيان الشيعة» الذي وُصِف بأنه «آخر مجتهدي الشيعة الإمامية في بلاد الشام»).

وإذا تأمَّلنا هذه العبارة يمكن أن نرد عليها بما يلي :

أولاً: الشنقيطي يكذب كذباً فاضحاً حين يزعم أن حسن الأمين استخدم التاريخ ذخيرة لتجريد شخصية صلاح الدِّين من مكانتها وجاذبيتها.

فقد قرأت هذا الكتاب فوجدت حسن الأمين استخدم الكذب والتزوير والتفسيرات المعاكسة لحقائق سيرة صلاح بصورة قذرة وبذيئة تفوق ما فعله الشنقيطي في كتابه هذا بمرات كثيرة، وقد وزَّع الأمين أيضاً شتائمه علىٰ المؤرِّخين الذين أَرَّخوا لصلاح الدِّين من القدماء والمحدثين؛ لأنه لم يجد في كتبهم ذخيرة تخدم دينه وطائفته.

فوصف أبا شامة مؤلف كتاب الروضتين بـ «البذيء» .

ووصف ابن كثير بـ «السفيه» .

ووصف محمد كرد علي بـ «صاحب الأباطيل».

وهناك أوصاف أخرىٰ وصف بها بقية المؤرخين الذين كتبوا عن صلاح الدِّين أشد حطة وسفالة من هذه الأوصاف.

ثانيـًا : لن يستطيع حسن الأمين – ولا كل ملالي إيران لو كتبوا عن صلاح الدِّين علىٰ غرار كتاب حسن – أن يجرِّدوا شخصية صلاح الدِّين من مكانتها وجاذبيتها، أو هدم ذكراه وتشويه صورته في الذاكرة الإسلامية؛ لأن ما كُتِب عن صلاح الدِّين – علىٰ المستوىٰ العالمي يكاد يُضاهي ما كُتِب عن نابليون – قبل ظهور الخميني إلىٰ حيز الوجود – كما قال المؤرخ والأديب السوري المشهور، الأستاذ الدكتور شاكر مصطفىٰ، في رده علىٰ كتاب حسن الأمين.

وقد عرض الشنقيطي طائفة من مفتريات حسن الأمين علىٰ صلاح الدِّين من ص٢٦٢ حتىٰ ص ٢٦٥.

ولسنا هنا بصدد عرض شيء من تلك المفتريات الباطلة، ويكفي أن نشير إلىٰ أن كتاب حسن الأمين يقع في ٢٢٥ صفحة وهو موجود علىٰ النت ويمكن قراءته لمن أراد.

⦿ رد شاكر مصطفىٰ علىٰ كتاب حسن الأمين عن صلاح الدين:

وعند صدور الكتاب احتفل الخمينيون وأذنابهم به في وسائل إعلامهم وطاروا به إلىٰ عنان السماء، في إيران ولبنان والعراق.

الأمر الذي لَفَت نظر المؤرِّخ والأديب القدير شاكر مصطفىٰ فصنَّف كتابـًا يدحض كل مفتريات حسن الأمين في ٤٢٤ صفحة أي ضعف حجم كتاب المفتري حسن، بعنوان «صلاح الدِّين الأيوبي : الفارس المجاهد والملك الزاهد المُفترىٰ عليه»[1] .

ولن أعرض لكم هنا ما كتبه الدكتور شاكر مصطفىٰ في رده، فالكتاب مُتيسر في الإنترنت، ولكني سأعرض لكم نص ما قاله الدكتور شاكر مصطفي في صفحة الإهـداء، وفقرة من مقدمته، وهي كفيلة بنسف كل مفتريات حسن الأمين، وثل تخرُّصات الشنقيطي في فصله الأخير.

---

(١) طبعة دار القلم، دمشق ١٩٩٨م.

قال الدكتور شاكر مصطفىٰ في صفحة الإهداء في بداية الكتاب ص٥، مايلي :

الإهداء

إلىٰ كل من وصمهم المُفتري علىٰ صلاح الدين!!

إلىٰ أبي شامة الذي وصفه بـ (البذيء)!!

إلىٰ ابن كثير الذي وصفه بـ (السفيه)!!

إلىٰ محمد كرد علي الذي وصفه بـ (صاحب الأباطيل)!!

وإلىٰ مجموعة المؤرخين الزملاء الذين رماهم بالجهل المطبق، والسفاهة، والتحامُل، والاجترار، والعمىٰ، والكذب علىٰ الحق، وتزييف التاريخ، وبكعوب الأحذية!!

وأخيراً إلىٰ صلاح الدِّين الذي وصفه بالخداع، والاستسلام للصليبيين، والتآمُر معهم، وبأنه يستحق القتل!!

وقد قال الدكتور شاكر مصطفىٰ في مقدمة كتابه الرائع الذي دحض مفتريات حسن الأمين في ص ٨ ما نَصّه:

(.. وما جال في خاطري يوماً أن أكتب عن صلاح الدين، فما كُتب عنه قديما وحديثاً يكاد يضاهي ما كُتب عن نابليون كثرة، فإلىٰ ما أُفرِد لاسمه من كتب، ما يكاد كاتب يتناول العصر الصليبي أو الفاطمي أو القرن الثاني عشر في المشرق/ = ٦ هجري، حتىٰ يكون صلاح الدِّين هو الذي يفرض نفسه علىٰ الكاتب والقلم ويكون هو محور الحديث. وليس هذا الكتاب بالذي يزعم إضافة مجد جديد إلىٰ أمجاد الرجل – الرمز – فمثل صلاح الدِّين لا يحتاج من يضيف مجداً إلىٰ أمجاده، وإنما هو بيان لمحاولة

تشويه متأخرة جداً - ومن المؤسف أنها أيضـاً طائفية - ترجو أن تنال من أطراف هذه الشخصية التاريخية التي أصبحت الرمز البطولي لأكثر من ألف مليون مسلم اليوم، هم أكثر الأمم حاجة إلىٰ مثل هذا الرمز).

⦿ تقييم الدكتور محمد مؤنس عوض لكتابي حسن الأمين ورد شاكر مصطفىٰ عليه:

والآن نعرض لكم تقييم الدكتور محمد مؤنس عوض لكتابي حسن الأمين ورد شاكر مصطفىٰ عليه، فالدكتور محمد مؤنس خصَّص جل حياته العلمية لدراسة صلاح الدين، وأكثر من كتب عنه، وجمع الكثير من البحوث والكتب التي صُنِّفت عنه.

يقول الدكتور محمد مؤنس عوض في كتابه «صلاح الدِّين بين التاريخ والأسطورة» ص ٣٠ - ٣١ ما نَصّه:

(وفي سنة ١٩٩٥م فوجئ العرب بدراسة المؤرخ اللبناني حسن الأمين بعنوان «صلاح الدِّين الايوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين» كما نشر مقالة في مجلة العربي الكويتية الواسعة الانتشار عدد ٤٤٢ بعنوان «صلاح الدِّين الأيوبي، نظرة مختلفة». وفي الكتاب وكذلك المقالة نجد مؤرخـاً هاجم السلطان صلاح الدِّين الأيوبي علىٰ نحو لم يحدث منذ ما يزيد علىٰ ثمانية قرون. ولا مراء في أن الهجوم كان هجوماً مندفعاً لا يتسم بالموضوعية، لم نجده لدىٰ أي مؤرخ عربي، بل وأوربي، حيث اتهمه بالخيانة وأنه يستوجب القتل. والدراسة المذكورة أكاديمية الظاهر، غير موضوعية في الباطن، وتُحقق أهدافاً لاتخفىٰ علىٰ أحد، وفيها اعتساف الأحكام، والفكرة المُسبقة المفروضة

فرضـًا علىٰ الآخرين، وكأن صاحبها له مع صلاح الدِّين ثأر شخصي بلا مبرر منطقي!!! وقد افتقد الكتاب القدرة علىٰ إقناع القارئ المتخصص الخبير، خاصة أن المؤلف غير متخصص في عصر الحروب الصليبية. ومن الطريف أن أكبر مؤرخ صليبي، وهو وليم الصوري، امتدح أحيانـًا صلاح الدِّين الأيوبي، وكذلك كافة كُتّاب مادة صلاح الدِّين في جميع دوائر المعارف في العالم أجمع بلا استثناء، وهم من المسيحيين واليهود، ونجد مسلمـًا عربيـًا يتخذ ذلك الموقف الذي سيحسب علىٰ العرب والمسلمين بطبيعة الحال. ومع ذلك فإن فائدة الكتاب المذكور أنه أيقظ الباحثين لإعادة الاهتمام بالسلطان الأيوبي، المجاهد البارز، فظهرت مؤلفات لتحقق الهدف. ولم يتأخر الرد طويلاً علىٰ حسن الأمين، إذ أصدر المؤرخ السوري الراحل الكبير شاكر مصطفىٰ في بيروت ١٩٩٧م، أي بعد عامين فقط، دراسة بعنوان«صلاح الدِّين الفارس المجاهد والملك الزاهد المُفترىٰ عليه» . والكتاب ردٌّ مُفحِم علىٰ المؤلف سالف الذكر، وتمكن مؤلفه من هدم أساس فكرة حسن الأمين باقتدار مؤرخ كبير.إذاً هذا الكتاب هو رد علىٰ افتراءات حسن الأمين... فنحن أمام شخص يُفترض فيه المعرفة والاطلاع، ولكن كتابه عن صلاح الدِّين كان غير موضوعي. فهل هذا بسبب نقص المعرفة والاطلاع، أم بسبب البُعد العقائدي الشيعي المعادي لصلاح الدِّين هادم خلافة الفاطميين الشيعة، أم بسبب الهوىٰ وقلة الدِّين التي كان يتصف بها.بغض النظر عن الجواب الصحيح عن دافع الأمين للافتراء علىٰ صلاح الدين، إلا أن هذه الافتراءات حفزت مؤرخنا الكبير لإبطال الافتراءات بالمنطق والمعرفة، والمعلومة الصحيحة)

ثم يستعرض الدكتور محمد مؤنس معالم ومضامين كتاب الدكتور شاكر مصطفىٰ، ثم يقول عنه:

(ومما يتميز به الكتاب أنه يتعامل مع صلاح الدِّين علىٰ أنه بشر يصيب ويُخطئ، وليس قائداً اسطوريـاً لا أخطاء له أو نقائص، بل عرض بعض أخطائه وهزائمه، والدروس المستفادة من ذلك).

وعلىٰ الرغم مما في كتاب حسن الأمين من مفتريات كاذبة وتفسيرات خاطئة فإن الشنقيطي يُشيد به ويعتبره عملاً نموذجياً في صناعة الهوية، وبناء شرعية تاريخية للتشيع. وهو ما سعىٰ إليه الشنقيطي في هذا الكتاب.

قال الشنقيطي في ص ٢٦٩ ما نَصّه:

(فالمتشيع صالح الورداني يسعىٰ لبناء شرعية تاريخية للأقلية الشيعية في مصر اليوم من خلال تمجيد الدولة الفاطمية، والطعن فيمن قضىٰ عليها، وهو صلاح الدين. أما حسن الأمين فهو أكبر طموحـاً من ذلك إذا إن عمله – وعمل أبيه السيد محسن الأمين – يطمح إلىٰ إعادة كتابة التاريخ الإسلامي كله في سبيل بناء شرعية تاريخية للتشيع، فهو عمل نموذجي في مجال صناعة الهوية).

وإذا كانت هذه المفتريات الداحضة التي أشاد بها الشنقيطي وسار علىٰ خطاها في هذا الكتاب، تُعتبر في نظره عملاً نموذجيـاً في صناعة الهوية الشيعية، فلن يستطيع هو، ولا كل آيات إيران وأذيالهم إعادة كتابة التاريخ الإسلامي طبقـاً لرؤيتهم الطائفية؛ لأن التاريخ الإسلامي مكتوب – أولاً: في مصادره الأساسية. وثانيـاً: لأنهم سيجدون من المؤرخين الصادقين من ينسف تحريفاتهم ويثل مفترياتهم، مثلما فعل الدكتور شاكر مصطفىٰ بكتاب حسن الأمين.

⊙ إساءة أخرىٰ من الشنقيطي لصلاح الدين :

وفي ص ٢٧٠ يقول الشنقيطي عن صلاح الدِّين ما نَصّه:

(لقد جمع صلاح الدِّين بين المثالية والواقعية، وبين التسامح والقسوة، وبين الجسارة والحذر. ففي مصر بعث أخاه العادل ليصلب ثلاثة آلاف نوبيّ تمردوا علىٰ سلطته، لكنه حزن حزنـًا عميقـًا علىٰ وفاة غريمه السياسي والمذهبي الخليفة الفاطمي العاضد).

وهنا يسيء الشنقيطي لصلاح الدِّين ويُصوِّره وكأنه ارتكب مذبحة ضد هؤلاء النوبيين، وقدمها تمامـًا مثلما فعل في غزوة كسروان حين قدّمها وكأنها مذبحة اقترفها شيخ الإسلام ابن تيمية مع جيش المماليك ضد شيعة لبنان المسالمين بعد أن نزع من الحادثة أسبابها وملابساتها وخلفياتها التي فصلناها سابقـًا. فالإشارة المغرضة هنا إلىٰ مؤامرة كنز الدولة أحد القادة الفاطميين في الصعيد.

وقبل الحديث عن هذه المؤامرة نشير إلىٰ أن كنز الدولة هذا ينتمي إلىٰ أسرة حَكَمت الصعيد زمنـًا طويلاً واشتهرت بالولاء للدولة الفاطمية.

وجدّ هذه الأسرة هو أبو المكارم هبة الله وكان معاصراً للخليفة الحاكم، الذي ادّعىٰ الألوهية، وقد وقف أبو المكارم ضد ثائر صعيدي ثار ضد الفاطميين يُسمّىٰ أبو ركوة، ويُقال أنه ينتسب للأمويين، وقد قبض أبو المكارم علىٰ أبي ركوة وسلمه للحاكم، فكافأه الحاكم بلقب «كنز الدولة» وظل أبناؤه من بعده يتوارثون هذا اللقب ويدينون بالولاء للدولة الفاطمية. وما كاد السلطان صلاح الدِّين ينتهي من القضاء علىٰ المؤامرة التي دبرها أنصار الدولة الفاطمية في القاهرة للقضاء عليه وإعادة الدولة الفاطمية بالتعاون مع الصليبيين في الشام وصقلية، وهي مؤامرة عمارة اليمني ومن معه،

حتىٰ سمع بمؤامرة أخرىٰ حاك خيوطها كنز الدولة في الصعيد، وانضمت إليه جموع غفيرة من النوبيين الذين كانوا جنودا في عساكر الفاطميين، ومن نفاهم صلاح الدِّين إلىٰ الصعيد، أو فروا نحو جنوب مصر بعد إحباط تلك المؤامرة. ويُقال إنه احتشد مع كنز الدولة نحو مئة الف، وأخبرهم كنز الدولة بأنه سوف يستولي علىٰ القاهرة ومصر كلها ويقضي علىٰ صلاح الدِّين ويقيم الدولة الفاطمية مرة أخرىٰ. وقد هاجموا قادة صلاح الدِّين ومن معهم من الجنود وقتلوا عشرة من القادة، ونهبوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل. ولما سمع صلاح الدِّين بذلك جهّز جيشـاً كبيراً بقيادة أخيه العادل، فسار إلىٰ الصعيد ومزق حشود المتمردين «فاستأصل شأفتهم وأخمد ثائرتهم»[١] .

وهكذا بينّا خلفية حركة كنز الدولة في النوبة التي قدّمها الشنقيطي بوصفها مذبحة تدل علىٰ قسوة صلاح الدين، دون أن يُدرك أن التسامُح والتساهل إزاء هذه الحركة يعني ضياع كل الجهود التي بذلها عماد الدِّين زنكي وابنه نور الدِّين وقادتهما العظام، شيركوه وأخوه نجم الدِّين أيوب وابنه صلاح الدِّين طوال خمسين سنة لبناء الجبهة الإسلامية المتحدة المواجهة للصليبيين.

◉ ويعود الشنقيطي في ص ٢٧١ ليكرر إساءته لصلاح الدِّين بتذكير قرائه بما طعن به صلاح الدِّين في ص ٢٥٩ من تفريط مشين بالمكتبة الفاطمية. وهو ما دحضناه في حينه. حيث يقول في ص ٢٧٢ ما نَصّه:

(وفي مصر أيضـًا فرَّط صلاح الدِّين تفريطـًا مؤسفـًا بالمكتبات العظيمة التي ورِثها عن الدولة الفاطمية).

---

(١) انظر: ابن شداد، النوادر السلطانية ص ٨٠ ؛ المقريزي ج١ ص ٥٧ – ٥٨ . وقد نُوقِشت رسالة علمية في بني الكنز في مصر قبل أكثر من أربعين سنة.

وتكرار هذه الإساءة مرة أُخرىٰ تذكرنا بإساءاته المتكررة لنور الدِّين حين زعم - زوراً وبهتاناً - أن جدّهُ لأبيه هو «آق سنقر البرسقي» الذي اغتاله الباطنية سنة ٥٢٠ هجرية، وليس آق سنقر الحاجب، الذي مات سنة ٤٨٧هجرية وكان عمر ابنه زنكي حينها إحدىٰ عشرة سنة. وفسّر سياسة نور الدِّين تجاه طوائف الشيعة بأنها بدافع الثأر والانتقام لمقتل جده المزعوم!!

علىٰ أن الإساءة الكبرىٰ التي تقيأها الشنقيطي بحق صلاح الدِّين هو تحميله مسؤولية كل ما حدث من انقسامات في الدولة الأيوبية بعد وفاته علىٰ مدىٰ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، بما فيها تنازُل الكامل بن العادل عن مدينة القدس للصليبيين سنة ٦٢٦ هجرية.

◉ **قال الشنقيطي في ص ٢٧١ ما نَصّه:**

(أما من حيث الميراث السياسي، فقد بنىٰ صلاح الدِّين دولة عظيمة تمتد من الموصل إلىٰ القاهرة، وعاصمتها دمشق، لكنه ورَّثها لرجال ضعاف من أبنائه وذويه، سرعان ما مزقوها وفرّطوا في كل مكتسباتها، بما فيها مدينة القدس التي تنازل عنها ابن أخي صلاح الدِّين للصليبيين من غير قتال بعد خمسة وثلاثين عاما فقط من وفاة صلاح الدين).

ويمكن دحض هذا الرأي الباغي والتحليل الخاطئ في ضوء الحقائق والمعطيات التالية:

أولاً: هذا التحليل المتعسف وغير الموضوعي قال به الشيعي حسن الأمين في كتابه عن صلاح الدين، وقد سرقه الشنقيطي ووضعه هنا دون الإشارة للباغي حسن، وتبنّاه طبقاً للهوىٰ الشيعي المشترك بين الأثنين.

وهذا الحكم المجحف ورد في كتاب حسن الأمين في ص ١٣٢ وقد دحضه الدكتور شاكر مصطفىٰ في كتابه الذي رد به علىٰ حسن الأمين في ص ٤٠١.

ثانياً: بذل صلاح الدِّين جهداً مضنياً في مقاومة الحملة الصليبية الثالثة التي شاركت فيها كل أُورُبا بجيوش كثيفة فاقت عدد جيشه بأضعاف كثيرة وتحمّل من الصبر والمشقة فوق طاقته. وبعد توقيع صلح الرملة نوىٰ صلاح الدِّين تحقيق هدف سامي عظيم وهو استغلال فترة الهدنة لتوسيع الجبهة الإسلامية المتحدة وضم بلدان إسلامية بمقدراتها الكبيرة إلىٰ دولته لتكون أقوىٰ بعد نهاية الهدنة الأمر الذي يجعله قادراً علىٰ إزالة بقية الدولة الصليبية بعد نهاية الهدنة. فقد ذكر ابن الأثير أن صلاح الدِّين – قبيل مرضه الأخير – استدعىٰ ابنه الأفضل وأخاه العادل وأبدىٰ لهما عزمه علىٰ ضم بلاد آسيا الصغرىٰ الخاضعة لسلاجقة الروم، لأنها المَعْبَر البري الوحيد الذي اعتاد الصليبيون علىٰ استخدامه في حملاتهم علىٰ الشام، ولأن الاستيلاء عليها سيقطع عليهم ذلك الممر البري الوحيد. كما أبدىٰ صلاح الدِّين رغبته لابنه وأخيه في ضم أذربيجان وقزوين وبلاد العجم إلىٰ الدولة الأيوبية، واخبرهما أنه سيكلفهما القيام بتلك المهمة الخطيرة[1].

فقد كانت نفس صلاح الدِّين تجيش بالآمال والطموحات لتوحيد أمة الإسلام والقضاء علىٰ عدوها الصليبي العتيد. ولكن المرض عاجله فتوفي رحمه الله قبل تحقيق طموحاته وآماله، ثم يأتي الشنقيطي وأستاذه حسن الامين ليُحمّلا صلاح الدِّين مسؤولية الانقسام والفشل والتفريط الذي أصاب الأجيال التالية التي ظهرت بعد وفاته.

ثالثا: من الإجحاف والظلم اعتبار صلاح الدِّين مسؤولاً عن الانقسام والنزاع الذي حدث بعد موته.

---

(١) انظر: ابن الأثير، الكامل ج ١٢ ص ٩٥ – ٩٦.

فقد استنفد هذا البطل الفريد كل طاقته وجهده في توحيد الجبهة الإسلامية المتحدة، والتصدي لكل مؤامرات بقايا الفاطميين وأنصارهم للقضاء عليه، ثم أعدَّ وجهّز الجيش المُقتدر الذي كفل له الانتصار في حطين واسترد القدس ومعها جميع البلاد التي فرَّط فيها الفاطميون، بسهولة، لصالح الصليبيين قبل أكثر من تسعين عاماً. ثم واجه أُورُبا التي اتحدّت كلها ضده في الحملة الصليبية الثالثة، وتمكن من الاحتفاظ بالقدس ولم يُفرط فيها. ولقي ربه وراية الإسلام مرفوعة، والدولة موحدة متماسكة.

رابعـًا: هذه العبارة الباغية للشنقيطي تدل علىٰ جهله المطبق بتاريخ الدولة الأيوبية. فهذه العبارة تحوي أخطاءً كامنةً فادحةً.

فابن صلاح الدِّين الأكبر الأفضل نور الدِّين علي كان هو المعهود إليه بالسلطنة، وكان لزاماً علىٰ بقية إخوته وأعمامه – طبقًا لتقاليد ومفاهيم ذلك العصر – طاعته والولاء له. ولكن الأفضل كان شاباً في الواحدة والعشرين من عمره، وكان قليل الخبرة، فعهد بمنصب الوزارة لضياء الدِّين بن الأثير – الشقيق الأصغر للمؤرخ المشهور عز الدِّين بن الأثير. وضياء الدِّين بن الأثير هو مؤلف كتاب «المثل السائر» في الأدب والبلاغة. وكان ضياء الدِّين بن الأثير حين تولىٰ وزارة الأفضل شاباً مغروراً لا يفقه في أمور السياسة وإدارة شئون الدولة شيئًا، فأقنع السلطان الأفضل بإبعاد كبار أمراء والده وأخلص أصحابه ومستشاريه «وأخبره أن أمراء أبيه يشتطون عليه ولا يرضون منه إلا بالكثير، وأعمال دمشق لا تسعهم، وإنما تسعهم أعمال مصر، وأن الغرباء والمستجدين من مماليكه يرضون منه بالقليل...فاغتر الأفضل بقوله، وكان ذلك من الخطأ البين والتدبير الفاحش السيئ، فابعد أمراء أبيه والعظماء من أتباعه، حتىٰ أبعد القاضي الفاضل مع جلالة قدره وغزارة فضله، والعماد الكاتب مع فصاحته وبراعته، واستخدم أمراء مجهولين ومماليك خاملين» كما قال ابن واصل في كتابه «التاريخ الصالحي» ورقة ٢١٠ب . وهذا الكتاب في تاريخ الدولة الأيوبية

صنّفه ابن واصل وسمّاه باسم الصالح أيوب وقدّمه هدية له، ولم يستخدمه الشنقيطي في كتابه، مثلما أغفل كتاب ابن واصل الكبير «مفرج الكروب...».

واستجاب الأفضل لمشورة ضياء الدِّين بن الأثير فأبعد كبار قادة الجيش، واضطرهم للهجرة إلىٰ مصر، فقدموا إلىٰ العزيز عثمان بن صلاح الدِّين حاكم مصر فاحترمهم وزاد في إقطاعاتهم. واتفقوا جميعـًا علىٰ مناصرة العزيز والتخطيط لنزع السلطنة من الأفضل ونقلها لأخيه العزيز، سيما بعد سماعهم بالمزيد من السياسات الخرقاء التي اتخذها الأفضل بمشورة وزيره ابن الأثير[١] .

واستحكم النفور بين الأخوين واندلعت حرب الوراثة الايوبية بين أبناء صلاح الدِّين سنة ٥٨٩ هجرية، وتدخل العادل شقيق صلاح الدِّين في تلك الحرب التي دامت عدة سنوات. واستطاع العادل بحنكته وتجربته تحويلها في نهاية المطاف لصالحه[٢] .

وما أن جاءت سنة ٥٩٦ هجرية حتىٰ تمكَّن العادل من توحيد الدولة الأيوبية كلها تحت لوائه وأصبح هو سلطانها الوحيد، وظلت موحدة تحت سيطرته مدة عشرين سنة حتىٰ وفاته سنة ٦١٦ هجرية.

وبعد وفاة السلطان العادل خلفه علىٰ الدولة الأيوبية ابنه الأكبر الكامل محمد علىٰ مصر، وهو السلطان، والمعظم عيسىٰ علىٰ الشام وعاصمته دمشق، والأشرف موسىٰ، وكان يملك الجزيرة وعاصمته خلاط. وقد اتَّحد الإخوة الثلاثة وتعاونوا في مواجهة الحملة الصليبية الخامسة ٦١٤ – ٦١٨ هجرية، التي اتجهت إلىٰ مصر واحتلت دمياط وزحفت نحو القاهرة. وقد نجح أبناء العادل الثلاثة في نهاية المطاف

---

(١) انظر: ابن واصل، «التاريخ الصالحي» ، ورقة ٢١٠ ب – ٢١١ أ ؛ «مفرج الكروب» ، ج ٣ ص ١١ – ١٤ ؛ أبو شامة، «الروضتين» ، ج ٢ ص ٢٢٨ ؛ أبو الفدا، «المختصر» ، ج٣ ص٨٧ – ٨٩ ؛ المقريزي، «السلوك» ، ج١ ص ١١٥ .

(٢) انظر تفاصيل حرب الوراثة الأيوبية في كتابي : «بلاد الشام قبيل الغزو المغولي» ص ٤٢ – ٦٣ .

في هزيمة هذا الحملة رغم أن جيوشها فاقت أعداد جيوشهم بأضعاف كثيرة[١] .

ثم حدثت المنافسة والتنازُع بين أبناء العادل الثلاثة، فتحالف الكامل محمد مع أخيه الأشرف موسىٰ حاكم الجزيرة ضد أخيهما المعظم عيسىٰ صاحب الشام، وشعر المعظم أنه أصبح مطوقـًا من جانب أخويه، فأخذ يلتمس الحلفاء، فَرَاسَل «جلال الدِّين منكبرتي» سلطان الدولة الخوارزمية وتحالف معه.

وبدأ «منكبرتي» يُهدد مملكة الأشرف من الشرق. عندئذ راسل الكامل الإمبراطور فردريك الثاني - حفيد «فردريك بربروسا» - وطلب محالفته ضد أخيه المعظم عيسىٰ ووعده بتسليمه القدس إذا جاء لنصرته. ووصل «فردريك الثاني» إلىٰ الشام، بعد موت المعظم، وعقد معه الكامل صلح يافا وتنازل له القدس سنة ٦٢٦ هجرية[٢] .

فهل أدركتم مقدار الإساءة إلىٰ صلاح الدِّين من جانب الشنقيطي الذي حمَّلهُ مسؤولية أفعال جيلين من الحكام، حكموا بعده؟

ويجب أن تضعوا نصب أعينكم - لتدركوا حجم الإساءة - أن العادل شقيق صلاح الدِّين أعاد توحيد الدولة الأيوبية مثلما كانت زمن صلاح الدِّين، وظلت موحدة تحت رايته حتىٰ وفاته مدة عشرين سنة. فما دخل صلاح الدِّين فيما فعله أبناء العادل حتىٰ يُحمله الشنقيطي المسؤولية ويزعم أن ذلك ميراثه السياسي!!

---

(١) انظر تفاصيل هذه الحوادث في كتابي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص ١١٣ - ١١٩، ٢٢٩ - ٢٥٥ . وكل المعلومات في هذه الصفحات موثقة في الحواشي من المصادر الأصلية والمعاصرة للحوادث.

(٢) انظر تفاصيل هذه الحوادث في: كتابي «بلاد الشام قبيل الغزو المغولي» ، ص ٢٥٩ - ٢٧١، ٣٦٠ - ٣٦٧ . وفي حواشي الكتاب المصادر الأصلية المعاصرة التي أغفلها الشنقيطي.

نَظَراتٌ في الخاتمة

◉ **أمّا خاتمة بحث الشنقيطي فقد كرّر في ص٢٧٤ زعمه الكذوب فقال:**

(أدَّىٰ ضغط الحروب الصليبية إلىٰ حالة توحُّد في المجمل بين الشيعة الإمامية والقوىٰ السنية خلال الحقبة الصليبية كلها).

ولم يستطع طوال كتابه كله أن يُقدِّم أو يشير إلىٰ أي قوة شيعية إمامية أسهمت في تحرير مدينة أو بلدة أو قرية أو حتىٰ قلعة أو حصن من الأماكن التي كانت بيد الصليبيين، والتي وضَّحت المصادر تحريرها بالتفصيل من جانب القوىٰ السنية.

ومن عجب أن الشنقيطي توقف في كتابه عند صلاح الدِّين وترك قرنًا كاملا من الزمان من تاريخ الحروب الصليبية لم يتحدث عنه؛ لأنه لم يجد فيه أي خبر يمكن أن يُجيِّره لصالح الإمامية.

◉ **وخاتمته مكونة من أربع صفحات ٢٧٣ - ٢٧٦.**

معظمها تسويق وتمجيد للتشيع، حيث يقفز إلىٰ الدولة الصفوية التي ظهرت بعد زوال الصليبيين من بلاد الشام بقرنين من الزمان، ويزعم أن من مفاخر شيعة «جبل عامل» في لبنان أنهم قاموا بتطوير التشيع والفكر الصفوي وأنهم لا يزالون يفتخرون بذلك إلىٰ اليوم.




خاتمة

النظرات النقدية




لقد رأينا في كل ما تناولناه من نَقْدٍ لكتاب محمد بن المختار الشنقيطي «**أثر الحروب الصليبية علىٰ العلاقات السنية الشيعية**» أنه طبق فعلاً مبدأ أستاذته غريتشِن آدمز القائل: (**من أجل بناء مستقبل جديد نحتاج إلىٰ بناء ماض جديد**).

وسعىٰ إلىٰ تحقيق هذا المبدأ وجعله هدفـًا لكتابه كما ذكر ذلك في مدخله.

وهذا المبدأ لا يتحقق إلا بالكذب والتزوير، وهو ما فعله حتىٰ في مدخل كتابه ص ١٧ حين زَعَمَ أن القاضي ابن الخشاب - قاضي حلب - عبأ جيشـًا سنيًّا تركيًّا من ماردين إلىٰ معركة ساحة الدم ضد الصليبيين. بينما الذي عبأ ذلك الجيش وحشده من التركمان والأكراد والعرب هو أمير ماردين وحلب «إيلغازي بن أرتق».

وهكذا سَلَب الشنقيطي الفضل من «إيلغازي» ومنحه لابن الخشاب**!!**

وفي مدخله ص١٧ قال ما نصه:

> **(وقد بيَّنا في الفصل الثالث المعنون: «اكتشاف وحدة المصائر: السنة والشيعة في مواجهة الفرنجة» أن أهل السنة والشيعة الإمامية واجهوا الصليبيين صفـًا واحداً في المُجمل... وقدَّمنا نماذج من ذلك...)** .

وتلك النماذج التي قدّمها الشنقيطي، بعد التزوير وتحويل الخيانة إلىٰ شوائب وبطولة، هي نموذج ابن الخشاب، وابن عمار، وأَشْعار طلائع ابن رزيك. وحتىٰ لو سلمنا بقبول تلك النماذج - رغم التزوير والتضخيم - فإنها لا تساوي إلا نسبة صفر في المئة ٠٪ من الانتصارات التي أحرزها أهل السُّنَّة علىٰ الموجات والحملات الصليبية المتلاحقة واسترداد بلدان الشام من الصليبيين طوال قرنين من الزمان بدءاً من عماد الدين زنكي وانتهاءً بخليل بن قلاوون بطل تحرير عكا. ولن يجد أي باحث - مهما بذل من جهد - شيعيًّا إِماميًّا شارك في تحرير حصن واحد من حصون الشام،

فالعبرة في هذه النسبة التي وضعناها بالتحرير والاسترداد، وليست بمقاومة المحتل الغازي غير المجدية التي تُشبه مقاومة الشِّياة للذبح!!

والملاحظ في كتاب الشنقيطي كله هوسه المفرط بمقولات المستشرقين وتطبيقها علىٰ حوادث التاريخ الإسلامي مع جهله التام بالسُّنَن الإلهية في تفسير حوادث التاريخ.

فمثلا: سُنَّة الاستبدال الإلهية ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴾[محمد: ٣٨] تُفسر تَحَوُّل الغز التُّرك إلىٰ الإسلام في منتصف القرن الرابع الهجري علىٰ العقيدة السُّنِّية وظهور دولة السلاجقة. بسبب نكوص المسلمين في قلب عالم الإسلام عن الدين الحق وسماحهم للقوىٰ الرافضية - من قرامطة وعبيديين وبويهيين بالسيطرة عليهم. فَحَدَث الاستبدال الإلهي.

كما أنَّ هذه السُّنَّة الإلهية تُفسِّر سقوط وقيام الدول الإسلامية المُجاورة للصليبيين في بلاد الشام، منذ مجيء الحملة الصليبية الأُولىٰ وحتىٰ استرداد عكا. فأنَّىٰ للشنقيطي أن يفهم أو يستوعب هذه السُّنَّة الربانية، فقد راح يُفسِّر ظهور السلاجقة بظاهرة «تتريك الإسلام» و«أسلمة الترك»، ويشرح هذه النظرية بقوله في ص ٤٦:

◉ **(أما العلاقة بين ما وصفناه هنا بـ «أسلمة الترك» و«تتريك الإسلام» فهي شبيهة بنظرية جيمس روسل حول «تَمْسِيح الجرمانيين وجَرْمَنة المسيحية» أي اعتناق الشعوب الجرمانية للديانة المسيحية، وما أدىٰ إليه ذلك من إمساكهم بمصائر العالم المسيحي ردحـًا من الزمن).**

وهكذا يُقدِّم الشنقيطي نظريات المؤرِّخين الغربيين المتعلقة بتاريخ أُورُبا ويتبَنَّاها ويطبِّقها علىٰ تاريخ المسلمين ويترك سُنَن الله في هذه الأمة، لأنه إما يجهلها، أو لا يؤمن بها!

وفي فصله الثاني يعجز الشنقيطي عن رسم الخريطة الطائفية في بلاد الشام عشية الحروب الصليبية فلا يذكر شيئًا عن الجرائم والمذابح والمظالم والمصادرات التي اقترفها الفاطميون ضد أهل السنة في بلاد الشام.

ويعود بعيداً عن عشية الحروب الصليبية خمسة قرون ليطعن في النبي ﷺ وفي الصحابة حين زعم في ص ٨٤ وما بعدها: أن البذرة الأولىٰ للفتنة بدأت ليلة السقيفة وما ترتب عليها من انقسامات وحروب.

والحقيقة أن فرية الشنقيطي هذه مجرد شرح لفرية الخميني علىٰ النبي ﷺ في كتابه «كشف الأسرار» الذي قال فيه : (**وواضح بأن النبي لو كان قد بلّغ بأمر الإمامة طبقًا لما أمر الله به لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك ولما ظهرت ثمة خلافات في أصول الدين وفروعه**).

وقد ظل الشنقيطي يشرح نظرية الخميني في الصفحات التالية واستدل بأقوال الخميني والخراساني والكوراني في الإمامة. ليس هذا وحسب بل لقد صنّف كتابًا أكبر حجمًا من كتابه هذا بعنوان «**الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية**» وهو شرح مُسْهَب لنظرية الخميني وفريته الباغية علىٰ النبي ﷺ.

وهذه حقيقة غابت عن معظم الناس الذين قرأوا كتابه؛ لأنهم لا يقرأون ما بين السطور. ومن عجب أن حقيقة كتاب «الأزمة الدستورية» وعلاقته بفرية الخميني غابت حتىٰ عن بعض علماء المسلمين، الذين غلبهم هواهم الحزبي عن رؤية وإدراك أساس هذا الكتاب وهدفه فأَشَادُوا به، وحثُّوا الناس علىٰ قراءته!!

ولم يقتصر الشنقيطي علىٰ تبنّي تهمة الخميني للنبي ﷺ بأنه لم يُبلّغ أمر الله له بشأن الإمامة وطعنه في بيعة السقيفة ووصفه لما حدث بأنه البذرة الأولىٰ للفتنة «الازمة الدستورية» بل تبنّىٰ في صفحة ٣٨ – ٤٨ من كتابه إتهام الفيلسوف محمد

إقبال للفاتحين الأوائل بالوثنية السياسية.

وتظهر لنا خطورة هذه التهمة إذا عرفنا أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هم الذين بعثوا تلك الجيوش المنصورة. وهم من العشرة المبشرين بالجنة. وأن من أشهر قادتها وقدواتها في ميادين الجهاد هم : أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، وسعيد بن زيد رضي الله عنهم ، وهم من العشرة المبشرين بالجنة. إضافة إلىٰ أن معظم من بقي حياً من أهل بدر ، وبيعة الرضوان شاركوا بفعالية في قيادة وتوجية جيوش الفتوحات.

فماذا بقي من أعظم وأطهر جيل في هذه الأمة لم يطعن فيه الشنقيطي؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مُلْحَق

تمهيد:

مَجَّد محمد بن المختار الشنقيطي، الدولة الفاطمية تمجيداً مفرطـًا في كتابه هذا، لدرجة أنه وصفها بأعظم الإمبراطوريات الشيعية التي ظهرت في التاريخ الاسلامي ، وعرض بتعاطف الأشعار البكائية التي بكىٰ فيها الشاعر عمارة اليمني الدولة الفاطمية.

وأغفل تمامـًا المذابح والاضطهادات التي اقترفتها في شمال إفريقية وفي الولايات الإسلامية في أُورُبا – في صقلية وجنوب إيطاليا وجنوب أُورُبا – وفي بلاد الشام ضد أهل السنة. في حين فصَّل وأسهب فيما حلَّ بذيولها وأتباعها في شمال أفريقية من انتقام علىٰ أيدي عامة المسلمين بعد انتقالها إلىٰ مصر!!

وهنا نَعْرض لكم مقتطفات من بحثٍ دقيق، هو عبارة عن كلمة حق قيلت في الدولة الفاطمية من جانب أحد أعلام تونس وكبار مثقفيها خلال الاحتلال الفرنسي لتونس، وهو العلامة عبد العزيز الثعالبي (رئيس الحزب الوطني في تونس) والذي كان لديه من الوثائق والمخطوطات ما لم تتوافر لغيره.

وهذا البحث الدقيق يوجد في خاتمة كتاب المؤرِّخ الأمير شكيب أرسلان «تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط» والذي أَصْدره شكيب أرسلان سنة ١٣٥٢ هجرية= ١٩٣٣م.

قال شكيب أرسلان في بداية خاتمة كتابه ص ٢٨٣ ما نصه :

(بحثٌ دقيقٌ جليلٌ عن مغازي العرب في أوربة وجزائر البحر المتوسط. بقلم الأستاذ الأفضل السيد عبدالعزيز الثعالبي (رئيس الحزب الوطني في تونس) كان قد

بلغنا أن لدىٰ الأستاذ الأجلّ الأفضل السيد عبدالعزيز الثعالبي وثائق ومعلومات في موضوع فتوحات العرب في أورُبة، فاقترحنا عليه كتابة شيء في هذا الموضوع نجعله قلادة في جيد تأليفنا هذا. فتفضَّل علينا ، حفظه الله ونفع به الإسلام بالخلاصة التالية).

ثم عَرَض الأستاذ عبدالعزيز الثعالبي في بحثه معلوماته الدقيقة عن فتوحات المسلمين في أُورُبا حتىٰ وصل إلىٰ عهد الدولة الفاطمية فقال بحقِّها النَّص التالي:

نصُّ المُلحق

(واستمر نجم الإسلام صاعداً في أُورُبـا... إلىٰ أنْ ظهرت النبعة الآثمة نبعة الدعوة العبيدية في قبيلة كتامة البربرية، من المغرب الأوسط، وقُدِّرَ لها أنْ تجتاح الدولة الأغلبية، فتعطَّل الفتح في أُورُبا. وانقلبت جيوش إفريقية مُغيرةً علىٰ العالم الإسلامي لتقويض دولة بعد أُخرىٰ، وهَدْم الخلافة العباسية القائمة في المشرق، وبسبب ذلك تحوَّلت السياسة الإسلامية تجاه أُورُبا من الهجوم والتوثب إلىٰ الدفاع والتسليم. ولم يَجْن أَحَدٌ علىٰ الإسلام ما جَنَاهُ عليه هؤلاء العبيديون، أو الفاطميون، وإليك البيان:

لما تغلَّب عبيد الله المهدي علىٰ إفريقية، وأَزَال عنها حكم بني الأغلب كرهت الولايات الإسلامية في أُورُبا، أن تُقدِّم طاعتها للمتغلبين. فأجمع أصحاب الشأن فيها علىٰ إعلان الاستقلال، حتىٰ يمتنع نقل الجيش من أُورُبا إلىٰ افريقية، فبايعوا بالإمارة القائد أحمد بن زيادة الله بن قرهب، وبمجرد انعقاد هذه البيعة كتب الأمير إلىٰ المقتدر بالله الخليفة العباسي بالطاعة، فأنفذ إليه المقتدر بالتقليد والخِلع والألوية وطوق من الذهب.

ولما بلغ ذلك عبيد الله المهدي أَخَـذ يسعىٰ في بثِّ الدسائس والفتن بين

المسلمين في أُورُبا، وما زال بهم حتىٰ اختلت الأُمور علىٰ ابن قرهب، فخُلِع سنة ٣٠٣ هجرية، وقُتِل بعد أنْ وَصَل إلىٰ المهدية.

وعقب ذلك اجتمع أُولو الحل والعقد من المسلمين في دار الإمارة بـ «بلرم» وكتبوا إلىٰ المهدي، وذلك بعد أنْ بلغهم أنه يُجَهِّز جيشاً لغزو المشرق بقيادة الطاغية البربري القائد حباسة بن يوسف يلتمسون منه تعيين الولاة والقضاة، وأن يُبقي لهم الجيش يدرؤون به الأخطار أمام الأعداء، إلىٰ غير ذلك من الشروط التي تضمن لهم الاستقلال الداخلي ولا تجعل بلادهم عرضة للغارة والفتوق، فأَبَىٰ أن يجيبهم إلىٰ هذه الطلبات العادلة. وأخرج إليهم الجيوش والأساطيل، وعيَّن عليهم سعيد بن المضيف فحاصرهم شهوراً.

وكانت البلاد ممتنعة عنه فتنحىٰ عنها، وأرجل جنود كتامة في أرباض الشواطئ المفتوحة للنهب والسلب، ففعلوا الأفاعيل التي أفزعت النساء والذرية، حتىٰ إذا رأىٰ المسلمون أنه لا طاقة لهم بهذا الفزع نزعوا إلىٰ طلب الأمان فأمّنهم بلا قيد ولا شرط.

وعلىٰ إثر ذلك احتل البلاد وهَدَم أسوار المدن وجرَّد حاميتها من السلاح والخيل، وفَرَضَ المَغارم الكثيرة، ونصَّب سالم بن أبي راشد أميراً عليها، وعزَّزَهُ بجيش من كتامة، فكان دأبهم الإفحاش في الظلم وسَلْب الأموال، فانقبضت النفوس، وخارت الهمم عن التوسع حتىٰ طمع فيهم رعاياهم الإيطاليون والفرنسيون.

وفي عهد أبي القاسم بن عبيد الله المهدي، عيّن لولاية أُورُبا خليل بن إسحاق الطاغية، فقضىٰ في الحكم أربعة أعوام ارتكب فيها من الجور والفساد مالم يُسمع بمثله، وجعل المسلمون يفرون أفواجاً أفواجاً إلىٰ البلاد النصرانية ويتنَصَّرُون.

ويُحدثنا المؤرِّخون أنه لما عاد سنة ٣٢٩ هجرية إلىٰ شمال إفريقية كان يفتخر بمَظَالِمه، فقد حضر مجلساً من وجوه الدولة العبيدية في قصر الإمارة، وكانوا

يتباحثون في شئون الدولة فقال : «إني قتلت في إمارتي ألف ألف نسمة - أي مليون نسمة - »، فردَّ عليه أبو عبدالله المؤدب ، وكان من عُقلاء الرجال في الدولة الشيعية: «لك يا أبا العباس في قتل نفس واحدة ما يكفيك...)[1].

ثم يواصل الأستاذ عبدالعزيز الثعالبي في صفحات بحثه التالية من ص ٢٨٦ وما بعدها شرح الضَّعف الذي أصاب الولايات الإسلامية في جنوب أُورُبا نتيجة لتلك المذابح والمظالم الفاطمية حتىٰ سقطت جميعها بسهولة في أَيْدي النورمان الصليبيين.

---

(١) انظر النص كاملاً في كتاب : الأمير شكيب أرسلان : «تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط» ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

أهم المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

*** ابن الأثير الجزري (علي بن أبي الكرم الملقب بعز الدين، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).**

١- الكامل في التاريخ، ط. ليدن ١٨١٠ - ١٨٧٩م.

٢- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٩٣م.

*** أسامة بن منقذ (أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، ت ٥٨٤ هـ/ ١١٩٢م) .**

٣- الاعتبار، تحقيق فيليب حتي، ط. برنستون،١٩٣٠م.

*** ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم، ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م).**

٤- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت، ١٩٦٥م.

*** الأنطاكي (يحيىٰ بن سعيد بن يحيىٰ، ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٧م).**

٥- تاريخ الأنطاكي المعروف بـ «صلة تاريخ أوتيخا»، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط. طرابلس لبنان: جروس برس، ١٩٩٠م.

*** ابن أيبك الدواداري (أبو بكر عبد الله بن أيبك، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) .**

٦- الدُّرَّة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، طبعة القاهرة، ١٣٨٠ هجرية/ ١٩٦١م.

٧- كنز الدُّرر وجامع الغرر، الجزء السابع، وعنوانه: الدُّر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

*** ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، ت ٧٢٨هـ) .**

٨- مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مج٢٨، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت إشراف وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

*** ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت ٨١٢هـ).**

٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط. دار الكتب المصرية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٩٢م .

١٠- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . ج١، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، القاهرة ١٣٧٠/ ١٩٠٩م.

*** ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ).**

١١- إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث

الإسلامي، مصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

* **ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).**

١٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

* **الروذراوري، أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين بن محمد (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٦م).**

١٣- ذيل علىٰ كتاب تجارب الأمم، ط١، فرج الله زكي الكردي بمصر، ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م.

* **ابن ظافر الأزدي (أبو الحسن علي بن ظافر بن الحسين، ت٦١٣هـ).**

١٤- أخبار الدول المنقطعة، القسم الخاص بالفاطميين، تحقيق أندريه فري، القاهرة ١٩٧٢م.

* **ابن واصل (محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم، ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م).**

١٥- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٣ تحقيق جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٠م، ج٤، تحقيق حسنين محمد ربيع، القاهرة ١٩٧٢م، ١٩٧٧م.

١٦- التاريخ الصالحي، مخطوط بمكتبة فاتح بإسطنبول برقم ٤٢٢٤ ، وطبع بتحقيق عمر عبدالسلام التدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

* **الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز، ت ٧٩٨هـ/ ١٣٣٧م).**

١٧- دولة الإسلام، تحقيق محمد فهيم شلتوت، ومحمد مصطفىٰ إبراهيم القاهرة ١٩٧٤م.

* **سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٠٩م).**

١٨- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨حيدر آباد ١٣٧٠/ ١٩٠١م. وج١٢ ، ١٣، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث بإسطنبول، رقم ٢٩٠٧.

* **أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ت ٦٦٥هـ/ ١٢٩٧م).**

١٩- الروضتين في أخبار الدولتين ج٢ مصر ١٢٨٨ه. تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل علىٰ الروضتين، نشر ومراجعة السيد عزت العطار الحسيني، بيروت، ١٩٧٤م.

* **الشيرازي (هبة الله ابن موسىٰ المؤيد في الدِّين، ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م).**

٢٠- سيرة المؤيَّد في الدِّين داعي الدعاة: ترجمة حياته بقلمه، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، ١٩٤٩م .

* **العظيمي (محمد بن علي بن محمد، ت بعد ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م) .**

٢١- تاريخ العظيمي، نشره كلود كاهن، ١٩٣٨م.

*** العيني (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسىٰ بن أحمد بن الحسين، ت ٨٠٠هـ/ ١٤٠١م).**

٢٢- عقد الجمان عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمود رزق محمود ، ومحمد محمد أمين ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة .العصر الأيوبي.

*** أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماه، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).**

٢٣- المختصر في أخبار البشر ج ٣ - ٤، بيروت بدون تاريخ .

*** ابن القلانسي (أبو يعلىٰ حمزة بن القلانسي، ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) .**

٢٤- ذيل تاريخ دمشق، بيروت ١٩٠٨م.

*** القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).**

٢٥- صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا، القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٢ م.

*** ابن كثير (عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).**

٢٦- البداية والنهاية، ج ١٣ ، بيروت، ١٩٦٦م.

*** المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).**

٢٧- السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد مصطفىٰ زيادة، القاهرة، ١٩٠٩م.

٢٨- خطط المقريزي المعروفة باسم المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط القاهرة، ١٢٧٠م.

٢٩- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٣ تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

*** المنذري أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله ابن سلامة المنذري ت ٦٥٦هـ/ ١٢٠٨م).**

٣٠- التكملة لوفيات النقلة، ٤ أجزاء، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

*** ناصر خسرو (أبو معين الدين، ت٤٨١هـ) .**

٣١- سفرنامة، ترجمه من الفارسية يحيىٰ الخشاب، طبعة بيروت، ١٩٧٠م.

*** ابن نظيف الحموي (أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف، عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري).**

٣٢- التاريخ المنصوري: تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العيد دودو، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

*** النعيمي (محيي الدين عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف ت ٩٢٧هـ/ ١٠٢١م) .**

٣٣- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، دمشق، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٣٨م.

❊ **النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م).**

٣٤- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط. دار الكتب المصرية.

ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة.

❊ **أحمد أحمد بدوي:**

٣٥- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، القاهرة، ١٩٧٢م.

٣٦- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، القاهرة ، بدون تاريخ.

❊ **أحمد رمضان أحمد:**

٣٧- المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.

❊ **أكرم بن ضياء العمري:**

٣٨- عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط، ١٤٣٠هـ.

❊ **أيمن فؤاد سيد:**

٣٩- النظام الضرائبي للفاطميين في مصر، منشور في كتاب: «سعيد عاشور، إليه في عيد ميلاده السبعين. بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطىٰ» ، بأقلام نخبة من تلاميذه ومريديه، مركز النشر لجامعة القاهرة، ١٩٩٢م.

❊ **جعفر المهاجر:**

٤٠- التأسيس لتاريخ الشيعة في سورية ولبنان، دار الملاك، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

❊ **حسن الأمين:**

٤١- صلاح الدِّين بين العباسيين والفاطميين والصليبيين، بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

❊ **سعيد عبد الفتاح عاشور:**

٤٢- الحركة الصليبية،والقاهرة، ج١،طبعة ١٩٨٢م، وج٢، ط ١٩٧٦م.

٤٣- العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة، ١٩٧٣م.

٤٤- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، ١٩٧٢م.

٤٥- البنية البشرية لجيوش صلاح الدين. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلد ١٠ ، عدد ٣٧ سنة ١٩٩٠م.

* **السيد الباز العريني:**

٤٦- الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٤٧- المغول، بيروت،١٩٨١م.

* **شاكر مصطفىٰ:**

٤٨- صلاح الدِّين الأيوبي: الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترىٰ عليه، طبعة دار القلم، دمشق ١٩٩٨م.

* **شكيب أرسلان:**

٤٩- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، ط١، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

* **علي محمد علي عودة الغامدي:**

٥٠- بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ٤٦٣- ٤٩١هـ/ ١٠٧٠-١٠٩٨م، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٩م.

٥١- بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٢- محاضرات المسلمون والغزو الصليبي في العصور الوسطىٰ، بموقعي علىٰ الشبكة.

* **عماد الدين خليل:**

٥٣- الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام، بيروت،١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٥٤- نور الدِّين محمود، الرجل والتجربة، ط دار القلم، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. وط. دار السلام بالقاهرة،٢٠٢٠م.

* **فؤاد عبد المعطي الصياد:**

٥٥- المغول في التاريخ، بيروت،١٩٧٠م.

* **محسن محمد حسين :**

٥٦- الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين: تركيبه، تنظيمه، أسلحته، وأبرز المعارك التي خاضها، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* **محمد بن المختار الشنقيطي :**

٥٧- الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية من الفتنة الكبرىٰ إلىٰ الربيع العربي، منتدىٰ العلاقات الدولية ، تقديم راشد الغنوشي، الدوحة- قطر، ٢٠١٨م .

٥٨- أثر الحروب الصَّليبية علىٰ العلاقات السُّنّية الشيعية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت،٢٠١٦م .

* **محمد مؤنس عوض:**

٥٩- صلاح الدِّين الأيوبي، ببيلوغرافيا كرونولجية.

٦٠- ١٠٠ كتاب عن صلاح الدِّين الأيوبي، عرض ونقد.

٦١- قالوا عن صلاح الدِّين، شهادات من الشرق والغرب.

٦٢- صلاح الدِّين بين التاريخ والأسطورة.

٦٣- صلاح الدِّين فارس عصر الحروب الصليبية.

٦٤- رحلة إلىٰ صلاح الدين.

٦٥- صلاح الدِّين الأيوبي، فارس عابر للقرون.

* **مسفر سالم الغامدي.**

٦٦- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، جدة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٩م.

* **نظير حسان سعداوي .**

٦٧- الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة ١٩٣١ م.

٦٨- التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين، القاهرة ١٩٠٧م.

ثالثًا : مواقع إلكترونية .

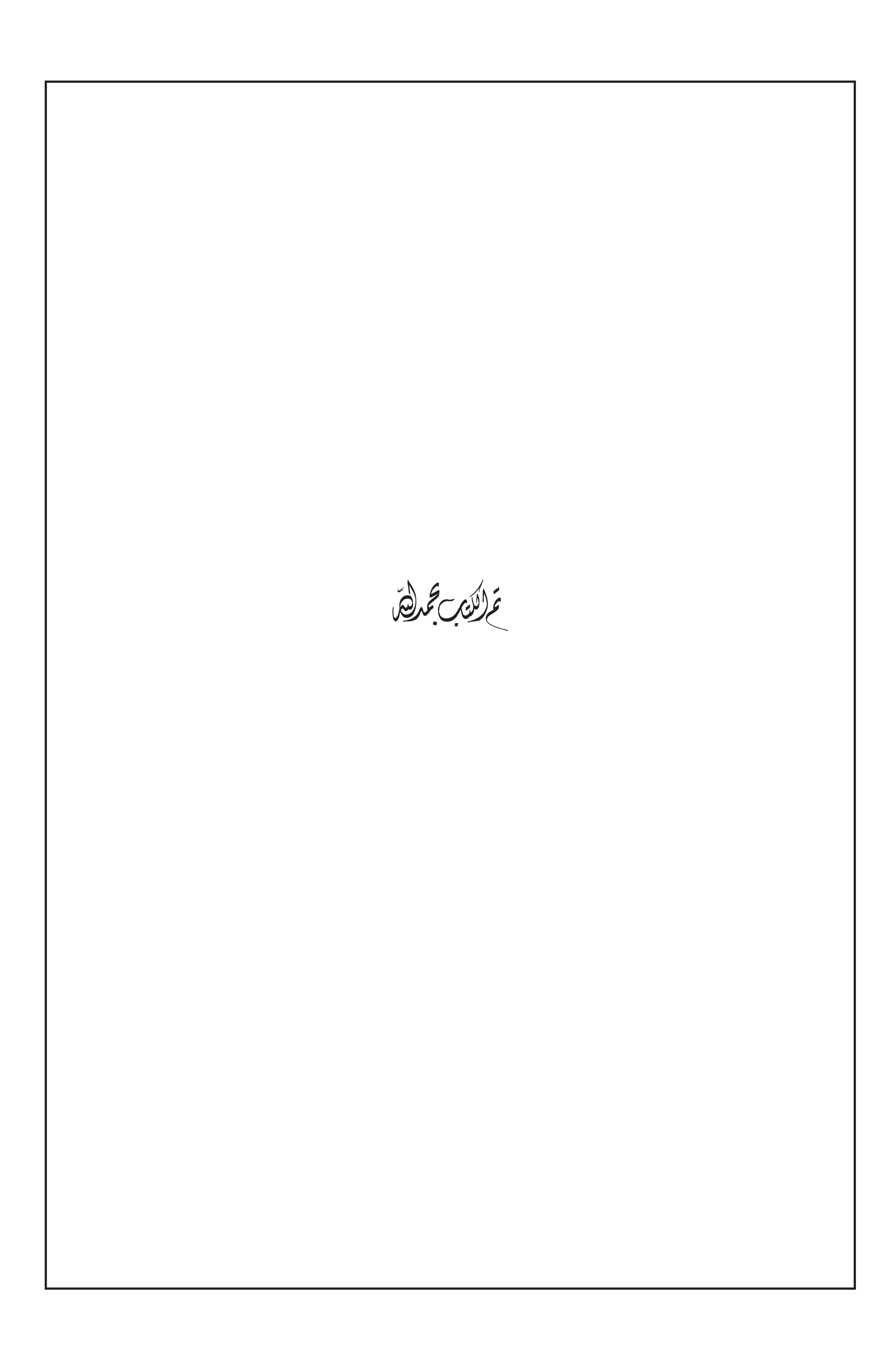
٦٩- موقع «الدرر السنية» :

https://dorar.net/firq/3027

٧٠- موقع الدكتور علي بن محمد عودة الغامدي:

https://alghamdiprof.com/k/shamS/shamS.pdf

المحتويات


تم الكتاب بحمد الله

أباطيل وأخطاء تاريخية

نظراتٌ نقْديّة في كتاب «أثر الحروب الصَّليبية على العلاقات السُّنّية الشيعية» لـمحمد المختار الشنقيطي

هذا الكتاب

نظراتٌ نقدية في كتاب: (أثر الحروب الصليبية علىٰ العلاقات السُّنِّية الشيعية) لمحمد بن المختار الشنقيطي، ودحض ما فيه من تحريفات وأخطاء فادحة وتزوير وقَلْب للحقائق التاريخية.

إنَّ أهمية هذه النظرات أنها تكشف للقارئ الأهداف التي يصبو إليها الكاتب، والتي تريد أن تجعل الشيعة – سواء الإمامية أو الإسماعيلية – مجاهدين للصليبيين في خندق واحد مع أهل السُّنَّة، وتمجيد ماضي الرافضة الإمامية واختلاق بطولات كاذبة لهم في جهاد الصليبيين. كما أنها تردُّ ما فيه من تشويه لرموز وقادة أهل السُّنَّة الذين تعاملوا مع الشيعة بمقياس عقيدة أهل السنة والجماعة، مثل محمود الغزنوي وعماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم. وتردُّ التحامُل الكبير علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية بسبب نقده للرافضة. ولله الأمر مِنْ قبل ومِنْ بعد.